الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

اشرف على مراجعته وطبعه

العلامة الشيخ عبد الله العلايلي

موسى سليمان ، احمد أبو سعد

المجلد الاول - القسم الاول

منشورات دار الثقافة ودار مكتبة الأندلس

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

اشرف على مراجعته وطبعه

العلامة الشيخ عبد الله العلايلي

موسى سليمان ، احمد ابو سعد

المجلد الاول

منشورات دار الثقافة ودار مكتبة الأندلس

بيروت - لبنان

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

مطبعة دار الكتب

كلمة الناشرين

•

إن الرغبة المحض بإحياء خير ما في المكتبة العربية من ذخائر ، لا سيما وقد تعرّض هذا التراث لصنوف من الحمل السريع الى القارىء ، حفزتنا الى العمل في هذا المضمار على ما فيه من صعاب . أجل بهذه الرغبة الخالصة لوجه التراث العربي تنادينا للاسهام في هذا الحقل الاحيائي كما ينبغي الاحياء .

ونحن ماضون على خطتنا الاحيائية الأغاني ولغيره من النفائس مما تزخر به المكتبة العربية ، أكان مما قيض له الطبع وندر ، أو كان مما لم يُقدر له ذلك حتى اليوم .

وإدراكاً لهذه الغاية المتوخّاة عهدنا بهذا العمل الى لجنة ممن عرفوا بالبحث والتنقيب ، وعسى ان يكون لعملنا هذا ما أردناه له من الأثر النافع والوقع المستحب .

الناشران

دار الاندلس — دار الثقافة

كلمة اللجنة المشرفة

« مكتبةٌ في كتاب » هذا هو « الأغاني » .

وناهيكَ بها شهادة أجمع عليها الرأي في قديم الناس ، وظلّت حيث هي من إجماع الرأي في حديثهم ، وقد لا يُقدَر لها أن تحوُل عن وجهها فيما يُبَاكر به الرأي .

فالصاحب بن عباد – وكان قِمّةً من قمم الأدب العربي تميّزت بمحلها السامق – نراه لا يفتأ مصطحباً خزانة كتبه ، في حِلّه وتَرْحالِه ، حتى كان « الأغاني » وكان يَوْمُه .

فاذا هو مدفوع منه إلى حديقة غَنِيَتْ بالأفياء والأضواء ، ومسّتْ مسارح الطَرْف منها أناملُ اللألاء ، فلم يلبث أن استبدل بالمكتبة كتاباً كان الرفيقَ المصاحب[1] .

فالأغاني إذن ، هو في الحاجة إليه دوماً ، فمن كان في مَنزِلةٍ

(١) روي أن الصاحب بلغه عطاء سيف الدولة لابي الفرج الف دينار جزاء الاغاني فقال : « لقد قصر سيف الدولة وانه ليستحق اضعافها ، اذ كان مشحوناً بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة ؛ فهو للزاهد فكاهة ، وللعالم مادة وزيادة ، وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة ، وللبطل رجلة وشجاعة ، وللمتظرف رياضة وصناعة ، وللملك طيبة ولذاذة ، ولقد اشتملت خزانتي على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميري غيره ، ولقد عنيت بامتحانه في أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعز عن أجماع من قرفه بذلك ، قد اورده العلماء في كتبهم ، ففاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه » .

– شرعاً سواء – مع الصاحب بن عباد ، فتلك حاجته إليه ؛ ومن هبط عن محله ، فكم تكون حاجته إليه ! .

والأغاني من بعد ، سجل ضخم . هو للحضارة وصورها مثلما هو للأدب وفنونه ، وهو للمتعة وأفانينها مثلما هو الدقة وأساليبها .

على انه ينهض ايضاً وايضاً بما لم يتفق مثله في مصنَّف ، فقد شرع لأول مرة باب النقد الباطني ، وكان النقد من قبلُ قاصراً على التعلق بالشكل . ولو فرغ باحث او اكثر إلى التعريف بهذه الناحية الفريدة – وذلك باستيعابه ما تفرق هنا وهناك ، من ملاحظات نقدية راح أبو الفرج ينثرها نثراً كيفما اتفق ، وعقده ما بين اجزائها ضاماً الأشباه الى الأشباه وسالكاً النظائر مع النظائر – إذن لأتى بعمل بِدْع يكون من ورائه خير كثير ؛ أيسرُه تصحيح نظرتنا في مضمار النقد .

والقدماء عرفوا للاغاني فضيلته في هذا كله ، فأقبلوا عليه بعناية دونها كل عناية ، وأولَوْه اهتماماً منقطع المثل . وتعدوا بأثره الى من محضه جهده وانصرف اليه بكله . ولعله يدهشك كما ادهشنا ، هذا الخبر الذي استطرق بذكره عبد الواحد المراكشي في كتابه « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ، فقد روى ان [الوزير الأجل أبا بكر محمد ابن الوزير أبي مروان ابن زهر ، حدث في ايام صباه ، قال : بينا أنا قاعد في دهليز دارنا وعندي رجل ناسخ أمرته ان يكتب لي كتاب الأغاني ، فجاء الناسخ بالكراريس التي كتبها ، فقلت له : أين الاصل الذي كتبت منه لأقابل معك به ؟ قال : ما اتيت به معي . فبينا أنا معه في ذلك إذ دخل علينا رجل بَذّ الهيئة ، عليه ثياب غليظة أكثرها من صوف ، وعلى رأسه عمامة قد لاثها من غير اتقان لها ، فحسبته لِمَا رأيته من بعض أهل البادية ، فسلم وقعد وقال لي : يا بني استأذن لي على الوزير أبي مروان ، فقلت له : هو نائم . هذا بعد ان تكلفت جوابه غاية التكلف ، حملني على ذلك نزوة الصبا ، وما رأيت من خشونة هيئة الرجل . ثم سكت

عني ساعة وقال : ما هذا الكتاب الذي بأيديكما ؟. فقلت له : ما سؤالك عنه ؟ فقال : احب ان اعرف اسمه فاني كنت أعرف أسماء الكتب . فقلت : هو كتاب الاغاني . فقال : الى أين بلغ الكاتب منه ؟ قلت : بلغ موضع كذا وكذا ، وجعلت اتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قالبِه ، فقال : وما لكاتبك لا يكتب ؟ قلت : طلبت منه الاصل الذي يكتب منه لأعارض به هذه الاوراق فقال : لم اجيء به معي ، فقال : يا بني خذ كراريسك وعارض . قلت : بماذا ، وأين الاصل ؟ قال : كنت احفظ هذا الكتاب في مدة صباي ، فتبسمت من قوله ، فلما رأى تبسّمي قال : يا بني أمسك عليّ . قال : فأمسكت عليه وجعل يقرأ ، فوالله إن أخطأ واواً ولا فاءً ، قرأ نحواً من كراسين ، ثم أخذت له في وسط السفر وآخره ، فرأيت حفظه في ذلك كله سواء . فاشتد عجبي وقمت مسرعاً حتى دخلت على أبي فأخبرته بالخبر ووصفت له الرجل ، فقام كما هو من فوره وكان ملتفاً برداء ليس عليه قميص ، وخرج حاسر الرأس لا يرفق على نفسه وأنا بين يديه ، وهو يوسعني لوماً ، حتى ترامى على الرجل وعانقه وجعل يقبل رأسه ويديه ويقول : يا مولاي اعذرني ، فوالله ما اعلمني هذا الجلف إلا الساعة ، وجعل يعذلني والرجل يخفض عليه ويقول : ما عرفني : وأبي يقول : هَبْهُ ما عرفك فما عذره في حسن الأدب ؟

ثم أدخله الدار وأكرم مجلسه وخلا به فتحدثا طويلاً ، ثم خرج الرجل وأبي بين يديه حتى بلغ الباب . فلما انفصل قلت لابي : من هذا الرجل الذي عظمته هذا التعظيم ؟ . قال لي : اسكت ويحك ، هذا أديب الاندلس وإمامها وسيدها في علم الآداب ، هذا ابو محمد عبد المجيد ابن عبدون ؛ أيسر محفوظاته كتاب الاغاني ، وما حفظه في ذكاء خاطره وجودة قريحته] .

هذا خبر في أخبار كثيرة لا سبيل الى تعدادها ، يرينا مبلغ ما كان

يتوجه به الى هذا الاثر الفريد من ضروب الاحتفاء والاحتفال .

* * *

وواجب بَذْلِهِ في الناس خالط الكثيرين ، فنشر أكثر من مرة ، وفي كل مرة كان القارىء يستغرق ما نشر منه ، فيعزّ وجوده ويندر ، ويعود الامر كما بدأ ، داعية وحاجة ، أمنية ورجاء .

وشعوراً بهذا الواجب ، وتحقيقاً لما يخالط الناس من امنية ، نشطت داران خَيِّرتان للنشر : دار الثقافة ودار الأندلس ، ونهضتا كلتاهما بهذا العبء الشاق المرهق .

وشاءتا له توفير كل ما يتفق وقيمته ، إخراجاً فنياً كما يجمل الاخراج الفني ، وتحقيقاً كما يجدر التحقيق ، فاعتمدتا لهذا وهذا ، لجنتين : فنيةً وأدبية . كما قصدتا الى تحليته وتزيينه بلوحات رائعات مما أعطى الفن العربي ، وبذلك يأتي الكتاب وقد جمع له الفن من اطرافه وحواشيه ؛ فهو تلاحين ، وهو أدب من كل لون : شعر وقصة وسمر ، وهو تهاويلُ تصوير . ففيه إذن ، أشتات ما يروق العين ويستهوي اللب ، ويشبع الحاسة الفنية فيما لها من لُبانات وأوطار ، كما يسمو بها حالاً على حال بما حشد فيه من عناصر جمالية شتى .

وجهد اللجنة الادبية لم يكن يسيراً ، فطبعة دار الكتب المصرية وإن تك محققة ومقابلة ، لم تخل من هنات : إن في التصويب او الشرح ؛ على انها تركت اعلاماً كثيرة دون تعريف ، فكان من ثمّ عمل اللجنة ليس هيناً . فدققت النص ما وسع الجهد ، وعنيت بالغامض من الشعر ، كما تولت عمل ملاحق : واحد للكلمات الفنية والعلمية والحضارية والكنايات والامثال ، وآخر للأعلام ترجمةً وتاريخَ حياة .

وفرغت ايضاً الى تأليف سفر ضخم ، طوت جانبيه على دراسة جديدة لابي الفرج في مناحي نشاطه الادبي وآيات هذا النشاط الروائع ، ولاسيا الاغاني هذا الكتاب الخالد ، وسيكون هدية الدارين الى المشتركين .

ومهما يكن فقد قامت الداران بواجبهما في إحياء هـذا التراث بذلاً وسخاء ، وعسى ان لا يكون القارىء أقلَّ منهما قياماً بهـذا الواجب تشجيعاً وإقبالاً .

فإحياء التراث العربي امانة قومية ، وهو في تَبِعته قَدْر مشترك بين الناشر والقارىء ، وبتآزرهما جميعاً يسلم الكتاب ، وتعاود الحضارةُ سِيرتَها من نقطته .

اللجنة المشرفة



أبو الفرج الأصفهاني

كما تخيله الفنان حسان حامد

الأغاني

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة *

نهج الكتاب

هذا كتاب ألّفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالاصبهاني [١]، وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الاغاني [٢] العربية: قديمها وحديثها، ونَسَبَ كلَّ ما ذكره منها الى قائل شعره، وصانع لحنه وطريقته من إيقاعه وإصْبَعِه [٣] التي يُنسب اليها من طريقته، واشتراك إن كان بين المغنين فيه، على شرح لذلك وتلخيص، وتفسير للمُشْكِل من غريبه وما لا غنى عن علمه من: علل إعرابه وأعاريض شعره التي توصل الى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه.

(*) زيادة ليست من الاصل قصدنا بها الى التوضيح بالتقسيم، وكلمة التوطئة افضل من صنيع دار الكتب المصرية اذ عبرت بمقدمة، فهذه القطعة الى « قال مؤلف الكتاب » ليست لابي الفرج حتماً كما تؤذن عبارتها.

(١) يقال بالباء والفاء.

(٢) في طبعة دار الكتب المصرية جاء شرح كلمة « الاغاني » بانها جمع اغنية وهي ما يترنم به من الشعر. وهذا الشرح وان يكن صحيحاً لغوياً، ليس هو المقصود هنا. فابو الفرج استعملها بالمعنى الفني اي القطعة الشعرية التي دخلتها صنعة موسيقية حسب الاصول الفنية ويشهد لهذا ما جاء بعد يسير في كلمة التوطئة «ووقع على اول كل شعر، فيه غناء، صوتاً ليكون علامة ودلالة عليه يتبين بها ما فيه صنعة من غيره».

(٣) الاصبع من كلمات المصطلح الفني في الموسيقى العربية، انظر بحثه عمقاً في كتابنا عن ابي الفرج الملحق بهذه الطبعة للاغاني.

ولم يستوعب كل ما غُنّيَ به في هذا الكتاب ولا أتى [١] بجميعه ، إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرّداً من الاخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدم والمتأخر . واعتمد في هذا [٢] على ما وجد لشاعره أو مغنيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعر أو صُنع اللحن خبراً يُستفاد ويحسُن بذكره ذكر الصوت معه على أقصر ما أمكنه وأبعده من الحشو والتكثير بما تقل الفائدة فيه .

وأتى في كل فصل من ذلك بنُتَف تُشاكله ، ولُمَعٍ تليق به ، وفِقَر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقّلاً بها من فائدة إلى مثلها ، ومتصرّفاً فيها بين جد وهزل ، وآثار وأخبار ، وسِيَرٍ وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة ، وقِصَص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام تجمُل بالمتأدبين معرفتها ، وتحتاج الاحداث الى دراستها ، ولا يرتفع مَنْ فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ، إذ كانت مُنتخَلة [٣] من غُرَر الاخبار ومُنتقاة من عيونها ومأخوذة من مَظانّها ومنقولة عن أهل الخبرة بها .

فصدر كتابه هذا وبدأ فيه بذكر المائة الصوت المختارة لامير المؤمنين الرشيد — رحمه الله تعالى — وهي التي كان أمر إبراهيم الموصلي وإسماعيل

---

(١) في طبعة دار الكتب المصرية تنبيه يشعر بضعف مثل هذا التركيب ومرجوحيته ، ذهاباً مع القاعدة النحوية : في « لا » النافية اذا دخلت على الماضي فيقتضي تكريرها في جزئي الجملة . وهو مع عبارة المؤلف خطأ من جهة ان « لا » حين تكون بمعنى « لم » لا يلزم تكريرها .

(٢) في طبعة دار الكتب المصرية زيادة كلمة [الباب] بعد « هذا » اعتماداً على زيادتها في بعض الأصول المخطوطة من نسخ الاغاني ، وهو صنيع غريب . وذلك لان هذه الزيادة اصلاً توهم من الناسخ ليس له ما يشفع به ، فقد جرى ظنه الى ان الجملة ناقصة فاضافها ، ولو صح لوجب ان يبدل بها كلمة « الكتاب » .

(٣) جاءت في الاصول كلها « منتحلة » ، وصوبها ابن التلاميد الشنقيطي بالخاء اي « منتخلة » . وهذا التصويب وان يكن الاقرب في حد التبادر ، لا داعية اليه ، فان المنتحلة مستعملة هنـــا بالمعنى الاصلي اي المستخلصة للنفس مثلما يستخلصه النحل من الازهار ، واما الانتحال بالمعنى الشائع : عزو ما للغير الى النفس فمجاز . وبهذا التخريج تخلو العبارة من التكرار المعنـــوي ، « فالمنتحلة » هي « المنتقاة ».

ابن جامع وفُلَيْح ابن العوراء باختيارها له من الغناء كله ؛ ثم وقعت [١] الى الواثق بالله — رحمة الله عليه — فأمر إسحاق بن إبراهيم بأن يختار له منها ما رأى أنه أفضل مما كان اختير متقدماً ، ويُبْدِلَ ما لم يكن على هذه الصفة بما [٢] هو أعلى منه وأولى بالاختيار ؛ ففعل ذلك . وأتبع هذه القطعة بما اختاره غير هؤلاء من متقدمي المغنين وأهل العلم بهذه الصناعة من الاغاني ، وبالاصوات التي تجمع النغم العشر المشتملة على سائر نغم الاغاني والملاهي ، وبالأرْمَال الثلاثة المختارة ، وما أشبه ذلك من الاصوات التي تتقدم غيرها في الشهرة كمُدُنِ مَعْبَد وهي سبعة أصوات ، والسبعة التي جعلت بإزائها من صنعة ابن سُرَيْج وخيِّر بينهما فيها ، وكأصوات معبد المعروفة بألقابها ، وزيانب يونس الكاتب ، فإن هذه الاصوات من صدور الغناء وأوائله وما لا يَحْسُن تقديمُ غيرِه أمامَه ؛ وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصة تستفاد وحديثاً يستحسن ، إذ ليس لكل الاغاني خبر نعرفه ولا في كل ما له خبر فائدة ولا لكل ما فيه بعض الفائدة رَوْنَقٌ يَرُوقُ الناظرَ ويُلهي السامع .

ووقّع على أوّل كل شعرٍ — فيه غناءٌ — صوتاً ، ليكون علامة ودلالة عليه يتبين بها ما فيه صنعة من غيره . وربما أتى في خلال هذه الاصوات وأخبارها ، أشعارٌ قيلت في تلك المعاني وغُنِّيَ بها وليست من الاغاني المختارة ولا من هذه الاجناس المرتّبة ، فلا يوجد من ذكرها معها بُدٌّ ، لأنها اذا أفردت عنها كانت إما منقطعة الاخبار غير مُشاكِلةٍ لنظائرها أو مُعادَةً أخبارُها ، وفي كلتا الحالتين خلافٌ لما يجيء به هذا

(١) في طبعة دار الكتب المصرية « رفعت » ترجيحاً لما ورد في بعض الاصول المخطوطة ، وهو خطأ فاحش فان « رُفعت » تفيد الحمل الى من كلف به اي الرشيد ، اما الأمر في جنب الواثق المتأخر في الزمن فمختلف ومقتضى الحال يستدعي التعبير « بوقعت » .

(٢) تحريف من الناسخ ، وصوابه : يبدل بما يكن على هذه الصفة ، ما هو اعلى منه .

الكتاب . وقد يأتي أيضاً منها الشيء الذي تطول أخباره ، وتكثر قصص شاعره مع غيره من الأصوات والاخبار ، فلا يمكن شرحها جملة في ذلك الموضع لئلا تنقطع الاخبار المذكورة بدخوله بينها ، فيؤخر ذكره الى مواضع يحسُن فيها ، ونظائرَ له يُضاف اليها غير قاطع اتّساق غيره منها ولا مُفرِدٍ للقرائن بتوسُّطِه لها ، ويكون ذِكرُه على هذه الحال أشكلَ [١] وأليقَ .

ترتيب على نحو خاص

قال مؤلف هذا الكتاب : ولعل [٢] مَن يتصفح ذلك يُنكر تركَنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنّين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غُنّيَ به من شعر شاعر ، والمانع من ذلك والباعث على ما نحوْناه عللٌ :

منها : أنا لمّا جعلنا ابتداءه الثلاثة الاصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين ؛ وأولهم أبو قَطيفةَ وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ، ثم عُمرُ بن أبي رَبيعة ، ثم نُصَيبٌ . فلما جرى أول الكتاب هذا المجرى ولم يمكن ترتيب الشعراء فيه ، أُلحِق آخره بأوّله وجُعِل على حسب ما حضَر ذِكرُه . وكذلك سائر المائة الصوت المختارة فإنها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين . وليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات وإنما المغزى فيه ما ضُمّنَهُ من ذكر الاغاني بأخبارها وليس هذا مما يضرُّ فيها .

ومنها : أن الأغاني قلّما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنّين في طرائق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق ، إذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنين أولى بنسبة الصوت اليه من الآخر .

---

(١) أمثل .

(٢) في طبعة دار الكتب المصرية زيادة كلمة [بعض] اعتماداً على ورودها في بعض الأصول المخطوطة، ولا محل لها بعد التعبير بكلمة « لعل » التي تفيد الاحتمال .

ومنها : ان ذلك لو لم يكن كما ذكرنا لم يَخْلُ فيها - اذا اتينا بغناء رجلٍ وأخباره وما صنّف إسحاق وغيره - من ان نأتي بكل ما أتى به المصنفون والرواة منها على كثرة حشْوه وقلة فائدته ، وفي هذا نقضُ ما شرَطناه من إلغاء الحشو ، وأن نأتي ببعض ذلك فيُنسَبَ الكتاب الى قصورٍ عن مدى غيره . وكذلك تجري أخبار الشعراء ، فلو اتينا بما غُنّيَ به في شعر شاعر منهم ، ولم نتجاوزه حتى نفرُغ منه ، لجرى هذا المجرى ، وكانت للنفس عنه نَبْوة ، وللقلب منه مَلّة ، وفي طباع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء ، والاستراحة من معهود الى مستجَدٍّ ، وكل منتقَلٍ اليه أشهى الى النفس من المنتقل عنه ، والمُبْتكَرُ (١) أغلبُ على القلب من الموجود . واذا كان هذا هكذا فما رتّبناه أحلى وأحسن ، ليكون القارىء له بانتقاله من خبر الى غيره ، ومن قصة الى سواها ، ومن أخبار قديمة الى محدثة ، ومليك الى سُوقة ، وجدٍّ الى هزل ، أنشطَ لقراءته وأشهى لتصفح فنونه ، لا سيما والذي ضمّنّاهُ إياه أحسنُ جنسه وصَفْوُ ما أُلّف في بابه ولُبابُ ما جُمع في معناه .

وكل ما ذكرنا فيه من نِسَب الاغاني الى أجناسها ، فعلى مذهب إسحاق ابن ابراهيم الموصلي وإن كانت رواية النسبة عن غيره ، إذ كان مذهبه هو المأخوذ به اليوم دون مذهب مَنْ خالفه مثل إبراهيم بن المهدي ومُخارِق وعَلُّويَه وعمرو ابن بانة ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ومن وافقهم ، فإنهم يسمون الثقيل الاول وخفيفه ، الثقيل الثاني وخفيفه . ويسمون الثقيل الثاني وخفيفه ، الثقيل الاول وخفيفه . وقد اطُّرِح ما قالوه الآن وتُرك ، واخذ الناس بقول إسحاق .

---

(١) في طبعة دار الكتب ترجيح التعبير بكلمة « والمنتظر » جرياً مع ما ورد في بعض النسخ ، وهو خطأ ، فان مقابل المنتظر كلمة المرتقب ، بينما الموجود بمنى المعهود فان « المبتكر » وهو من البكور اصح في معنى المتقابل .

الباعث على التأليف

قال مؤلف هذا الكتاب : والذي بعثني على تأليفه ان رئيساً من رؤسائنا كلفني جمعه له وعرّفني انه بلغه ان الكتاب [١] المنسوب الى إسحاق مدفوع ان يكون من تأليفه ، وهو مع ذلك قليل الفائدة ، وأنه شاك في نِسبه [٢] ، لان اكثر اصحاب إسحاق يُنكرونه ، ولان ابنه حمّاداً اعظم الناس إنكاراً لذلك . وقد ، لعمري ، صدق فيما ذكره وأصاب فيما أنكره .

أخبرني محمد بن خلَف وَكيعٌ قال : سمعت حمّاداً يقول : ما ألّف ابي هذا الكتاب قطُّ ولا رآه . والدليل على ذلك ان اكثر اشعاره المنسوبة التي جمعت فيه الى ما ذُكر معها من الاخبار ما غنى فيه احد قط ، وان اكثر نسبه الى المغنين خطأ ؛ والذي ألّفه ابي من دواوين الغناء يدل على بطلان هذا الكتاب ، وإنما وضعه ورّاقٌ كان لابي بعد وفاته ، سوى الرُّخْصةِ التي هي اول الكتاب فإن ابي — رحمه الله — ألفها لان اخبارها كلها من روايتنا . هذا ما سمعته من أبي بكر حكايةً ؛ [٣] واللفظ يزيد وينقص .

وأخبرني احمد بن جعفرٍ جَحْظَةُ ، أنه يعرف الورّاقَ الذي وضعه ، وكان يسمى بسندٍ الورّاق ، وحانوته في الشرقية في خان الزّبل . وكان يُورّق لاسحاق بن ابراهيم ، فاتفق هو وشريك له على وضعه . وليست الاغاني التي فيه ايضاً مذكورة الطرائق ، ولا هي بمقنعة من جملة ما في أيدي الناس من الاغاني ، ولا فيها من الفوائد ما يبلغ الارادة ،

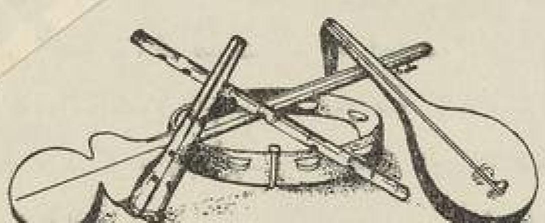
---

(١) يعرف بكتاب الاغاني كما في الفهرست لابن النديم .

(٢) في طبعة دار الكتب ترجيح التعبير بكلمة « نسبته » على ما ورد في بعض النسخ الاصول ، والصواب ما اثبتناه وذلك لان شكه في هذه الفقرة منصب على نسب الاغاني الى اجناسها ، تأكيداً لنفي نسبته الى اسحاق .

(٣) في طبعة دار الكتب زيادة كلمة [فحفظته] اعتماداً على ورودها في بعض النسخ الاصول ولا معنى لزيادتها .

فتكلفت ذلك له على مشقة احتملتها منه ، وكراهة [١] ان يُؤثر عني في هذا المعنى ما يبقى على الايام مخلداً ، والِيَّ ، على تطاولها ، منسوباً وإن كان مشوباً بفوائدَ جمّةٍ ومَعانٍ من الآداب شريفة . ونعوذ بالله مما أسخطه من قول او عمل ، ونستغفره من كل مُوبِقةٍ وخطيئة وقولٍ لا يوافق رضاه ، وهو ولي العِصمة والتوفيق ، وعليه نتوكل واليه نُنيب ، وصلى الله على محمد وآله عند مُفتتح كل قول وخاتمته ، وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل كافياً ومعينا .



(١) كذا في المخطوط والمطبوع ، ولا وجه لها إلا مع تكلف كثير ونرجح ان الواو زائدة ، وموقع مدخولها اي كلمة كراهة ، موقع المفعول لاجله .

ذِكرُ المائةِ الصَّوْتِ المُختارة

لجنة اختيار الاصوات

أخبرنا ابو احمد يحيى بن علي بن يحيى المنجّم ، قال حدثني [illegible]ي قال : حدثني إسحاق بن ابراهيم الموصلي ان أباه أخبره [illegible] الرشيد – رحمة الله عليه – أمر المغنّين ، وهم يومئذ [illegible] ، ان يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء ، فأجمعوا [illegible] ثلاثة أصوات أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله . قال إسحاق [illegible] فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق [illegible]ني باختيار أصوات من الغناء القديم ، فاخترت له من غناء [illegible] كل عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صَنعته ، [illegible] من شدا به ، ثم نظرتُ الى ما أحدث الناس بعدُ ممّن شاهدناه [illegible] عصرنا وقُبيل ذلك ، فاجتَنَبْتُ منه ما كان مُشبِهاً لما تقدم أو سالكاً طريقه ، فذكرته ولم أبخَسْه ما يجب له ، وإن كان قريب العهد ، لأن الناس قد يتنازعون الصوت في كل حين وزمان ، وإن كان السبق للقدماء إلى كل إحسان .

وأخبرني احمد بن جعفرٍ جحظةُ قال : حدثني هارون بن الحسن بن سَهل وأبو العَنْبَس بن حَمْدُون وابن دُقاق ، وهو محمد بن احمد بن يحيى المعروف بابن دقاق ، بهذا الخبر فزعم :

ان الرشيد أمر هؤلاء المغنين ان يختاروا له مائة صوت فاختاروها ، ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها ، ثم أمرهم ان يختاروا منها ثلاثة ففعلوا . وذكر نحوَ ما ذكره يحيى بن علي ، ووافقه في صوت من الثلاثة الاصوات ، وخالفه في صوتين . وذكر يحيى بن علي بإسناده

المذكور أن منها لحن مَعْبَد في شعر أبي قطيفة ، وهو من خفيف الثقيل الأول

القَصْرُ ، فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بَيْنَهُما أشهى إلى القلبِ مِنْ أبوابِ جَيْرُونِ

ولَحْنَ ابن سُرَيج في شعر عمر بن أبي ربيعة ، ولحنه من الثقيل الثاني

تَشَكَّى الكُمَيْتُ (١) الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه
وبَيَّنَ ، لوْ يَسْطِيعُ أنْ يَتَكَلَّما

ولحن ابن مُحرِز في شعر نُصَيْب ، وهو من الثقيل الثاني ايضاً
أهاجَ هَواكَ المَنْزِلُ المُتَقادِمُ ؟ نَعَمْ ، وَبِهِ ، مِمَّنْ شَجاكَ ، مَعالِمُ
وذكر جحظة عمن روى عنه ، ان من الثلاثة الاصوات لحن ابن محرز في شعر المجنون ، وهو من الثقيل الثاني

إذا ما طَواكِ الدهرُ يا أمَّ مالِكٍ ، فشأنَ المَنايا القاضِياتِ وشانيا

ولحن إبراهيم الموصلي في شعر العرجي ، وهو من خفيف الثقيل الثاني :

إلى جَيْداءَ قدْ بَعَثُوا رَسُولاً لِيُحْزِنَها ! فلا صُحِبَ الرسولُ

ولحن ابن محرز في شعر نصيب ، وهو ، على ما ذكر ، هَزَج :

أهاجَ هَواكَ المَنْزِلُ المُتَقادِمُ ؟ نَعَمْ ، وَبِهِ ، مِمَّنْ شَجاكَ ، مَعالِمُ

وحكى عن أصحابه ان هذه الثلاثة الاصوات ، على هذه الطرائق ، لا تبقى نَغْمَةٌ في الغناء إلا وهي فيها .

نقد رواية :

أخبرني الحسن بن علي الأدَمِيّ (٢) قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه

(١) الكميت : نعت الفرس الاحمر القاني .
(٢) الأدمي : بائع الجلود .

قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدثني أبو تَوْبة صالح بن محمد قال : حدثني محمد بن جبر المغنّي قال حدثني ابراهيم بن المهدي :

أن الرشيد أمر المغنين أن يختاروا له أحسن صوت غُنّيَ فيه فاختاروا له لحن ابن مُحْرز في شعر نُصَيب :

أهاج هواك المنزل المتقادمُ ؟...

قال : وفيه دور كثير ، أي صنعة كثيرة ، والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن علي أصح عندي . ويدل على ذلك تباين ما بين الاصوات التي ذكرها والاصوات الاخر ، في جودة الصنعة وإتقانها وإحكام مباديها ومقاطعها وما فيها من العمل ، وان الاخرى ليست مثلها ولا قريبة منها ؛ وأخرى هي أن جحظة حكى عمن روى عنه أن فيها صوتاً لابراهيم الموصلي ، وهو أحد من كان اختار هذه الاصوات للرشيد ؛ وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفُليح بن العوراء ، وليس أحد منهما دونه إن لم يَفُقْه (١) ، فكيف يمكن أن يقال : إنهما ساعدا إبراهيم على اختيار لحن من صنعته في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الاغاني ، وفضلت عليها ، ألم يكونا ، لو فعلا ، ذلك قد حكما لابراهيم على أنفسهما بالتقدم والحِذْق والرّياسة ؟ وليس هو كذلك عندهما .

ولقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنه أتى أباه إبراهيم بن ميمون يوماً مسلّماً ، فقال له أبوه : يا بني ، ما أعلم أحداً بلغ من برّ ولده ما بلغته من برك ، وإني لاستقل ذلك لك ، فهل من حاجة أصير فيها الى محبتك ؟ قلتُ : قد كان – جُعلتُ فداك – كل ما ذكرت ؛ فأطال الله لي بقاءك ، ولكني أسألك واحدة : يموت هذا الشيخ غداً أو بعد غد ولم أسمعه . فيقول الناس لي : ماذا ، وأنا أحلُّ منك هذا المحلّ ؟ قال لي : ومن هو ؟ قلتُ : ابن جامع .

(١) في طبعة الساسي « يفته » .

قال : صدقتَ يا بُنيّ ، أسْرِجُوا لنا (١) . فجئنا ابنَ جامع ، فدخل عليه أبي وأنا معه ، فقال : يا أبا القاسم ، قد جئتك في حاجة ، فإن شئتَ فاشتُمني وإن شئتَ فاقذِفني ، غيرَ أنه لا بد لك من قضائها ، هذا عبدك وابن أخيك إسحاق ، قال لي كذا وكذا ، فركبتُ معه أسألك أن تسعفه فيما سأل ، فقال : نعم ، على شَريطةٍ (٢) : تقيمان عندي أطعمكما مشُوشَة (٣) وقَلِيَّة (٤) وأسقيكما من نبيذي التمري وأغنّيكما ، فإن جاءنا رسول الخليفة مضينا اليه وإلاّ أقمنا يومنا ، فقال أبي : السمع والطاعة ، وأمر بالدواب فرُدَّت ، فجاءنا ابن جامع بالمشوشة والقليّة ونبيذه التمري فأكلنا وشربنا ، ثم اندفع فغنانا ، فنظرت الى أبي يَقِلُّ في عيني ، ويعظم ابن جامع ، حتى صار أبي في عيني كلا شيء ؛ فلما طربنا غاية الطرب جاء رسول الخليفة فركبا وركبتُ معهما ، فلما كنا في بعض الطريق قال لي أبي : كيف رأيتَ ابن جامع يا بني ؟ قلتُ له : أو تعفِيني ، جعلت فداك ! قال : لستُ أعفيك فقل ، فقلتُ له : رأيتك ولا شيء أكبرُ عندي منك قد صغرت عندي في الغناء معه حتى صرت كلا شيء . ثم مضيا الى الرشيد ، وانصرفتُ الى منزلي وذلك لاني لم أكن بعد وصلتُ الى الرشيد ، فلما أصبحتُ أرسل إليّ أبي فقال : يا بني ، هذا الشتاء قد هَجَم عليك وأنتَ تحتاج فيه الى مؤُنة ، وإذا مال عظيم بين يديه ، فاصرف هذا المال في حوائجك ، فقمت فقبّلتُ يده ورأسه وأمرت بحمل المال واتّبَعْتهُ ، فصوّت بي : يا إسحاق ارجع ، فرجعتُ . فقال لي : أتدري لِمَ وهبتُ لك هذا المال ؟ قلتُ : نعم ، جعلت فداك ! قال : لِمَ ؟ قلت : لصدقي فيك وفي ابن جامع ، قال : صدقت يا بني ، امض راشداً .

---

(١) اسرجوا لنا : اي شدوا سروج الخيل للركوب .
(٢) شرط او امر ، يكون شرطاً لفعل شيء .
(٣) مشوشة : زيت يضرب مع بياض البيض فيصنع منه طعام دسم
(٤) القلية كنية : مرقة تتخذ من اكباد الجزور ولحومها .

ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع، متفرقة في اماكن تحسن فيها، ويستغنى بها ذكر هاهنا عنهـا، فإبراهيم يُحِلُّ ابن جامع هذا المحل، مع ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة، ثم يُقدِم على ان يختار فيما هو معه فيه، صوتاً لنفسه يكون مقدَّماً على سائر الغناء، ويطابقه هو وُفلَيح عليه! هذا خطأ لا يُتخيَّل. وعلى ما به فإنا نذكر الصوتين اللذين رويناهما عن جحظة، المخالفين لرواية يحي بن علي بعد ذكرنا ما رواه يحيى ثم نُتبِعهما باقي الاختيار، فأول ذلك من رواية أبي الحسن علي بن يحيى.

صوت

فيه لحنان

القَصْرُ فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بَيْنَهما أشهى الى القَلبِ من أبوابِ جَيْرُونِ
الى البَلاطِ فما حازَتْ قَرائنُه دورٌ نَزَحْنَ عَنِ الفَحْشاءِ والهُونِ
قدْ يَكْتُمُ الناسُ أسراراً فأعْلَمُها ولا يَنالونَ، حتى الموتِ، مَكنوني

عروضه من أول البسيط. القصر الذي عناه هاهنا قصر سعيد بن العاص بالعرصة، والنخل الذي عناه نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجماء، وهي أرض كانت له فصار جميع ذلك لمعاوية بن ابي سفيان بعد وفاة سعيد، ابتاعه من ابنه عمرو باحتمال دينه عنه، ولذلك خبر يذكر بعد، وابواب جيرون بدمشق، ويروى: حاذت رائنه، من المحاذاة؛ والقرائن: دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة، سميت بذلك لاقترانها، ونزحن: بعدن، والنازح: البعيد، يقال: نزح نزوحاً، والهون: الهوان. قال الراجز:

لم يُبتَذَلْ مثلُ كريمٍ مَكنونْ أبيضَ ماضٍ كالسِّنانِ المسنون
* كان يُوقِّي نفسَه من الهُون *

والمكنون: المستور الخفي، وهو مأخوذ من الكن. الشعر لأبي قطيفة المعيطي، والغناء لمعبد، وله فيه لحنان: احدهما خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها من رواية إسحاق وهو اللحن المختار، والآخر ثقيل اول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة.

خَبَرُ أبي قطيفة وَنَسَبِهِ

نسبه :

هو عَمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط ، واسم أبي معيط أبانُ ابن أبي عمرو بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاَب ابن مُرّة بن كعْب بن لُؤيّ بن غالب . هذا الذي عليه النسّابون .

وذكر الهيثم بن عَدِيّ في « كتاب المثالب » أن أبا عمرو بن أمية كان عبداً لأمية ، اسمه ذكوان فاستلحقه . وذكر ان دَغْفلا النَّسابَة دخل على معاوية فقال له : مَن رأيت من عِلْيَة قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس ، فقال : صفهما لي ، فقال : كان عبد المطلب ابيض مديد القامة حسن الوجه ، في جبينه نور النبوّة وعزّ الملك ، يُطيفُ به عشرة من بنيه كأنهم أسْدُ غابٍ ، قال : فصِف أمية ، قال : رأيته شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان ، فقال : مَهْ ، ذاك ابنه أبو عمرو ، فقال : هذا شيء قلتموه بعدُ وأحدثتموه ، وأما الذي عرفت فهو الذي اخبرتك به .

ثم نعود الى سياقة النسب من لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة . والنضر عند أكثر النسّابين أصل قريش ، فمن وَلَده النضرُ عدّ منهم ، ومن لم يلده فليس منهم . وقال بعض نسابي قريش : بل فهر بن مالك أصل قريش ، فمن لم يلده فليس من قريش . ثم نعود للنسب الى النَّضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياسَ بن مُضَر بن نزار — وولدُ إلياس ، يقال

لهم خِنْدِفُ ، سُمُّوا بأمهم خندف[1] وهو لقبهـا ، واسمها ليلى بنت حُلوان بن عِمران بن الحافِ بن قُضاعـة ، وهي أم مُدرِكة وطابخة وقَمعَةَ بني إليـاس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَـدّ بن عدنان بن أُدّ بن أُدَدِ بن الهَمَيْسَع بن يَشْجُبَ ، وقيل : أَشجب بن نَبت بن قَيْدار ابن إسماعيل بن إبراهيم .

هذا النسب الذي رواه نسابو العرب وروي عن ابن شِهاب الزُّهري وهو من علماء قريش وفقهائها . وقال قوم آخرون من النسابين ممن أخذ – فيما يزعم – عن دَغْفَلٍ وغيره :

مَعدُّ بن عدنان بن أُدَد بن آمين بن شاجِيب بن نبت بن ثعلبة بن عَنـز بن سُرَيج بن محلم بن العوّام بن المُحْتَمل بن رائِمَة بن العِقْيان ابن عَلة بن شحدود بن الضرب بن عيفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين ابن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود بن دعدع بن محمود بن الرائد بن بدوان بن أمامة بن دَوْس بن حُصَيْن بن النـزّال بن الغمير ابن مخشر بن معـذر بن صَيْفيّ بن نبت بن قيدار بن إسماعيـل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله صلى الله – عليهما وعلى انبيائه اجمعين وسلم تسليماً ، ثم أجمعوا ان إبراهيم بن آزر ، وهو اسمه بالعربية ، كما ذكره الله تعالى في كتابه . وهو في التوراة بالعبرانية تارح ابن ناحور ، وقيل : الناحر بن الشارع وهو شاروع بن رَغو وهو الرامح بن فالغ – وهو قاسم الارض الذي قسمها بين اهلها – بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ وهو الرافد بن سام بن نوح – صلى الله عليه وسلم – ابن لامك وهو في لغة العرب ملكان بن المتُّوشَلخ وهو المنوف بن أخنُخ وهو ادريس نبي الله – عليه السلام – بن يارد وهو الرائد بن مهلايل بن قينان وهو قنان بن أنوش وهو الطاهر بن شيث وهو هبة الله ويقال له ايضاً : شاث بن آدم ابي البشر صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلم تسليماً . هذا الذي في ايدي الناس من النسب على اختلافهم فيه .

وقد روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – تكذيب للنسابين ودفع لهم وروي ايضاً خلاف لاسماء بعض الآباء ، وقد شرحت ذلك في كتاب النسب شرحاً يستغنى به عن غيره .

---

(١) كان إلياس خرج في نُجعة فنفرت إبله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير في الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها إلياس : أين تخندفين (تسرعين) فقالت : ما زلت اخندف في أثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف .

العنابس والأعياص

وأبو قطيفة وأهله من العَنَابِس من بني أمية . وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكراً ، كل واحد منهم يُكنى باسم صاحبه : وهم العاص ، وأبو العاص ، والعِيص ، وأبو العيص ، وعمرو ، وأبو عمرو ، وحرب ، وابو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، والعويص لا كنى له[١].

فمنهم الأعياص فيا اخبرنا حرمي بن أبي العلاء – واسمه أحمد بن محمد بن اسحاق والطوسي – واسمهُ أحمد بن سليمان – قالا : حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه قال : الأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، والعويص . ومنهم العنابس وهم : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو . وإنما سموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعُكاظ وعقَلوا أنفسهم وقاتلوا قتالاً شديداً فشبهوا بالأسد ، والأسدُ يقال لها العنابس واحدها عَنْبَسة .

وفي الأعياص يقول عبد الله بن فَضَالة الأسديّ :

من الأعياص او من آل حرب أغرّ كغُرّة الفرَس الجوادِ

والسبب في قوله هذا الشعر ما اخبرنا به احمد بن عبدالعزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا احمد بن الحارث الخرّاز قال : حدثنا المدائني وابن غزالة قالوا :

ابن فضالة وابن الزبير

أتى عبد الله بن فضالة بن شَرِيك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خُزيمة ، عبدَ الله بن الزبير فقال له : نَفِدتْ نفقتي وَنَقِبتْ[٢] راحلتي قال : أحضِرها ، فأحضَرها ، فقال : أقبِلْ بها ، أدبِر بها ، ففعل . فقال :

---

(١) كذا في طبعة دار الكتب المصرية اعتماداً منها على نسخة الشنقيطي المصححة بقلمه ، وهو خطأ . وصوابه على ما تقدر « لا يكنى به » اي لم يقع باسمه كنية لأخ من اخوته ، فقد عرفنا ان كل ولد من اولاد امية كان يكنى باسم اخ من اخوته إلا العويص المذكور فلم يكن به احد منهم .

(٢) نقب البعير : رقت اخفافه .

ارقَعْها بسِبْتٍ (١) واخْصِفها بهُلبٍ وأنجِدْ بها يَبْرُدْ خُفُّها وسِر البَرْدَيْن تَصِحّ . فقال ابن فضالة : إني أتيتك مستحملاً ولم آتك مستوصفاً فلعن الله ناقة حملتني اليك ، قال ابن الزبير ، إنّ وراكبها . فانصرف عنه ابن فضالة وقال (٢) :

أقولُ لغِلْمَتي شُدُّوا رِكابي ... أجاوزْ بَطْنَ مَكّةَ في سَوادِ
فمالي، حين أقطعُ ذاتَ عِرْقٍ ، ... إلى ابنِ الكاهليّة، من مَعادِ (٣)
سيُبْعِدُ بَيْنَنا ، نَصُّ المطَايا ... وتعليقُ الأداوَى والمزَادِ (٤)
وكلُّ مُعبَّدٍ قد أعلمَتْه ... مَناسِمُهُنّ ، طلاعَ النّجادِ (٥)
أرى الحاجاتِ عندَ أبي خُبَيْبٍ ... نَكِدْنَ (٦) ولا أُميّةَ (٧) بالبلادِ !
من الأعياص ، أو من آل حرب، ... أغرَّ كغُرّة الفرس الجواد

ابو خبيب : عبدالله بن الزبير كان يكنى أبا بكر ، وخبيب : ابن له هو أكبر ولده ، ولم يكن يكنيه به إلا من ذمه ، يجعله كاللقب له . قال : فقال ابن الزبير لما بلغه هذا الشعر : علم انها شر أمهاتي فعيرني بها ، وهي خير عماته ، قال اليزيدي : « إن » هاهنا بمعنى نعم ، كأنه إقرار بما قال ، ومثله قول ابن قيس الرقيات :

وَيَقُلْنَ شَيبٌ قَدْ عَلا ... كَ وقد كَبِرتَ ، فقلتُ : إنّهْ (٨)

---

(١) السبت : جلد تحذى منها النعال . والخصف : خرز جلد بجلد . والهلب : شعر الخنزير يخرز به . وأنجد : اخذ في بلاد نجد وهو موصوف بالبرد . والبردان : الغداة والعشيّ .

(٢) نسب البغدادي هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الاسدي ونقل عن الحصري في زهر الآداب ما يؤيده . وسيأتي في الجزء العاشر من الاغاني نسبة الشعر لفضالة بن شريك .

(٣) ذات عرق : الحدّ بين نجد وتهامة. والكاهلية : أم خويلد بن اسد بن عبد العزى وسيمر بنا حديثها في الجزء العاشر من الاغاني .

(٤) نص المطايا : السير الجاهد . والأداوى : أوعية الماء . والمزاد : ما يحمل فيه الزاد

(٥) المعبد : الطريق المذلل ، واعلمته مناسمهن : اثرت فيه بأخفافها . والنجاد: جمع نجد وهو ما غلظ من الارض وارتفع .

(٦) يقال نكده حاجته : منعه اياها ولم يقضها .

(٧) مثل هذا التركيب في مثل هذا المورد يفيد التحسر .

(٨) يرى سيبويه ان هذه الهاء للسكت ويرى ابو عبيدة انها اسم ان ، اي انه كذلك .

عود الى النسب :

وأم أبي مُعيط آمنةُ بنتُ أبانَ بن كُليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعةَ بن معاوية ابن بَكْر بن هوازنَ ، ولها يقول نابغةُ بني جَعْدَةَ :

وشارَكْنا قُرَيْشاً في تُقاها وفي أنسابِها[1] شِرْكَ العِنانِ
بما وَلدتْ نساءُ بني هِلالٍ وما وَلَدَتْ نِساءُ بني أبانِ

وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس فولدت له العاص وابا العاص وابا العيص والعويص وصفية وتوبة وأروى بني امية ، فلما مات امية تزوجها بعده ابنه ابو عمرو ، — وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوج الرجل امرأة ابيه بعده — فولدت له ابا معيط ، فكان بنو امية من آمنة إخوة ابي معيط وعمومته ، اخبرني بذلك كله الطوسي عن الزبير بن بكار .

قال الزبير : وحدثني عمي مُصعَب قال : زعموا أن ابنها ابا العاص زوّجها أخاه أبا عمرو ، وكان هذا نِكاحاً تَنكِحه الجاهلية ، فأنزل الله تعالى تحريمه ، قال الله تعالى : (وَلا تَنكِحُوا ما نكحَ آباؤُكم مِنَ النِّساءِ إلا ما قَدْ سَلَفَ إنَّهُ كانَ فاحِشَةً ومَقتاً وساءَ سَبيلاً) فسُمّي نكاح المقت .

حكاية مصرع

وأسر عُقبةُ بن ابي مُعيط في « يوم بدر » فقتله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صبراً[2] .

حدثنا بذلك محمد بن جرير الطبري قال : حدثنا محمد بن حميد الرازي ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق في خبر ، ذكره ، طويل . وحدثني به احمد بن محمد ابن الجعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري قالوا جميعاً :

قتله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صبراً ؛ فقال له — وقد أمرَ بذلك

---

(١) اشتراك شخصين في شيء خاص دون سائر الأشياء.

(٢) اي حبساً ، وفي الحديث انه نهى عن قتل شيء من الدواب صبراً ، وكل من حبس لقتل او يمين قيل له قتل صبراً وحلف صبراً .

فيه — : يا محمد ، أأنا خاصة من قريش ؟ قال : نعم . قال : فمن للصبية بعدي ؟ قال : النار ، فلذلك يسمى بنو ابي معيط صبية النار .
واختلف في قاتله فقيل : إن علي بن أبي طالب — صلوات الله عليه — تولى قتله . وهذا من رواية بعض الكوفيين ، حدثني به احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال : اخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال : حدثنا سليمان بن عباد قال : حدثني عبد العزيز بن ابي ثابت المدني عن ابيه عن محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب عليهم السلام :

أن النبي — صلى الله عليه وسلم — أمر علياً « يوم بدر » فضرب عنق عقبة ابن ابي معيط ، والنضر بن الحارث . وروى ابن إسحاق ان عاصم بن ثابت ابن ابي الأقلح الأنصاري قتله ، وان الذي قتله علي بن أبي طالب — عليه السلام — النضر بن الحارث بن كَلَدَة .

أخبرني احمد بن عبدالعزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني الحسن ابن عثمان : قال حدثني ابن ابي زائدة عن محمد بن إسحاق عن اصحابه ، وحدثنا محمد ابن جرير قال حدثنا احمد بن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن اسحاق عن اصحابه قالوا :

قتل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « يوم بدر » عقبةَ بن ابي معيط صبراً : امر عاصم بن ثابت فضرب عنقه ، ثم اقبل من « بدر » حتى اذا كان بـ « الصفراء [1] » قتل النضر بن الحارث بن كَلَدَةَ أحد بني عبد الدار ، أمر علياً عليه السلام أن يضرب عنقه . قال عمر بن شبة في حديثه بـ « الأثيل » (٢) : فقالت أخته (٣) قُتَيلة بنت الحارث ترثيه :

يا راكباً إنّ « الأُثيلَ » مَظِنّةٌ — مِن صُبحِ خامسةٍ وأنتَ مُوفّقُ
أبلغْ به مَيتاً : بأنّ تحيةً — ما إنْ تَزالُ بها النجائبُ تخفقُ
مني إليكَ وعَبرةً مسفوحةً — جادتْ بدِرّتها ، وأخرى تخنقُ

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخيل والزرع ، وهو على مرحلة من بدر .
(٢) الأثيل : موضع قرب المدينة .
(٣) يروى انها ابنته .

هل يسمعنّ النضرُ إن ناديتَه ؟ إن كان يسمعُ هالكٌ لا يَنطِقُ
ظلتْ سيوفُ بني أبيه تنوشه . لله أرحامٌ هناكَ تُشقَّقُ ؟
صبراً يُقادُ إلى المنية مُتعباً ؟ رَسْفَ المقيَّدِ[1] وهوعانٍ مُوثَقُ
أمحمدٌ ــ ولأنتَ نسلُ نجيبةٍ في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ ــ
ما كان ضرّكَ لو مننتَ ، وربما منّ الفتى ، وهو المَغيظُ المُحْنَقُ .
أو كنتَ قابلَ فديةٍ ، فلنأتينْ بأعزّ ما يَغلو لديكَ ويَنفقُ .
والنضرُ أقربُ مَنْ أخذتَ بِزَلّةٍ وأحقُّهم ، إن كان عِتقٌ يُعتَقُ

فبلغنا أن النبي ﷺ قال : « لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته » ، فيقال : إن شعرها أكرم شعر مَوْتُورةٍ [2] وأعفُّه وأكفُّه وأحلمُه .

قال ابن إسحاق : وحدّثني أبو عُبيدةَ بن محمد بن عمّار بن ياسر أن رسول الله ﷺ لما كان بعِرْقِ الظُّبْيَة [3] قتل عقبة بن أبي مُعَيطٍ ، فقال ــ حين أمر به أن يُقتل ــ : فمن للصِّبْيَةِ يا محمد ؟ قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أحد بني عمرو بن عوف .

حدثني أحمد بن الجعد قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذمي قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : حدثني الأوزاعي قال : حدثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي قال : حدثني عروة بن الزبير قال :

سألت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال : بينا رسول الله ﷺ يصلي في حِجْرِ الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فخنقه به خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر ــ رحمة الله عليه ــ حتى أخذ بمَنْكِبِه فدفعه عن رسول الله ﷺ وقال : أتقتلون رجلا أن يقولَ ربيَ اللهُ .

(١) رسف المقيد : مشيه .
(٢) المفجوعة .
(٣) عرق الظبية : موضع قرب المدينة .

ولاية وعزل

وكان الوليد بن عُقبة أخا عثمان بن عفان لأمه – أمها أروى بنت عامر بن كُرَيز ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله ﷺ تَوْأمانِ . وكان عقبة بن أبي معيط تزوج أرْوَى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليد وخالداً وعُمَارةَ وأمَّ كُلْثوم ، كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه – وولّى عثمان الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة فشرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة ، وشُهِدَ عليه بذلك عند عثمان فجلده الحد ، وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه .

عود الى الشاعر

وأبو قطيفة عمرو بن الوليد يُكنى أبا الوليد . وأبو قطيفة لقب لقّب به ، وامه بنت الربيع بن ذي الخِمَار من بني أسد بن خُزَيمة .

وقال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أمية عن المدينة ، مع نظائر له تشوُّقاً اليها . حدثني بالسبب في ذلك احمد بن محمد بن شبيب بن ابي شيبة البزّار ، قال : حدثنا احمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني ، وأخبرني ببعضه احمد بن محمد بن الجعد قال : حدثنا احمد بن زهير بن حرب قال : حدثني أبي قال : حدثني وهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمى « كتاب الأزارقة » ونسخت بعضه من كتاب منسوب الى الهيثم بن عدي . واللفظ للمدائني في الخبر ما اتّسق ، فاذا انقطع او اختلف نسبت الخلاف الى راويه . قال الهيثم بن عدي أخبرنا ابن عياش عن مجالد عن الشعبيّ وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر :

إجلاء الأمويين :

أن الحسين بن علي بن أبي طالب – عليه وعلى أبيه السلام – لما سار الى العراق ، شمّر ابن الزبير للأمر الذي أراده ، ولبس المعَافِري [1] ،

(١) نوع من الثياب ينسب الى قبيلة يمنية تصنعه .

وشَبَّر بطنَه وقال : إنما بطني شِبْرٌ وما عسى ان يسع الشِبر[١] ! وجعل يظهر عيب بني أمية ويدعو الى خِلافهم ، فأمهله يزيد سنة ، ثم بعث اليه عشرة من أهل الشام عليهم النعمان بن بشير ، وكان أهل الشام يسمون أولئك العشرة النَّفَرَ الرَّكْبَ : منهم عبد الله بن عِضاه الأشعري ، ورَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ ، وسعد بن حمزة الهَمْدانيّ ، ومالك بن هبيرة السلولي ، وأبو كَبْشة السَّكْسَكِيّ ، وزَمْلُ بن عمرو العُذري ، وعبد الله بن مسعود ، وقيل : ابن مَسْعَدَةَ الفَزَارِيّ ، وأخوه عبد الرحمن ، وشَرِيك بن عبد الله الكِنانيّ ، وعبد الله بن عامر الهمداني وجعل عليهم النعمان بن بشير ، فأقبلوا حتى قدموا مكة على ابن الزبير ، وكان النعمان يخلو به في الحِجْر كثيراً ، فقال له عبد الله بن عِضاه يوماً :

يابن الزبير ، إن هذا الأنصاريّ والله ما أُمِرَ بشيء إلا وقد أُمِرْنا بمثله ، إلاّ أنه قد أُمِّرَ علينا ، وإني والله ما أدري ما بين المهاجرين والأنصار . فقال ابن الزبير : يابن عضاه ، ما لي ولك ! إنما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكة ، أفكنت قاتلا حماماً من حمام مكة ؟ قال : نعم ، وما حرمة حمام مكة ! يا غلام ، ائتني بقوسي وأسهمي ، فأتاه بقوسه وأسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال :

يا حمامة ، أيشرب يزيد بن معاوية الخمر ؟ قولي : نعم ، فوالله : لئن فعلت لأرمينك . يا حمامة ، أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقينَ أمةَ محمد ﷺ ، وتقيمين في الحرم حتى يُستحَلَّ بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينك . فقال ابن الزبير : ويحك ! أوَ يتكلم الطائر ! قال : لا ، ولكنك يابن الزبير تتكلم ، أقسم بالله لتبايعنّ طائعاً أو مُكرَهاً أو لتتعرّفَنّ راية الأشعريّين في هذه البطحاء ، ثم لا أُعظّم من حقها ما تعظم . فقال ابن الزبير : أو يُستحلُّ الحرم ! قال : إنما يُحِلّه من ألحد

(١) يريد انه لزهده يجتزىء بالقليل من الزاد .

فيه ، فحبسهم شهراً ثم ردهم الى يزيد بن معاوية ولم يجبه الى شيء .

وفي رواية احمد بن الجعد : وقال بعض الشعراء – وهو ابو العباس الأعمى واسمه السائب بن فروخ يذكر ذلك وشبر ابن الزبير بطنه – :

مازال َفي ُسورةِ الأعراف[١] يدرسها حتى بدا لِيَ مثلَ الخزِّ في اللينِ
لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد أفضلت فضلاً كثيراً للمساكينِ

قال الهيثم : ثم إن ابن الزبير مضى الى صفية بنت أبي ُعبَيد زوجة عبد الله بن عمر ، فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله – عليه السلام – والمهاجرين والأنصار من أَثَرَةِ معاوية وابنه وأهله بالفيء[٢] ، وسألها َمسْأَلَتَه أن يبايعه . فلما قدّمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده وأثنَتْ عليه وقالت : ما يدعو إلا الى طاعة الله جلّ وعزّ ، واكثرت القول في ذلك . فقال لها : أما رأيتِ بغَلاتِ معاوية اللواتي كان يحجُّ عليهن الشُّهْبَ ، فإن ابن الزبير ما يريد غيرهن ! قال المدائني في خبره :

وأقام ابن الزبير على خلع يزيد وَمالأه على ذلك اكثر الناس ، فدخل عليه عبدالله بن ُمطِيع وعبدالله بن َحنْظلة وأهلُ المدينة ، المسجدَ وأتوا المنبر فخلعوا يزيد . فقال عبدالله بن أبي عمرو بن َحفْص بن المُغِيرة المخزوميّ : خلعتُ يزيدَ كما خلعت عِمامتي ، ونزعها عن رأسه وقال : اني لأقُولُ هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ، ولكنّ عدوّ الله ِسكّير ِخمّير . وقال آخر : خلعته كما خلعت نعلي . وقال آخر : خلعته كما خلعت ثوبي . وقال آخر : قد خلعته كما خلعت ُخفّي ؛ حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك . وامتنع منه عبدالله بن عمر ، ومحمد بن علي بن ابي طالب – عليهما

(١) لعله إشارة الى قوله تعالى في سورة الأعراف (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) .

(٢) الفيء ، ما توضع عليه اليد من اموال العدو بدون حرب .

السلام – وجرى بين محمدٍ خاصّةً وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك ؛ فخرج الى مكة وكان هذا أول ما هاج الشرّ بينه وبين ابن الزبير .

وقعة الحرّة

قال المدائني : واجتمع أهل المدينة لاخراج بني أمية عنها ، فأخذوا عليهم العهود ألا يُعينوا عليهم الجيش ، وأن يردوهم عنهم ، فإن لم يقدروا على ردهم لا يرجعو الى المدينه معهم ؛ فقال لهم عثمان بن محمد بن ابي سفيان : أنشُدكم اللهَ في دمائكم وطاعتكم ! فإن الجنود تأتيكم وتطؤكم ، وأعذِر لكم ألا تُخرجوا أميرَكم ، إنكم إن ظفرتم وانا مقيم بين أظهركم فما أيسَر شأني وأقدرَكم على إخراجي ! وما أقول هذا إلا نظراً لكم أريد به حقن دمائكم . فشتموه وشتموا يزيد ، وقالوا : لا نبدأ إلا بك ، ثم نخرجهم بعدك .

فأتى مَرْوانُ عبدالله بن عمر فقال : يا أبا عبدالرحمن ، إن هؤلاء القوم قد رَكبونا بما تَرى ، فضُمَّ عيالنا ؛ فقال : لستُ من أمركم وأمر هؤلاء في شيء ؛ فقام مروان وهو يقول : قَبّح الله هذا أمراً وهذا ديناً . ثم أتى علي بن الحسين – عليهما السلام – فسأله ان يضم أهله وثَقَله(١) ففعل ، ووجّههم وامرأته أمّ أبانَ(٢) بنتَ عثمان الى الطائف ومعها ابناه : عبدالله ومحمد .

فعرض حُرَيثٌ رَقّاصةُ وهو مولى لبني بَهز من سُليم – كان بعض عمّال المدينة قطع رِجله ، فكان اذا مشى كأنه يرقص ، فسمي رقاصة – لثَقَلِ مروان وفيه أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضربته بعَصاً كادت تَدُقّ عنقه فولى ومضى . ومضوا الى الطائف

(١) الثقل : متاع المسافر وحشمه .
(٢) اكثر النحاة والمحدثين على منعه من الصرف كقطام وقيل هو مصروف كسحاب .

وأخرجوا بني أمية ، فحس[١] بهم سليمان بن ابي الجهم العَدَوِيّ وحُرَيثٌ رقاصةُ ، فأراد مروان ان يصلي بمن معه فمنعوه ، وقالوا : لا يُصلي والله بالناس ابداً . ولكن ان اراد ان يصلي بأهله فليصلّ ، فصلّى بهم ومضى .

فمرّ مروان بعبدالرحمن بن أزهرَ الزُهريّ ، فقال له : هلمَّ إليَّ يا أبا عبدالملك ، فلا يصل اليك مكروه ما بقي رجل من بني زُهْرةَ ، فقال له : وصلتكَ رَحِمٌ ، قومُنا على أمرٍ[٢] فأكره أن أعرّضكَ لهم . وقال ابن عمر بعد ذلك — لما أُخرجوا وندم على ما كان قاله لمروان — : لو وجدت سبيلاً الى نصر هؤلاء لفعلت ، فقد ظُلموا وبُغِيَ عليهم ؛ فقال ابنه سالم : لو كلمت هؤلاء القوم ! فقال : يا بُنيّ ، لا يَنزِعُ هؤلاء القوم عما هم عليه ، وهم بعين الله ، إن أراد أن يُغيّر غيَّر .

قال : فمضوا الى « ذي خُشُب »[٣] وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عُتبةَ بن أبي سفيان ، واتّبعهم العبيد والصبيان والسَّفِلة يرمونهم ؛ ثم رجع حُريثٌ رقّاصةُ وأصحابه الى المدينة وأقامت بنو أميّة بـ « ذي خشب » عشرة أيام ، وسرّحوا حبيب بن كرة الى يزيد بن معاوية يعلمونه وكتبوا اليه يسألونه الغوثَ . وبلغ أهلَ المدينة أنهم وجّهوا رجلاً الى يزيد ، فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني سُليم من بَهْز وحريث رقاصة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أمية منها ، فنخس حريثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخر عنها وزجرها وقال: اعلَيْ واسلَمِي . فلما كانوا بالسُّوَيداء[٤] عرض لهم مولى لمروان ، فقال : جعلت فداك — لو نزلتَ فأرحتَ وتغدّيتَ ؟ فالغداءُ حاضر كثير قد أدرَكَ[٥] ، فقال : لا يَدَعُني رقاصة وأشباهه ، وعسى أن يُمكّنَ اللهُ منه فتُقطَعَ يدُه . ونظر مروان الى ماله بـ « ذي

(١) يقال حس بالشيء واحس به واحسه : شعر به .
(٢) اي بيتوا على امر .
(٣) واد قرب المدينة .
(٤) السويداء : موضع قرب المدينة على طريق الشام .
(٥) اي حان إناه وانتهى نضجه .

خشب » فقال : لا مالَ إلا ما أحرزتْه العِياب (١) ، فمضوا فنزلوا « حقيلًا » أو وادي القرى » ؛ وفي ذلك يقول الأحوص :

لا تَرْثِيَنَّ لِحَزْمِيٍّ رأيت به ضُراً ، ولو سقط الحزميُّ في النارِ
الناخسين بمروان بذي خُشُبٍ ، والمُقحِمين على عثمانَ في الدارِ .

قال المدائني : فدخل حبيب بن كرة على يزيد – وهو واضعٌ رجله في طستٍ لوجعٍ كان يجده – بكتاب بني أمية وأخبره الخبر ؛ فقال : أما كان بنو أمية ومواليهم الف رجل ؟ قال : بلى ! وثلاثة آلاف ، قال : أفعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ؟ قال : كَثَرَهُم (٢) الناس ولم تكن لهم بهم طاقة ، فندبَ الناسَ وأمَّرَ عليهم صخر بن أبي الجهم القَيْنيَّ ، فمات قبل أن يخرج الجيش ، فأمَّر مُسْلِمَ بن عقبة الذي يسمى مُسْرِفاً .

قال : وقال ليزيد : ما كنتَ مرسلًا الى المدينة أحداً إلاَّ قصَّر وما صاحبهم غيري ، إني رأيت في منامي شجرةَ غَرْقَدٍ (٣) تصيح على يديْ مسلم ، فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلًا يقول : أدركْ ثأرَكَ ، أهلَ المدينةِ قتلةَ عثمان ، فخرج مسلم وكان من قصة « الحرَّة (٤) » ما كان على يده ، وليس هذا موضعه . فقال أبو قطيفة في ذلك – لما أخرجوا عن المدينة – :

صوت

من غير المائة فيه لحنان

بكى أُحُدٌ (٥) ، لما تحمَّل أهله . فكيف بذي وجْدٍ مَنَ القوم آلِفِ ؟

(١) العياب جمع عيبة وهي وعاء من ادم يكون فيها المتاع .
(٢) اي غلبوهم بكثرتهم .
(٣) الغرقد : شجر ضخم يكثر في المدينة .
(٤) موضع بظاهر المدينة جرت فيه وقعة قاسية .
(٥) جبل قرب المدينة .

مِنْ أَجلِ أبي بكرٍ جلتْ عن بلادها أُميَّةُ ، والأيامُ ذاتُ تَصارُفِ

عروضه من الطويل ، وفيه ثقيل اول ، والغناء لسائب خاثر ، خفيف ثقيل اول بالوسطى ذكر ذلك حماد عن ابيه ، وذكر ان فيه لحنا آخر لأهل المدينة لا يعرف صاحبه . قال الهيثم في خبره : وقال ابو العباس الاعمى في ذلك :

قد حلَّ في دارِ البلاطِ(١) مُجوَّعٌ ودارِ أبي العاصِ التَّميميُّ حَنْتَفُ(٢)
فلم أرَ مثلَ الحيِّ حِينَ تحمَّلوا ولا مثلنا عن مثلِهم يتَنَكَّفُ

وقال أبو قطيفة أيضاً :

صوت

من غير المائة فيه ثلاثة الحان

بَكى « أُحُدٌ » لما تحمَّلَ أهلُه « فسَلْعٌ » فدارُ المالِ أمستْ تَصدَّعُ
وبالشأمِ إخواني وجلُّ عشيرتي فقد جعلتْ نفسي اليهم تَطلَّعُ

عروضه من الطويل . غنى فيه دحمان ، ولحنه ثقيل اول باطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية اسحاق . وفيه لمعبد ثقيل اول بالوسطى من رواية حبش . وذكر اسحاق ان فيه لحناً في خفيف الثقيل الاول بالخنصر في مجرى البنصر مجهول الصانع .

وقال ابو قطيفة ايضاً :

صوت

من غير المائة المختارة

ليتَ شِعْري : هل البلاطُ كعهدي والمصلَّى الى قصورِ العقيقِ ؟
لامَني في هواكِ - يا أمَّ يحيى - مِنْ(٣) مُبِينٍ بغشِّه أو صديقِ

---

(١) البلاط : موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مبلط .

(٢) هو الحنتف بن السجف خرج لقتال ابن الزبير .

(٣) قد تزاد من في الاثبات حين تكون في موقعها مثابة بمعنى التبيض او البيان .

عروضه من الخفيف . غناه معبد ويقال دحمان ، ولحنه ثقيل اول بالسبابة في مجرى الوسطى ، وذكر اسحاق انه لا يعرف صاحبه .

حدثني احمد بن عبيدالله بن عمارة قال حدثني محمد بن يونس بن الوليد قال :

كان ابن الزبير قد نفى ابا قطيفة مع من نفاه من بني امية عن المدينة الى الشأم ، فلما طال مقامه بها قال :

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بعدَنا
«قُباءُ» وهل زالَ «العقِيقُ» وحاضِرُهُ ؟
وهل بَرِحَتْ بَطْحاءَ قبرِ محمدٍ أراهِطُ غُرٌّ من قُريشٍ تُباكِرُهُ ؟
لهم مُنْتَهَى حُبِّي وَصَفْوُ مَوَدَّتي
ومَحْضُ الهَوَى مِنّي ، وللناسِ سائِرُهُ

قال وقال أيضاً :

صوت

من غير المائة المختارة

لَيْتَ شِعْرِي، وأينَ مِنِّي ليتُ ؟ أَعلَى العَهْدِ يَلْبَنٌ فَبِرَامُ ؟
أَمْ كعهدِي «العَقيقُ» أم غَيَّرتْهُ بَعْدِيَ الحادثاتُ والأيامُ ؟
وبأهلي بُدِّلَتْ «عَكّاً» و«لَخْماً» و«جُذاماً»، وأينَ منّي «جُذامُ» ![1]
وتبدَّلْتُ من مساكنِ قومي والقصورِ التي بها الآطامُ ،
كلُّ قصرٍ مشيَّدٍ ذي أواسٍ يتغنى على ذُراهُ الحَمامُ
إقْرَ منّي السلامَ إن جئتَ قومي وقليلٌ لهمْ لديَّ السلامُ

عروضه من الخفيف ، غناه معبد ، ولحنه ثقيل اول بالخنصر في مجرى البنصر . و « يلبن » و « برام » : موضعان ، والآطام : جمع اطم ، وهي القصور والحصون ؛ وقال الاصمعي : الآطام : الدور المسطحة السقوف ، وفي رواية ابن عمار : ذي اواش بالشين معجمة ، كأنه اراد به ان هذه القصور موشية اي منقوشة . ورواه اسحاق : اواس بالسين غير معجمة ، وقال : واحدها آسي وهو الاصل ،

(١) عك ، ولخم وجذام : اسماء قبائل عربية .

قال ويقال : فلان في أسبه اي في اصله ، والاسي والاساس واحد ، وذرى كل شيء اعاليه وهو جمع واحدته ذروة . ويروى :

أبلغَـنَّ السلامَ إنْ جئتَ قومي .

وروى الزبير بن بكار هذه الأبيات لأبي قطيفة ، وزاد فيها :

أقطعُ الليلَ كلَّه باكتئابٍ وزَفيرٍ – فما أكادُ انامُ –
نحو قومي، إذ فرَّقَتْ بيننا الدارُ ، وحادت عن قصدها الأحلامُ.
خشيةً ، أن يُصيبهم عَنَتُ الدهر وحربٌ يَشيبُ منها الغلامُ .
فلقد حان أن يكون لهـذا الدهر عنّا تَباعُدٌ وانصرامُ

عودة المنفي

رجع الخبر الى سياقته من رواية ابن عمار ، واخبرنا بتله من هذا الموضع الحسين ابن يحيى عن حماد بن إسحاق عن ابيه عن الحزامي ، وهو ابراهيم بن المنذر عن مطرف بن عبد الله المدني قالا : إن ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال : حنَّ والله أبو قطيفة ، وعليه السلام ورحمة الله ، مَنْ لَقِيه فليخبره أنه آمن فليرجع ، فأخبر بذلك فانكفأ الى المدينة راجعاً ، فلم يصل اليها حتى مات .

قال ابن عمار : فحُدِّثت عن المدائني أن امرأة من أهل المدينة تزوجها رجل من أهل الشأم فخرج بها الى بلده على كُرْهٍ منها ، فسمعت منشداً ينشد شعر أبي قطيفة هذا ، فشهقت شهقة وخرّت على وجهها ميتة ؛ هكذا ذكر ابن عمّار في خبره .

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي عن أيوب ابن عَبايَة قال قال حدثني سعيد بن عائشة مولى آل المطلب بن عبد مناف قال : خرجت امرأة من بني زُهْرة في خِفٍّ[1] ، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشأم فأعجبته ، فسأل عنها فنُسِبَتْ له ، فخطبها الى

(١) الخف : الجماعة القليلة .

أهلها فزوّجوه إياها بكَرْهٍ منها ، فخرج بها الى الشام وخرَجَتْ تَخْرجاً (١) ، فسمعتْ متمثلاً يقول :

صوت
من غير المائة المختارة

ألا ليت شعري ، هل تغيَّر بعدنا
«جَبُوبُ» (٢) المصلّى، أم كعهدي القرائنُ ؟
وهل أدْؤُرٌ (٣) حول «البلاط» عوامرٌ
من الحيّ ، أم هلْ بالمدينةِ ساكنُ ؟
إذا برَقَتْ نحو الحجازِ سحابةٌ دعا الشوقَ مني برقُها المتيامنُ ،
فلم أتْرُكْها رَغبةً عن بلادها ، ولكنّه ما قدَّر اللهُ كائنُ .

عروضه من الطويل ، يقال : إن لمعبد فيه لحنا . قال : فتنفست بين النساء فوقعت ميتة . قال ايوب : فحدثت بهذا الحديث عبد العزيز بن ابي ثابت الأعرج فقال : اتعرفها ؟ قلت : لا ، قال : هي والله عمتي حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف .

اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال اخبرني ابن عائشة قال .

لما أجلى ابنُ الزبير بني أمية عن الحجاز قال أيْمَنُ بنُ خُرَيم الأسدِي :

كأنَّ بَني أميـة يوم راحوا وعُرّي عن منازلهم «صِرارُ» (٤)،
شماريخُ الجبـالِ إذا تردَّتْ بزينتِهـا وجادَتْهـا القِطارُ (٥)

وأخبرني الحسن بن علي الخفّافُ قال حدثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد

(١) اي خرجت مرة .
(٢) الحجارة والأرض الصلبة .
(٣) جمع دار .
(٤) اسم جبل .
(٥) القطار جمع قطر وهو المطر .

ابن عقبة الى أبيه وهو متولي الكوفة لعثمان بن عفان :

مَنْ مُبلِغٌ عنّي الأميرَ بأنني أرِقٌ بلا داءٍ سوى الإنعاظِ
إن لم تُغثني خِفتُ إتْئك أو أرى في الدار محدوداً (١) بزُرقِ لحاظِ

يعني دار عثمان التي تقام فيها الحدود ، فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها اليه .

اخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الخرّاز عن المدائني قال :

كان أبو قطيفة من شعراء قريش ، وكان ممن نفاه ابن الزبير مع بني امية الى الشأم ، فقال له في ذلك :

وما أخرجتنا رَغبةٌ عن بلادنا ولكنه ما قدّر اللهُ كائنُ
أحنُّ الى تلك الوجوه صَبابةً كأني أسيرٌ في السلاسل راهنُ

وكان يتحرّق (٢) على المدينة ، فأتى عبّاد بن زياد ذات يوم ، عبد الملك فقال له : ان خاله أخبره ان العِراقين قد فُتحا ، فقال عبد الملك لأبي قطيفة لما يعلمه من حُبّه المدينةَ ، أما تسمع ما يقوله عبّادُ عن خاله ؟ قد طابتْ لك المدينة الآن فقال أبو قطيفة :

إنّي لأحمقُ مَنْ يمشي على قدمٍ إن غرّني من حياتي خالُ عبّادِ
أنْشَا يقول لنا المِصْران قد فُتحا ودونَ ذلك يومٌ شرُّه بادي

قال : وأذِنَ له ابن الزبير في الرجوع ، فرجع فمات في طريقه .

حكاية مناقب :

وأما خبر القصر الذي تقدم ذكره وبيعه من معاوية ، فأخبرني الحسين ابن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال ذكر مُصعَب بن عمّار مصعب بن عروة ابن الزبير : أن سعيد بن العاص لما حضرته الوفاة وهو في قصره هذا ، قال له ابنه عمرو : لو نزلتَ الى المدينة ! فقال : يا بنيّ ، ان قومي لن يضنّوا

(١) المحدود : الذي يقام عليه الحد اي العقوبة .
(٢) يتلهف شوقاً اليها .

عليّ بأن يحملوني على رقابهم ساعةً من نهار ، وإذا أنا مِتُّ فآذِنهم [١] ، فإذا واريتَني فانطلق الى معاوية فانعِني له وانظر في دَيني ، واعلم انه سيعرض عليك قضاءَه فلا تفعل ، واعرض عليه قصري هذا فإني إنما اتخذته نزهةً وليس بمال . فلمــا مات آذَنَ به الناس فحملوه من قصره حتى دُفِن بالبقيع ، ورَوَاحلُ عَمرِو بن سعيــد مُناخَةٌ ، فعزّاه الناس على قبره وودّعوه ، فكان هو أوّل من نعاه لمعاوية فتوجّع له وترحّم عليه ، ثم قال : هل ترك دَيناً ؟ قال : نعم ، ثلثمائة الف ، قـال : هي عليّ ، قال : قد ظنّ ذلك وأمرني ألا أقبله منك ، وأن أعرضَ عليك بعض مــاله فتبتاعه فيكون قضاءُ دينه منه . قال : فاعرِضْ عليّ ، قال : قصرَه بالعَرْصَة ، قال : قد أخذته بدينه ، قـال : هو لكَ على ان تحملها الى المدينة وتجعلها بالوافية [٢] ، قال : نعم .

فحملها له الى المدينة وفرّقها في غُرمَائه وكان أكثرها عِدَاتٍ [٣] ، فأتاه شاب من قريش بصكٍّ فيه عشرون ألف درهم بشهـادة سعيدٍ على نفسه وشهـادة مولىً له عليه ، فأرسل الى المولى فأقرأه الصكّ ، فلما قرأه بكى وقال : نعم هذا خطُّه وهذه شهادتي عليه ، فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنما هو صُعلوك من صعاليك قريش ؟ قـال : أخبِرُكَ عنه ، مرّ سعيدٌ بعد عزله فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار الى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألكَ حاجةٌ ؟ قال : لا ، إلاّ أنّي رأيتك تمشي وحدك فأحببت ان أصِلَ جَناحَك ؛ فقال لي ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدين وقال : إنك لم تصادف عندنا شيئــاً فخُذ هذا ، فإذا جاءنا شيء فأتِنــا ، فقال عمرو : لا جَرَمَ واللهِ لا يأخذهــا إلا بالوافية ؛ أعطِه إياها ، فدفع اليه عشرين الف درهم وافية .

---

(١) آذنهم : اعلمهم .
(٢) اي بالدرهم الوافي وكان درهماً واربعة دوانق ، والدانق سدس الدرهم .
(٣) عطايا وعد بها .

اخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الصلت ابن مسعود قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا هارون المدائني قال :

كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده ، فيقول : ما عندي ، ولكن اكتب عليَّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول : أتَرَوْني أخذت منه ثمن هذا ؟ لا ، ولكنه يجيء فيسألني فينزُو[1] دمُ وجهه في وجهي فأكرهُ ردَّه . فأتاه مولى لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال : إن أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه ، فقال : ما عندي ، ولكن خذ ما شئت في أمانتي ، فلما مات سعيد بن العاص جاء الرجل الى عمرو بن سعيد فقال : إني أتيت أباك بابن فلان ، وأخبره بالقصة ، فقال له عمرو : فكم أخذت ؟ قال : عشرةَ آلاف ، فأقبل عمرو على القوم فقال : مَنْ رأى أعجزَ مِنْ هذا ! يقول له سعيد : خذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف ! لو أخذت مائة ألفٍ لأدَّيتُها عنك .

اعتداد بالنسب

أخبرني عمي قال حدثنا الكُرانيّ قال حدثنا العُمَريّ عن ابن الكلبي قال : قال أبو قطيفة – وكانت أمه وأم خالد بن الوليد بن عقبة عمّةَ أرْوى بنت أبي عَقِيل بن مسعود بن عامر بن مُعتّب – :

أنا ابن أبي مُعيْطٍ حين أُنمى ، لأكرمِ ضِنْضِيء[2] وأعزّ جيلِ
وأمي للعقائـل مـن قُصيّ ومخزومٍ ، فما أنا بالضّئيلِ
وأرْوَى مِنْ كُرَيْزٍ قد نمتني وأرْوي الخير بنتُ أبي عقيلِ
كِلا الحيّيْنِ من هذا وهذا – لعمرُ أبيك – في الشرف الطويلِ
فعدّدْ مثلَهن – أبا ذُبابٍ – ليَعْلمَ ما تقولُ ذوُو العقولِ
فما الزّرْقاءُ لي أمّاً فأخزَى ولا ليَ في الأزارقِ مِنْ سبيلِ

(١) كأن دم وجهه يثب في وجهي لشدة احمراره خجلاً من ذل السؤال . وفي بعض النسخ « فيتردد وجهه في وجهي » وهي الأشبه بالصواب .
(٢) الضنضىء : الأصل والمعدن .

قال : يعني بأبي الذُّبابِ (١) ، عبدَ الملك . والزَّرْقاءُ : إحدى أمهاتِه من كِنْدَةَ ، وكان يُعيَّر بها . أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني محمد بن زكريا قال حدثنا قَعْنَبُ بن المُحْرِز قال حدثنا المدائني قال :

بلغ أبا قطيفة أن عبد الملك بن مروان يتنقَّصه فقال :

نُبِّئْتُ أنَّ ابنَ العَمَلَّسِ (٢) عابَني
ومن ذا – من الناس – البريءُ المسلَّمُ ؟
مَنَ أنتمْ مَنَ أنتم خبِّرونا مَن أنتمُ فقد جعلتْ أشياء تبدو وتُكتَمُ !

فبلغ ذلك عبد الملك فقال : ما ظننتُ أننا نُجْهَل ، واللهِ لولا رِعايَتي لحُرْمته لألحقته بما يعلم ، ولقطَّعتُ جلدَه بالسِّياط .

طلاق وندامة

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةُ قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن العُتْبيّ قال :

طلَّق أبو قطيفة امرأته فتزوجها رجل من اهل العراق ثم ندم بعد ان رحل بها الرجل وصارت له فقال :

فيا أسفَا لفُرْقَةِ أمِّ عَمْرٍو ورِحلةِ أهلِها نحوَ العِراقِ
فليسَ الى زيارتِها سبيلٌ ولا – حتَّى القيامةِ – من تلاقي
وعلَّ الله يَرجِعُها إلينا بموتٍ من حَليلٍ ، او طلاقِ
فأرْجِعَ شامتاً ، وتَقَرَّ عيني ويُجْمعَ شملُنا بعد افتراقِ

مقتل وال

أخبرني عمي ومحمد بن جعفر قالا حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ

(١) وكني به لأن لثته كانت تدمى فيقع عليها الذباب .
(٢) الذئب الخبيث او كلب الصيد الخبيث .

قال حدثنا محمد بن علي بن أبي حَسّان عن هِشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه قال :

استعمل معاوية ، سعيد بن عثمان على خُراسان ، فلما عزَله قَدِم المدينة بمالٍ وسلاحٍ وثلاثين عبداً من السُّغْد [١] فأمرهم ان يبنوا له داراً . فبيْنا هو جالس فيها — ومعه ابن سَيْحانَ وابن زِينةَ وخالد بن عقبة وأبو قطيفة — إذ تآمروا [٢] بينهم فقتلوه ؛ فقال ابو قطيفة يرثيه ، وقيل انها لخالد بن عقبة :

يا عينُ جودي بِدمعٍ منكِ تَهْتانا   وابكي سعيدَ بن عثمانَ بن عفّانا
إن ابنَ زِينةَ لم تصدقْ مودّتُه   وفرّ عنه ابنُ أرطاةَ بنِ سَيْحانا

(١) السغد ؛ قصبتها « سمرقند » وتكتب بالصاد ايضاً .
(٢) مرجع الضمير فيه هم هؤلاء العبيد ، قال ابن قتيبة ؛ كان سعيد بن عثمان اعور بخيلاً وقُتل ، وكان سبب قتله انه كان عاملاً لمعاوية على خراسان فعزله معاوية فأقبل معه برُهُن كانوا في يديه من اولاد الصغد الى المدينة والقاهم في ارض يعملون له فيها بالمساحي (المجارف) فأغلقوا يوماً باب الحائط ووثبوا عليه فقتلوه فطُلبوا فقتلوا انفسهم .

ذِكرمَعبَد وَبعض أخبارِه

نسبه واسلوب حياته

هو مَعبد بن وَهب ، وقيل ابن قَطَنِيّ مولى ابن قطر ، وقيل ابن قَطَن مولى العاص بن وابصة المخزومي ، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان .

اخبرني الحرميّ بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن ابن عبد الله الزهري قال ، معبد المغني ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر .

واخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن ابيه قال قال ابن الكلبي ؛ معبد مولى ابن قطر ، والقطريون موالي معاوية بن ابي سفيان .

واخبرني اسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا ابو غسان قال :

معبد بن وهب مولى ابن قطن وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم ، وكان أبوه أسودَ وكان هو خِلاسياً (١) مديد القامة أحولَ .

وذكر ابن خُرْدَاذِبَه (٢) انه غنّى في أوّل دولة بني امية وأدرك دولة بني العباس وقد اصابه الفالِجُ وارتعَشَ وبَطَل ، فكان اذا غنّى يُضحَك منه ويُهزأ به . وابن خرداذبة قليل التصحيح لما يَرْوِيه ويُضمّنه كُتُبَه . والصحيح ان معبداً مات في ايام الوليد بن يزيد بدِمَشق وهو عنده . وقد قيل : انه اصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل

(١) الخلاسي بالكسر ؛ الولد بين ابوين ابيض واسود .

(٢) كذا ضبط بالقلم في كتابه « المسالك والممالك » وضبطه شارح القاموس بالعبارة مادة روم بقوله : « بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها الف وكسر الذال المعجمة وسكون الباء التحتية وآخره هاء » .

صوته ، فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يَروِه احد سوى ابن خرداذبه ولا قاله ولا رواه عن احد وإنما جاء به مُجازفةً .

اخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني ايوب بن عمر ابو سلمة المديني قال حدثنا عبد الله بن عمران بن ابي فروة قال : حدثني كردم ابن معبد المغني مولى ابن قطن قال :

مات أبي – وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه – فنظرت حين أُخرِجَ نعشُه إلى سَلاَّمةِ القسّ (جارية يزيد بن عبد الملك) وقد أضربَ الناسُ عنه ينظرون اليها وهي آخذة بعَمُود السَّرير ، وهي تبكي أبي وتقول :

قد لَعَمْري بِتُّ لَيْلي كأخي الدَّاءِ الوجيع
ونَجِيُّ (١) الهمِّ مِني باتَ أدنى مِنْ ضجيعي
كلما أبْصَرْتُ رَبعاً خالياً فاضَتْ دُمُوعي
قد خلا من سَيِّدٍ كا نَ لنا غيرَ مُضيع
لا تَلمنا إنْ خَشَعْنا او هَمَمْنا بخُشوع

كرامة الفن

قال كرْدَم : وكان يزيد امر ابي ان يعلِّمها هذا الصوت ، فعلمها إياه فندبته به يومئذ ؛ قال : فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يزيدَ والغَمْرَ اخاه متجرِّدَينِ في قميصين ورداءين يمشيان بين يديْ سَريره حتى أُخْرِجَ من دار الوليد ، لأنه تولى امره واخرجه من داره الى موضع قبره .

فأما نسبة هذا الصوت ، فإن الشعر للأحوَص ، والغناء لمعبد ، ذكره يونس ولم يُجنِّسه . وذكر الهِشاميّ انه ثاني ثَقيلٍ بالوُسطى ، قال : وفيه لحبابة خفيف ثقيل ، ولابن المكي ثقيلٌ اوّلُ نشيد . وفيه لسلاَّمةِ القس عن إسحاق لحنٌ من القدْر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجْراها .

---

(١) النجي : المناجي ، من النجوى وهي الحديث سراً .



معبد

اخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه قال قال ابو عبيدة :

ذكر مولىً لآل الزبير – وكان منقطعاً إلى جعفر ومحمد أبنيْ سليمان ابن علي – : ان معبداً عاش حتى كبر وانقطع صوته ، فدعاه رجل من ولد عثمان ، فلما غنّى الشيخ لم يَطرب القوم ، وكان فيهم فِتيانٌ نُزولٌ من ولد أَسيد بن ابي العِيص بن أمية ، فضحكوا منه وهزئوا به ، فأنشأ يغني :

فضحتم قريشاً بالفِرار ، وانـتمُ
قُمُدُونَ (١) سودانٌ (٢) عظامُ المناكبِ
فأما القتالُ لا قتالَ لديكمُ ولكنْ سيراً في عِراض المواكبِ

وهذا شعرٌ هُجُوا به قديماً ، فقاموا اليه ليتناولوه فمنعهم العثماني من ذلك وقال : ضحكتم منه حتى إذا أحفَظتموه (٣) اردتم ان تتناولوه ، لا واللهِ لا يكون ذلك . قال إسحاق : فحدثني ابن سلاّم قال اخبرني من رآه على هذه الحال فقال له أصِرْتَ إلى ما ارى ؟ فأشار إلى حلقهِ وقال : إنما كان هذا ؛ فلما ذهب ذهب كل شيء .

تفوق معبد

قال إسحاق : كان معبد من احسن الناس غناء ، واجودهم صنعة ، وأحسنِهم حلقاً ؛ وهو فحل المغنين وإمام اهل المدينة في الغناء ، واخذ عن سائبِ خاثرٍ ، ونَشيطٍ مولى عبد الله بن جعفر ، وعن جَميلةَ مولاةِ بَهْزٍ – بَطنٍ من سُليْم – وكان زوجها مولىً لبني الحارث ابن الخَزْرَج ، فقيل لها مولاة الأنصار لذلك . وفي معبد يقول الشاعر :

اجادَ طُوَيسٌ والسُّرَيجِيُّ بعدَه وما قصَباتُ السَّبقِ إلا لمعبدِ

(١) القمُدّ : القوي الشديد .
(٢) سودان : جمع سود وهو جمع اسود ، من السيادة ، والشعر للحارث بن خالد المخزومي .
(٣) أغضبتموه .

قال اسحاق : قال ابن الكلبي عن ابيه : كان ابن أبي عتيقٍ خرج الى مكة فجاء معه ابن سريج الى المدينة فأسمعوه غناء معبد وهو غلام ، وذلك في أيام مُسلِم بن عُقبة المُرّيّ ، وقالوا : ما تقول فيه ؟ فقال : لئن عاش كان مُغنّي بلاده . ولمعبد صنعةٌ لم يسبقه اليها من تقدّم ، ولا زاد عليه فيها من تأخر . وكانت صناعة التجارة في أكثر أيام رِقّه ، وربما رعى الغنم لمَواليه وهو مع ذلك يختلف الى نَشيطٍ الفارسي وسائبٍ خاثرٍ مولى عبد الله بن جعفر حتى اشتهر بالحِذْق وحسن الغناء وطِيبِ الصوت . وصَنَعَ الالحان فأجاد واعتُرِفَ له بالتقدم على أهل عصره .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على ابي :

قال الجُمَحيّ : بلغني ان معبداً قال : والله لقد صنعتُ ألحاناً لا يقدِر شبعان ممتلِيء ولا سَقّاءٌ يحمل قِرْبةً على الترنم بها ، ولقد صنعتُ ألحاناً لا يقدر المتّكِيءُ ان يترنم بها حتى يقعد مُسْتَوفِزاً (١) ، ولا القاعدُ حتى يقوم .

قال اسحاق : وبلغني ان معبداً أتى ابن سُرَيْج — وابن سريج لا يعرفه — فسمع منه ما شاء ثم عرض نفسه عليه وغنّاه وقال له : كيف كنت تسمع ؟ — جُعِلْتُ فداءك — فقال له : لو شئتَ كنتَ قد كُفِيتَ بنفسك الطلبَ من غيرك . قال : وسمعتُ من لا أحصي من أهل العلم بالغناء يقولون : لم يكن فيمن غنّى ، أحدٌ أعلم بالغناء من معبد . قال : وحدّثني أيوب بن عَبايَةَ قال : دخلت على الحسن بن مسلم أبي العَراقيب وعنده جاريته عاتِكَةُ فتحدّث فذكر معبداً فقال : أدركته يلبس ثوبين مُمَشّقَيْن (٢) وكان إذا غنى علا منخراه ، فقالت عاتكة : يا سيدي أوَ أدركْتَ معبداً ! قال إي والله وأقدَمَ من معبد ، فقالت : استحييتُ لك من هذا الكِبَر .

(١) قعدة المستوفز هي قعدة الجالس على هيئة كأنه يريد القيام .
(٢) مصبوغين بالمشق بالكسر والفتح وهو المغرة وهي صبغ احمر .

التسبيق في الغناء :

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد : قرأت على أبي أخبرني محمد بن سلاّم قال حدّثني جرير قال قال معبد : قدمت مكة فقيل لي : ان ابن صفوانَ قد سبّق (١) بين المغنين جائزةً ، فأتيت بابه فطلبت الدخول ، فقال لي آذِنُهُ : قد تقدّم إليّ ألاّ آذَنَ لأحد عليه ولا أُوْذِنَه (٢) به ، قال ، فقلت : دعني ادنو من الباب فأغني صوتاً ، قال : أمّا هذا فنَعَمْ ، فدنوت من الباب فغنّيتُ ، فقالوا : معبد ! وفتحوا لي ، فأخذت الجائزة يومئذٍ .

اخبرني الحسين قال نسخت من كتاب حماد قال ابي : وذكر عَوْرَكٌ – وهو الحسن بن عُتْبَةَ اللّهَبيّ – ان الوليد بن يزيد كان يقول : ما أقدرُ على الحجّ ؛ فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : يستقبلني أهل المدينة بصوتَيْ معبد :

* القصرُ فالنخلُ فالجمّاءُ بينهما *

و « قُتَيْلَةَ » يعني لحنه :

يومَ تُبْدِي لنا قُتَيْلَةُ عن جيدٍ تليعٍ (٣) تَزِينُهُ الاطواقُ

قال اسحاق : قيل لمعبد : كيف تصنع اذا اردت ان تصوغ الغناء؟ قال : أرْتَجِلُ قَعُودي وأوقّع بالقَضيب على رحلي وأترنّم عليه بالشّعر حتى يستوي لي الصوتُ ، فقيل له : ما أبْيَنَ ذلك في غنائك !

قال إسحاق : وقال مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيّ قال يحيى بن عباد بن حمزه ابن عبد الله بن الزبير حدّثني أبي قال :

قال معبد : كنت غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزومٍ ،

(١) يقال سبق اذا اخذ السبق او اعطاه
(٢) اي امرني ألا ادخل عليه احداً ولا اعلمه به .
(٣) تليع : طويل ، والبيت للأعشى .

وكنت أتلقى الغَنَم بظَهْر الحَرَّة ، وكانوا تِجَارًا أعالِجُ لهم التجارةَ في ذلك ، فآتي صخرةً بالحَرَّة مُلْقاةً بالليل فأستند اليها فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مسامعي فأقوم من النوم فأحكيه ، فهذا كان مبدأ غنائي.

شهادات الأقطاب فيه :

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد : قال أبي قال محمد بن سعيد الدوسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدوسي عن الربيع بن ابي الهيثم قال :

كنا جُلوساً مع عبد الله بن جعفر بن ابي طالب فقال إنسانٌ لمالك : أَنْشُدك اللهَ ، أنت أحسن غناءً أم معبدٌ ؟ فقال مالك : والله ما بلغتُ شِراكه قط ، والله لو لم يُغَنّ معبد إلا قوله :

لعَمْرُ أبيها لا تقولُ حليلتي
ألا فَرَّعَني مالكُ بنُ أبي كَعْبِ
وهُمْ (١) يَضْرِبُونَ الكَبْشَ تَبْرُقُ بَيْضُه
ترى حَوْلَه الأبْطالَ في حلَقٍ شُهْبِ

لكان حَسْبُه ! . قال : وكان مالك إذا غنى غناء معبدٍ يُخَفِّفُ منه، ثم يقول : أطال الشعرَ معبدٌ ومَطّطه ، وحذفتُه أنا ؛ وتمام هذا الصوت:

صوت

من غير المائة المختارة

لَعَمْرُ أبيها لا تقولُ حليلتي
ألا فَرَّعني مالكُ بنُ أبي كَعْبِ

(١) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : واحدتها بيضة وهي الخوذة توضع على الرأس وقت الحرب أو هي البيض بكسر الباء ، جمع ابيض وهي السيوف . والحلق : واحدته حلقة وهي الدرع .

وهُمْ يَضْرِبُونَ الكَبْشَ تَبْرُقُ بَيْضُهُ
تَرَى حَوْلَه الأبطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ
إذا أنْفَـذوا الزِّقَّ الرَّوِيَّ وصُرِّعُوا
نَشَاوَى فلم أقْطَعْ بقولي لهم حَسْبِي
بعثْتُ إلى حَانُوتِهـا فسَبَأْتُهـا
بغيرِ مِكَاسٍ في السَّوَامِ ولا غَصْبِ (١)

عروضه من الطويل . والشعر لمالك بن أبي كعب بن القين الخزرجي احد بني سلمة ، هكذا ذكر اسحاق . وغيره يذكر انه من مراد . ولهذا الشعر خبر طويل يذكر بعد هذا . والغناء في البيتين الأولين لمعبد ثقيل او بالوسطى . ومن الناس من ينسبه الى ابن سريج . ولمالك في الثالث والرابع من الابيات لحن من الثقيل الاول بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق . ومن الناس من ينسب هذا اللحن الى معبد ويقول : ان مالكاً اخذ لحنه فيه فحذف بعض نغمه وانتحله ، وان اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة . وقد ذكر ان هذا الشعر لرجل من مراد وروى له فيه حديث طويل . وقد اخرج خبره في ذلك وخبر مالك بن ابي كعب الخزرجي ابي كعب بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله في موضع آخر افرد له اذ كانت له اخبار كثيرة ، ولأجله لا تصلح ان تذكر هاهنا .

رجع الخبر الى معبد — أخبرني اسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسان عن يونس الكاتب قال :

أقبلت من عند معبد فلقيني ابنُ مُحْرِز ببُطْحانَ (٢) فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند أبي عَبّاد ؛ فقال : ما أخذت عنه ؟ قلت : غنى صوتاً فأخذته ؛ قال : وما هو ؟ قلت :

ماذا تأمّلَ واقفٌ جَمَلاً في رَبْعِ دارٍ عابهِ قِدَمُهْ

— الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد — فقال لي : ادخل

(١) سبأ الخمر واستبأها ، اشتراها . وماكسه مماكسة ومكاسا ، شاحه . والسوام كالسوم ، استعراض السلع وتقدير اثمانها من البائع او من المشتري .
(٢) احد أودية المدينة الثلاثة وهي العقيق وبطحان وقناة .

معي دار ابن هَرْمَةَ وألقِه علي ، فدخلت معه ، فما زلت أردده عليه حتى غناه ثم قال : ارجع معي الى أبي عباد ، فرجعنا فسمعه منه ، ثم لم نفترق حتى صنع فيه ابن محرز لحناً آخر .

نسبة هذا الصوت

صوت

ماذا تأمَّلَ واقفٌ جَمَلاً   في رَبْعِ دارٍ عابَهِ قِدَمُهْ
أقْوَى وأقْفَرَ غيرَ مُنْتَصِبٍ   لَبِدِ الرَّمادَةِ ناصعٍ حُمَمُهْ(١)

غناه معبد ، ولحنه ثقيل اول بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه خفيف ثقيل اول بالوسطى ينسب الى الغريض والى ابن محرز . وذكر عمرو بن بانة ان الثقيل الأول للغريض . وذكر حبش ان فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه رمل بالوسطى ينسب الى سائب سائر ؛ وذكر حبش انه لإسحاق .

تقدير الأكفاء :

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حماد : قال ابي قال ابن الكلبي :

قدم ابن سريج والغَرِيضُ المدينة يتعرّضان لمعروف اهلها ، ويزوران من بها من صَدِيقِهما(٢) من قريش وغيرهم ، فلما شارفاها(٣) تقدما ثَقَلَهما ليرْتادا منزلاً حتى إذا كانا بالمغسِلة – وهي جَبَّانَةٌ على طرف المدينة يغسل فيها الثياب – إذا هما بغلام مُلْتَحِفٍ بإزارٍ وطَرَفُه على رأسه ، بيده حِبالَةٌ يتصيَّد بها الطير وهو يتغنَّى ويقول :

---

(١) لبد الرمادة : متلاصق ، يقال : تلبد الشعر والصوف : تلاصق ، وتلبد التراب والرمل كذلك ، ولبده المطر . وهو وصف لربع في البيت السابق . والحمم : واحدته حممة وهي الرماد والفحم وكل ما احترق من النار .

(٢) الصديق : يقال للواحد والجمع ، قال تعالى : (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) .

(٣) شارف الشيء : دنا منه وقرب .

القصرُ فالنخلُ فالجمّـــاء بينهما أشهى الى النفس من أبواب جَيْرونِ

وإذا الغلام معبد ، قال : فلما سمع ابن سريج والغريض معبداً مالا إليه واستعاداه الصوت فأعاده ، فسمعا شيئاً لم يسمعا بمثله قطُّ ، فأقبل أحدهما على صاحبه فقال : هل سمعتَ كاليوم قطُّ ؟ قال : لا والله ! فما رأيك ؟ قال ابن سريج : هذا غناء غلام يصيد الطير ، فكيف بمن في الجوبة ! – يعني المدينة – قال : أمّا أنا فثكلتْه والدتُه إن لم أرجع ، قال : فكرّا راجعين .

تنافس الموهوبين :

قال : وقال معبد : قدمت مكة فذهب بي بعض القرشيـــين الى الغريض فدخلنا عليه وهو مُتَصَبِّح [1] ، فانتبه من صُبحَتِه وقعد ، فسلم عليه القرشي وسأله ، فقال له : هذا معبد قد أتيتك به ، وأنا أحب أن تسمع منه ، قال : هات ، فغنيته أصواتاً ، فقال بمِدْرَى [2] معه في رأسه ، ثم قال : إنك يا معبد لمليح الغناء ، قال : فأحفظني ذلك فجثَوْتُ على رُكبتيَّ ، ثم غنّيتُه من صَنْعتي عشرين صوتاً لم يُسمع بمثلها قط ، وهو مُطرِقٌ واجِمٌ قد تغير لونه حسداً وخجلاً .

مع تلامذته :

قال إسحاق : واخبِرتُ عن حَكمٍ الواديّ قـــال : كنت انا وجماعةٌ من المغنين نختلِفُ الى معبد نأخذ عنه ونتعلم منه ، فغنانا يوماً صوتاً من صنعته وأُعجِبَ به وهو :

* القصرُ فالنخلُ فالجمّاء بينهما *

فاستحسناه وعجبنا منه ، وكنت في ذلك اليوم اول من اخذه عنه

(١) التصبح : النوم بالغداة .
(٢) فقال : فحرك ، والمدرى : اداة يحك بها الرأس .

واستحسنه مني فأعجبتني نفسي ، فلما انصرفت من عند معبد عملتُ فيه لحناً آخر وبكرت على معبد مع اصحابي وانا معجب بلحني ، فلما تغنينا اصواتاً قلت له : إني قد عملت بعدك في الشعر الذي غنيتناه لحناً ، واندفعت فغنيته صوتي ، فوجَم معبد ساعةً يتعجب مني ثم قال : قد كنتُ امسِ أرجى منّي لك اليومَ وأنت اليومَ عندي أبعدُ من الفلاحِ ، قال حكم : فأنسيت - يعلم الله - صوتي ذلك منذ تلك الساعة فما ذكرته الى وقتي هذا .

في الطريق إلى مكة :

قال إسحاق : وقال معبد : بعث إليّ بعض أمراء الحجاز - وقد كان جُمِعَ له الحرمانِ - أنِ اشْخَصْ إلى مكة ؛ فشخصت ، قال : فتقدمت غلامي في بعض تلك الأيام واشتد عليّ الحر والعطش ، فانتهيت الى خباء فيه اسودُ واذا حِبابُ [١] ماء قد بُرِّدَتْ ، فملت اليه فقلت : يا هذا ، اسْقِني من هذا الماء ، فقال : لا ، فقلت : فأذَنْ لي في الكِنِّ [٢] ساعةً ، قال : لا ، فأنختُ ناقتي ولجأتُ الى ظِلِّها فاستترت به وقلت : لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئاً من الغناء أقْدَمُ به عليه ، ولعلي إن حرّكتُ لساني أن يَبُلَّ حلقي ريقي فيُخفِّفَ عني بعضُ ما أجده من العطش ، فترنمتُ بصوتي :

* القصرُ فالنخلُ فالجمّاء بينهما *

فلما سمعني الأسود ، ما شعرْتُ به إلا وقد احتملني حتى أدخلني خباءه ثم قال : إي ، بأبي انت وأمي ! هل لك سويق السُّلْتِ [٣]

(١) جمع حب بالفم وهي الجرة صغيرة كانت ام كبيرة .

(٢) الكن : ما وقاك من حر او برد ، اي ائذن لي في ان استظل بكنك ساعة من جهد الحر والعطش .

(٣) قال الليث : السلت : شعير لا قشر له اجرد ، يتبردون بسويقه في الصيف . والسويق ما يتخذ من الحنطة والشعير .

بهذا الماء البارد ؟ فقلت : قد منعتني أقل من ذلك ، وَشَرْبَةُ ماءٍ تُجْزِئُني ، قال : فسقاني حتى رَوِيتُ وجاء الغلام فأقمت عنده الى وقت الرَّواح ، فلما اردت الرّحلة قال : إي ، بأبي انت وامي ! الحر شديد ولا آمَنُ عليك مثلَ الذي أصابك ، فأذن لي في ان أحمِلَ معك قِرْبَةً من ماء على عُنُقي وأسعى بها معك ، فكلما عَطِشْتَ سَقَيْتُك صَحْناً وغنَّيْتني صوتاً ، قال : قلت ذاك لك ، فوالله ما فارَقني يَسقِيني وأُغنّيه حتى بلغت المنزل .

معبد وابن سريج :

نسخت من كتاب جعفر بن قُدامَة بخطه : حدثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير عن جرير قال :

كان معبد خارجاً الى مكة في بعض أسفاره ، فسمع في طريقه غناء في « بَطْنِ مَرٍّ (١) » فقصد الموضع ، فاذا رجل جالس على حَرْفِ بِرْكَةٍ فارِقٌ شَعْرَه ، حسن الوجه ، عليه دُرَّاعةٌ (٢) قد صبغها بزَعْفَرانٍ ، وإذا هو يتغنى :

صوت

حَنَّ قَلْبي مِنْ بَعْدِ ما قَدْ أنابا … ودَعا الهَمَّ شَجْوُه فأجابا
ذاكَ مِنْ منزلٍ لِسَلْمَى خَلاءٍ … لابِسٍ من خلائه جِلْبابا
عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْبِ عوجوا … طَمَعاً أنْ يَرُدَّ ربعٌ جَوابا
فاسْتَثارَ المَنْسِيَّ من لَوْعةِ الحبِّ وأبْدَى الهُمُومَ والأوْصابا

(١) بطن مر : من نواحي مكة عنده يجتمع وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً ويقال له : « مر الظهران » .

(٢) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

فقرع معبد بعصاه وغنّى :

منعَ الحياة من الرجالِ ونفعَها حدَقٌ تُقلّبُها النساءُ مِراضُ
وكأنّ أفئِدَةَ الرجالِ إذا رأوا حدَقَ النساءِ لنبلِها أغراضُ

فقال له ابن سريج : بالله انت معبد ؟ قال : نعم ، وبالله انت ابن سريج ؟ قال : نعم ، ووالله لو عرفتك ما غنّيت بين يديك .

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

حَنَّ قلبي من بعد ما قد أنابا ودعـا الهمَّ شَجْوَه فأجابا
فاستثـار المنسيَّ من لوعـة الحبِّ وأبدى الهمومَ والاوصابا
ذاك من منزلٍ لسَلْمى خَلاءٍ مُكْتَنَسٍ من عفائه جلبابا
عُجتُ فيه وقلت للرَّكب عُوجُوا طمعاً ان يردَّ رَبْعٌ جوابا
ثانِياً من زِمامِ وَجْناءَ عَنْسٍ قانِياً لونها يُخالُ خِضابا (١)
جَدُّها الفالِجُ الأَشمُّ من البُخْتِ وخالاتُها انتُخِبنَ عِرابا (٢)

الشعر لعمر بن ابي ربيعة ، والغناء لأبن سريج ، وله فيه لحنان ، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وخفيف ثقيـل اوّل بالبنصر عن عمرو .

---

(١) الوجناء : الناقة الشديدة . والعنس : الناقة القوية . والحرف من الإبل : النجيبة الماضية التي انضتها الأسفار ، شبهت بحرف السيف في مضائها ونجائها ودقتها .

(٢) الفالج الجمل الضخم يحمل من السند للفحلة . والبخت الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج . والعراب : العربية وهي خلاف البراذين .

صوت

منَعَ الحياة من الرجال ونَفْعَها حدَقٌ تقلّبُها النساء مِراضُ
وكأنَّ أفئدةَ الرجال إذا رأوا حدَقَ النساء لنَبلِها أغراضُ

الشعر للفرزدق ، والغناء لمعبد ثقيل اول عن الهشامي .

لقاء في سفينة :

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابيه عن سِياطٍ قال حدثني يونس الكاتب قال :

كان معبد قد علّم جارية من جواري الحجاز الغناء - تدعى « ظبية » - وعُنيَ بتخريجها ، فاشتراها رجل من اهل العراق فأخرجها الى البصرة وباعها هناك ، فاشتراها رجل من اهل الاهواز فأعجب بها وذهبتْ به كل مَذْهَبٍ وغلبَتْ عليه ، ثم ماتت بعد ان اقامت عنده بُرهةً (١) من الزمان وأخذ جواريه اكثر غنائها عنها ، فكان لمحبته إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبدٍ وأين مستَقَرّه ، ويُظهِر التعصّب له والميل اليه والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصره الى ان عُرِف ذلك منه ، وبلغ معبداً خبره ، فخرج من مكة حتى أتى البصرةَ ، فلما وردها صادَفَ الرجلَ قد خرج عنها في ذاك اليوم الى الاهواز ، فاكترى سفينة وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها الى الاهواز فلم يجد غيرَ سَفينة الرجل وليس يعرف أحدٌ منها صاحبَه ، فأمر الرجلُ الملاّح ان يُجلِسَه معه في مؤخّر السفينة ففعل وانحدروا ، فلما صاروا في فَم نهر الأُبُلّةِ (٢)

(١) البرهة بالفتح وبضم : الزمان الطويل ، وقيل : الزمان مطلقاً .
(٢) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة . ويقال فيه : الأبلة بفتح الهمزة والباء .

تغدَّوْا وشرِبوا ، وأمر جواريه فغنَّيْنَ ، ومعبد ساكت وهو في ثياب السَّفر ، وعليه فرو وخُفَّانِ غَلِيظانِ وزِيٌّ جافٍ من زِيِّ أهل الحجاز الى ان غنت احدى الجواري :

صوت

بانت سُعادُ وأمْسَى حَبْلُها انْصَرَما
وَاحْتَلَّتِ الغَوْرَ والأجْراعَ مِنْ إضَما(١)
إحْدَى «بَلِيٍّ» ، وما هام الفؤادُ بها
إلاَّ السَّفَاهَ ، وإلاَّ ذِكْرَةً حُلُما(٢)

قال حماد ، والشعر للنابغة الذبياني . والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل اول بالبنصر ، وفيه لغيره الحان قديمة ومحدثة .

فلم تُجِدْ أداءَه ، فصاح بها معبد : يا جارية ، ان غناءكِ هذا ليس بمستقيم ؛ قال : فقال له مولاها — وقد غضب — : وانت ما يُدْرِيكَ الغناءَ ما هو ؟ لِمَ لا تُمْسك وتلزم شأنك ؛ فأمسك ، ثم غنّت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنّتْ :

صوت

بابنةِ الأزْدِيِّ قَلْبي كَئِيبُ مُسْتَهامٌ عِنْدَها ما يُنِيبُ

---

(١) الغور: المطمئن من الأرض . والأجراع : جمع جرعة وهي الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها . و إضم : بكسر ففتح، واد بجبل تهامة .

(٢) بلي كغني، اسم قبيلة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة : بالكسر والضم ، نقيض النسيان .

وَلَقَدْ لاَمُوا. فقلتُ: دَعُوني   إنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبيب
إنمَّا أبْلَى عِظَامي وجِسمِي   حُبُّها، والحبُّ شيءٌ عَجيبُ
أيُّها العائبُ عِندي هَوَاهـا   أنتَ تَفْدِي مَنْ أراكَ تَعيبُ

– والشعر لعبد الرحمن بن ابي بكر ، والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر – قـال :

فأخلَّتْ ببعضه ، فقال لها معبد : يا جاريةُ ، لقد أخْلَلْتِ بهذا الصوت إخلالاً شديداً ، فَغضِبَ الرجلُ وقال له : ويلك ! ما أنتَ والغناءَ ! ألا تَكُفُّ عن هذا الفُضُول ! فأمسك ، وغنَّى الجَوَارِي مَلِيًّا ، ثم غنَّتْ إحداهنَّ :

صوت

خَلِيلَيَّ عُوجا فَابْكِيَا(١) ساعةً معي
على الرَّبْعِ ، نَقْضِي حاجـةً ونُوَدِّعِ
ولا تُعْجِلاَنِي أنْ أُلِمَّ بدِمْنَـةٍ
«لِعَزَّةَ» لاحتْ لي ببَيْـداءَ بَلْقَعِ
وقُولا لِقلبٍ قدْ سلا: رَاجِـعِ الهوَى
ولِلعَيْنِ : أذْرِي مِنْ دُموعِكِ أو دَعِي
فلا عَيْشَ ، إلاَّ مثلُ عَيْشٍ مَضَى لنَـا
مَصِيفًا أقَمْنا فيه مِن بعـد مَرْبَعِ

– الشعر لكثير ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى ، وفيه رمـل للغريض – قال :

(١) في جميع النسخ المطبوعة والمخطوطة « منكيا » والتصحيح من مسالك الابصار .

فلم تصنعْ فيه شيئاً ، فقال لها معبد : يا هذه ، أما تقومين على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما أراكَ تَدَعُ هذا الفُضُولَ بوجه ولا حيلة ! وأُقسِم بالله لئن عاوَدْتَ لأُخرِجنَّكَ من السفينة ؛ فأمسك معبدٌ حتى اذا سكتت الجواري سَكْتَةً اندفع يغني الصوت الأول حتى فرغ منه ، فصاح الجواري : أحسنتَ والله يا رجل ! فأعِدْه ، فقال : لا والله ولا كرامةَ ، ثم اندفع يغني الثاني ، فقلن لسيدهن : ويحكَ ! هذا والله أحسنُ الناس غناء ، فسله أن يعيده علينا ولو مرّة واحدة ، لعلنا نأخذه عنه ، فانه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً ؛ فقال : قد سمعتنّ سوءَ ردّه عليكنّ وأنا خائف مثلَه منه وقد أسلَفْناه الاساءةَ فاصبرنَ حتى نُداريَه ثم غنى الثالث ، فزلزَلَ عليهم الأرضَ ، فوثب الرجل فخرج اليه وقبّل رأسه وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعَك ، فقال له : فهبْكَ لم تعرف موضعي ، قد كان ينبغي لك أن تتثبّت ولا تُسرعَ إليّ بسوء العِشْرة وجفاء القول ، فقال له : قد أخطأتُ وأنا أعتذر اليك مما جرى وأسألك أن تنزل إليّ وتختلط بي ، فقال : أمّا الآن فلا ؛ فلم يزل يرفُق به حتى نزل اليه ؛ فقال له الرجل : ممن أخذتَ هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز ، فمِنْ أين أخذه جواريك ؟ فقال : أخذنه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة وكانت قد أخذت عن أبي عَبّاد معبدٍ وعُنيَ بتخريجها ، فكانت تَحُلُّ مني محلَّ الروح من الجسد ثم استأثر الله ، عز وجل بها ، وبقي هؤلاء الجواري وهنّ مِنْ تعليمِها ، فأنا الى الآن أتعصّب لمعبد وأفضّله على المغنين جميعاً وأفضّل صنعته على كل صنعة ؛ فقال له معبد : أوَ إنك لأنت هو ! أفتعرفني ؟ قال : لا ، قال : فصكّ[1] معبدٌ بيده صلْعتَه ثم قال : فأنا والله معبدٌ ، واليك قدمتُ من الحجاز ووافيتُ البصرةَ ساعةَ نزلتَ

(١) صك : ضرب .

السفينة لأقصدَك بالأهواز ، ووالله لا قصَّرْتُ في جواريك هؤلاء ولأجعلَنَّ لك في كل واحدة منهن خلَفاً من الماضية ، فأكبَّ الرجلُ والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمتنا نفسك طولَ هذا اليوم حتى جَفَوْناك في المخاطبة ، وأسأنا عِشْرَتَك ، وأنت سيّدنا ومن نتمنّى على الله أن نلقاه ؛ ثم غيّر الرجل زيّه وحاله وخلع عليه عِدّةَ خِلَع وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها وانحدر معه الى الأهواز فأقام عنده حتى رَضِيَ حِذْقَ جواريه وما أخذْنَه عنه ، ثم ودعه وانصرف الى الحجاز .

عند الخليفة

اخبرني الحسن بن علي الخفاف وعبد الباقي بن قانع قالا : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال حدثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدثني عمر القاري بن عدي قال :

قال الوليد بن يزيد يوماً : لقد اشتقت الى معبد ، فوجه البريد الى المدينة فأتى بمعبد ، وأمر الوليد ببِرْكةٍ قد هُيِّئت له فملئت بالخمر والماء ، وأُتِيَ بمعبد فأمر به فأُجْلِسَ والبركة بينهما ، وبينهما سِتر قد أُرْخِيَ ؛ فقال له غنّني يا معبد :

صوت

لَهْفِي ؟ على فِتْيةٍ ذَلَّ الزمانُ لهمْ ، فما أصابهمُ إلاَّ بما شاءُوا

ما زال يَعْدُو عليهم رَيبُ دَهْرِهِمُ ، حتّى تفانَوْا ورَيْبُ الدهرِ عَدّاءُ

أَبْكى فِراقُهُمُ عَيْني وأرَّقها ،
إنَّ التفرُّق للأحباب بَكّاءُ

— الغناء لمعبد خفيف ثقيل ، وفيه ليحيى المكي رمل ، ولسليمان هزج ، كلها رواية الهشامي — قال : فغناه إياه ، فرفع الوليد السِّترَ ونزع مُلاءَةً مُطيَّبة كانت عليه وقذَفَ نفسَه في تلك البركة ، فنَهِل فيها نَهْلةً ثم أُتِيَ بأثوابٍ غيرها وتلقَّوْه بالمجامِرِ (١) والطِّيب ، ثم قال غنِّني :

صوت

يا رَبْعُ مالكَ لا تُجيبُ متيَّماً قد عاجَ نحوكَ زائراً ومُسلِّماً
جادتْكَ كلُّ سحابةٍ هَطّالةٍ حتى تُرَى عن زهرةٍ متبسِّما

— الغناء لمعبدٍ ثاني ثقيل بالوسطى والخنصر عن ابن المكي ، وفيه لعلويه ثاني ثقيل آخر بالبنصر في مجراها عنه — قال : فغنّاه فدعا له بخمسة عشر ألف دينار فصبَّها بين يديه ثم قال : انصرف الى اهلك واكتم ما رأيت .

واخبرني بهذا الخبر عمي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص قال : حدثني هارون ابن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني سليمان بن سعد الحلبي قال سمعت القاري بن عدي يقول :

اشتاق الوليد بن يزيد الى معبد فوجَّه اليه الى المدينة فأُحضِرَ ، وبلغ الوليد قدومه فأمر ببركةٍ بين يدَيْ مجلسِه فمُلئت ماءَ وردٍ قد خُلِط بمسك وزعفران ، ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة وبسط لمعبد مُقابِلَه على البركة ، ليس معهما ثالث ، وجيء بمعبد فرأى ستراً مُرْخى ومجلس رجل واحد ، فقال له الحُجّاب : يا معبد ، سلم على

(١) المجامر : جمع مجمرة بكسر الميم وهي المبخرة . والمجمر بحذف الهاء : ما يبخّر به من عود وغيره . وقد يراد به ما يراد بالمجمرة ايضاً .

امير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ، فسلم فردّ عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له : حيّاك الله يا معبد ! أتدري لِمَ وجهتُ اليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتك فأحببت ان اسمع منك ، قال معبد أأغنّي ما حضر أم ما يقترحه امير المؤمنين ؟ قال : بل غنّني :

ما زَالَ يَعْدو عليهم ريبُ دَهْرِهِمُ
حتّى تفانوا ، ورَيْبُ الدهرِ عدّاءُ

فغنّـــاه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجفَ ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الاولى ثم شرب وسقى معبداً ثم قال له : غنني يا معبد :

يا رَبْعُ ، مالَكَ ما تجيبُ متيّماً قد عاج نحوكَ زائراً ومسلّما
جادتكَ كلُّ سحابةٍ هطّالةٍ ، حتى تُرَى عن زُهْرة مُتبسّما
لو كنتَ تدري مَنْ دعاك ،أجبتَه وبكيتَ من حُرَقٍ عليه ـ إذاً ـ دَما

قال : فغنّاه وأقبل الجواري فرفعن السّتْرَ وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له : غنني ، فقال بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : غنني :

عَجِبَتْ لمّـــا رأتْني أندُب الربعَ المُحيلا (١)
واقفـاً في الدار ابكي لا أرَى إلاّ الطّلولا
كَيْفَ تبْكي لأناسٍ لا يَملّونَ الذّميلا (٢) ؟
كلّما قلتُ : اطمأنّت دارُهم ، قالوا : الرّحيلا

قال : فلما غنّاه رمى نفسه في البركة ثم خرج فردّوا عليه ثيـابه ثم شرب وسقى معبداً ثم أقبل عليه الوليد فقـال له : يا معبد ، من أراد

(١) المحيل : الذي أتت عليه احوال فغيرته .
(٢) الذميل : السير اللين ما كان أو هو فوق العَنَق .

أن يزداد عند الملوك حُظْوة" فليكتم أسرارهم ، فقلت : ذلك ما لا يحتاج أمير المؤمنين الى إيصائي به ، فقال : يا غلام ، احمل الى معبدٍ عشرةَ آلاف دينار تُحصّل (١) له في بلده وألفي دينار لنفقة طريقه ، فحُملت اليه كلُّها وحُمِل على البريد (٢) من وقته الى المدينة .

معبد في الحمام

قال اسحاق : وقال معبد : أرسل إليّ الوليد بن يزيد فأُشخِصتُ إليه ، فبينا أنا يوماً في بعض حمامات الشام إذ دخل عليّ رجل له هيبة ومعه غِلمان له فاطّلى (٣) واشتغل به صاحب الحمام عن رسائل الناس ، فقلتُ : والله لئن لم أطلِع هذا على بعض ما عندي لأكونَنّ بمزجر الكلب ، فاستدبرته حيث يراني ويسمع مني ثم ترنمت ، فالتفت إليّ وقال للغلمان : قدّموا اليه جميع ما هاهنا ، فصار جميعُ ما كان بين يديه عندي ، قال : ثم سألني أن اسير معه إلى منزله فأجبته ، فلم يَدَعْ من البِرّ والاكرام شيئاً إلا فعله ، ثم وضَع النبيذ ، فجعلت لا آتي بحَسَنٍ إلا خرجت الى ما هو أحسنُ منه وهو لا يرتاح ولا يَحفِلُ لما يرى مني ، فلما طال عليه امري ، قال : يا غلامُ ، شيخَنا شيخَنا ؛ فأتيَ بشيخ ، فلما رآه هشّ إليه ، فأخذ الشيخُ العودَ ثم اندفع يُغني :

سِلّورٌ في القِدْرِ وَيْلي عَلُوهْ (٤)
جاء القِطُّ أكلَهْ وَيْلي عَلُوهْ

السلور : السمك الجرّي (٥) بلغة أهل الشام ، قال : فجعل صاحبُ

---

(١) أي تدفع وتسلم .
(٢) البريد : مسافة تقدر باثنى عشر ميلا ويطلق على الرسول المرتب لنقل الرسائل .
(٣) اطلى : لطخ نفسه بنورة او نحوها .
(٤) لعل هذه لهجة شامية إذ ذاك في كلمة « عليه » .
(٥) الجري : حوت يكون بنيل مصر طويل أملس ليس له فصوص ولا ريش وله رأس الى الطول وفم مستطيل كالخرطوم .

المنزل يُصفّق ويضرب برجله طرباً وسروراً . قال ثم غنّاه :

وتَرميني حَبيبةُ بالدُّراقِنْ وتَحْسَبُني حبيبةُ لا أرَاها

الدُّراقِن : اسم الخوخ بلغة اهل الشام ، قال : فكاد أن يخرج من جلده طرباً ، قال : وانسلَلْتُ منهم فانصرفتُ ولم يُعلَمْ بي ، فما رأيتُ مثلَ ذلك اليوم قطُّ غناءً أضيعَ ولا شيخاً أجهلَ !.

معبد وابن عائشة

قال إسحاق : وذكر لي شيخٌ من أهل المدينة عن هارون بن سعد : أن ابن عائشة كان يُلقي عليه وعلى زُبَيْحةَ الشَّمَّاسيَّةِ ، فدخل معبدٌ فألقى عليهما صوتاً فاندفع ابن عائشةَ يُغنّيه وقد أخذه منه ، فغضب معبد وقال : أحسنتَ يا ابنَ عاهرةِ الدّارِ ، تُفاخِرُني ! فقال : لا والله – جعلني الله فداءك يا أبا عبّاد – ولكنّي أقتبِسُ منك وما أخذته إلا عنك ، ثم قال : أنشُدُكَ اللهَ يا بن شمّاس ، هل قلت لك : قد جاء أبو عباد فاجمَع بيني وبينه أقتبس منه ؟ قال : اللهمّ نعم .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه قال :

قيل لابن عائشة ، وقد غنى صوتاً أحسن فيه فقال : أصبحتُ أحسن الناس غناء ، فقيل له : وكيف أصبحت أحسن الناس غناء ؟ قال : وما يمنعني من ذلك وقد أخذت من أبي عباد أحد عشر صوتاً ، وأبو عبّاد مغني أهل المدينة والمقدَّمُ فيهم .

أخبرنا وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني ابي قال حدثني ايوب بن عباية عن رجل من هذيل قال :

لقاء الأقران :

قال معبد : غنيت فأعجبني غنائي وأعجب الناسَ وذهب لي به صيتٌ وذكرٌ ، فقلت : لآتِيَنَّ مكة فلأسْمَعَنَّ من المغنين بها ولأُغنّيَنَّهم

وَلأتعرَّفَنَّ اليهم ، فابتعت حماراً فخرجت عليه الى مكة ، فلما قدمتُها بعت حماري وسألت عن المغنين أين يجتمعون ؟ فقيل بقُعَيْقِعانَ (١) في بيت فلان ، فجئت الى منزله بالغَلَسِ (٢) فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : انظرْ - عافاك الله - فدنا وهو يُسبِّحُ ويستعيذ كأنه يخاف ففتح فقال : من أنت ؟ - عافاك الله - قلت : رجل من أهل المدينة ، قال : فما حاجتُك ؟ قلت : أنا رجلٌ أشتهي الغناء وأزعم أني أعرف منه شيئاً وقد بلغني أن القوم يجتمعون عندك وقد أحببت ان تُنزِلَني في جانب منزلك وتَخلِطَني بهم ، فإنه لا مؤونةَ عليكَ ولا عليهم مني ، فَلَوى (٣) شيئاً ثم قال : انزل على بركة الله ؛ قال : فنقلتُ متاعي فنزلت في جانب حُجرته ، ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا فأنكروني وقالوا : من هذا الرجل ؟ قال : رجل من أهل المدينة خفيفٌ يشتهي الغناء ويَطرَبُ عليه ، ليس عليكم منه عَناءٌ ولا مكروهٌ فرحَّبوا بي وكلمتُهم ثم انبَسَطوا وشربوا وغنَّوا ، فجعلت أعْجَبُ بغنائهم وأظهِرُ ذلك لهم ويُعجبهم مني حتى أقمنا أياما وأخذتُ من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصواتاً وأصواتاً ، ثم قلت لابن مريج : إني فديتك ، أمسِكْ عليَّ صوتَك :

قُلْ لهندٍ وتِرْبِها (٤) قبلَ شحْطِ النَّوى غدا

قال : أو تُحسِنُ شيئاً ؟ قلت تَنظَّرْ (٥) وعسى أن أصنع شيئا واندفعت فيه فغنيته ، فصاح وصاحوا وقالوا : أحسنتَ قاتلك الله ! قلت : فأمسِكْ عليَّ صوت كذا فأمسكوه عليَّ ، فغنيته ، فازدادوا

(١) قعيقعان : اسم قرية بها مياه وزروع ونخيل قرب مكة بينها وبين مكة اثنا عشر ميلا .
(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح .
(٣) أي تمكث قليلا .
(٤) الترب : اللدة وهو من ماثلك في سنك ، واكثر ما يستعمل الترب في الإناث .
(٥) تنظر : تأن وتريث .

عجباً وصياحاً ، فما تركت واحداً منهم إلا غنيته من غنائه أصواتاً قد تخيَّرتُها ، قال : فصاحوا حتى علت أصواتُهم وهرَفوا (١) بي وقالوا : لأَنتَ أحسنُ بأداءِ غنائنا عنا مِنّا ، قال : قلت : فأمسكوا علي ولا تَضحَكوا (٢) بي حتى تسمعوا من غِنائي فأمسكوا علي ، فغنيت صوتاً من غنائي فصاحوا بي ، ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إليّ وقالوا : نحلف بالله إن لك لَصيتاً واسماً وذِكراً ، وإن لك فيما هاهنا لسَهْماً عظيماً ، فمن أنت ؟ قلت : أنا معبد ، فقبلوا رأسي وقالوا : لفقَتَ (٣) علينا وكنّا نتهاونُ بك ولا نَعدُّك شيئاً وأنتَ أنتَ ، فأقمتُ عندهم شهراً آخذُ منهم ويأخذون مني ثم انصرفتُ الى المدينة .

نسبة هذا الصوت

صوت

قُلْ لهِندٍ وتِرْبِها قبلَ شَحْطِ النَّوى غدا :
إنْ تجُودي ، فطالما بِتُّ لَيْلي مُسهَّدا
أنتِ في وُدِّ بَيْنِنا خيرُ ما عندَنا يَدا
حينَ تُدلي مُضَفَّراً حالِكَ اللَّونِ أسْودا

– الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج عن حماد ولم يجنسه . وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وقال الهشامي : فيه لابن محرز خفيف ثقيل بالوسطى .

---

(١) هرف : مدح حتى جاوز القدر في الثناء والإطراء .
(٢) يقال : ضحك به بمعنى جعله موضعاً للضحك ، فيفيد السخرية أيضاً .
(٣) أي سترت علينا أمرك حتى لم نعرفك .

ومن الثلاثة الاصوات المختارة

صوت فيه أربعة ألحان من رواية علي بن يحيى

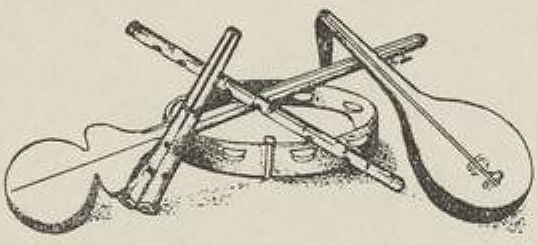
تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمَّا جَهَدْتُهُ
وبَيَّنَ لو يَسْطِيعُ أن يتكلَّما
فقلتُ له : إنْ ألقَ للعين قُرَّةً
فهانَ عليّ أن تكِلَّ وتسأما
عَدِمتُ – إذاً – وَفْرِي ، وفارقتُ مُهجتي
لئن لم أقِلْ قَرْناً إنِ اللهُ سَلَّما
لذلك أُدْنِي دونَ خيلي مَكانَهُ
وأُوصِي به ألاّ يُهانَ ويُكرما

عروضه من الطويل . قوله : « لئن لم أقِلْ قَرْنا » ، يعني : أنه يجِدُّ في سَيره حتى يَقيلَ بهذا الموضع ، وهو قَرْنُ المَنازل ، وكثيراً ما يذكره في شعره .

الشعر لعمر بن ابي ربيعة المخزومي ، والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج ، ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى . وفيه لاسحاق ايضاً ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ابن بانة ، وفيه ثقيل اول يقال انه ليحيى المكي . وفيه خفيف رمل يقال انه لاحمد ابن موسى المنجم . وفيه المعتضد ثاني ثقيل آخر في نهاية الجودة ، وكان عمرو ابن بانة صنع فيه لحناً فسقط لسقوط صنعته . اخبرني جحظه قال حدثني ابو عبد الله الهشامي قال :

صنَع عمرو بن بانة لحناً في « تَشكّي الكميتُ الجريَ » ، فأخبرني بعض عجائزنا بذلك قالت : فأردنا أن نعرِضَه على مُتَيَّمَ لنعلم ماعندها فيه ، لبعض مَنْ أخَذَه عن عمرو : غنّ « تشكّي الكميت الجريَ »

في اللحن الجديد ، فقالت متيّمُ : أيْش[١] هذا اللحنُ الجديد والكُميْت المحدَث ؟ قلنا : لحنٌ صنعه عمرو بن بانة . فغنته الجـارية ، فقالت متيّمُ لها : اقطـعي اقطعي ، حسبُكِ حسبُكِ هذا ! واللهِ لِحمَـارُ حُنَيْنٍ المكسورُ أشبهُ منه بالكُميْت .



(١) منحوتة من « أي شيء »

خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة . واسم أبي ربيعة : حُذَيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَةَ بن مُرّة بن كعب بن لؤَيّ بن غالب بن فِهر ، وقد تقدّم باقي النسب في نسب أبي قطيفة . ويكنى عمر بن أبي ربيعة « أبا الخطّاب » . وكان أبو ربيعة جدُّه يسمى « ذا الرُّمحَين » ، سُمّي بذلك لطوله ، كان يقال : كأنه يمشي على رمحين .

اخبرني بذلك الحرميُّ بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي ومحمد ابن الضحاك عن ابيه الضحاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي ، وقيل : انه قاتل يوم عكاظ برمحين فسمي « ذا الرمحين » لذلك .

وأخبرني بذلك ايضاً علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني ابو هفان عن إسحاق بن ابراهيم الموصلي عن مصعب الزبيري والمدائني والمسبي ومحمد بن سلام قالوا : وفيه يقول عبد الله بن الزبعرى :

ألا للهِ قومٌ وَ لَدَتْ أختُ بني سَهْمِ
هِشامٌ وأبو عَبْدِ مَنافٍ مِدْرَهُ[1] الخَصْمِ
وذو الرُّمحين أشْباكَ[2] على القوّة والحَزْمِ
فهذانِ يَذُودانِ وذا من كَثَبٍ يَرْمي

---

(١) المدره : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، وقد أطلق تجوّزا الآن على المحامي .

(٢) في جميع النسخ « اشبال » وهو تحريف والتصويب عن « أمالي القالي » . يقال أشباك الفلان كما يقال حسبك لفلان وانشد هذا البيت .



عُمر بن أبي ربيعة

أُسُودٌ تَزْدَهي(١) الأقرا نَ مَنّاعونَ للهَضْمِ
وهم يومَ عُكاظٍ منعوا الناسَ من الهَزْمِ
وهم من ولدوا أشْبَوْا(٢) بسِرّ الحسبِ الضخمِ
فإن أحلفْ وبيتِ اللـه لا أحلفْ على إثمِ
لَما مِنْ إخوةٍ بين قصور الشأم والرَّدْمِ
بأزْكَى من بني رَيْطَة أو أوزنَ في الحِلمِ

أبو عبد مَناف : الفاكِهُ بن المُغيرة . ورَيْطة هذه التي عَناها هي أمُّ بني المغيرة وهي بنت سعيد بن سعد بن سَهْم ، ولدت من المغيرة هشاماً وهاشماً وأبا ربيعة والفاكِهَ .

وأخبرني احمد بن سليمان بن داود الطوسي والحرمي بن ابي العلاء قالا : حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن ابي ثابت قال اخبرني محمد ابن عبد العزيز عن ابن ابي نهشل عن ابيه قال :

قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام – وجئته أطلب منه مَغرَماً – يا خال ، هذه أربعة آلاف درهم وأنشِدْ هذه الأبياتَ الأربعةَ وقل : سمعتُ حسّانَ يُنشِدها رسولَ الله ﷺ ، فقلت : أعوذ بالله أن أفتَرِيَ على الله ورسوله ، ولكن إن شئت أن أقول : سمعتُ عائشة تُنشِدها فعلتُ ، فقال : لا ، إلا أن تقول : سمعت حسان يُنشِدها رسولَ الله ﷺ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ ، فأبى عليَّ وأبَيْتُ عليه ، فأقمنا لذلك لا نتكلّم عِدّةَ ليالٍ ، فأرسل إليَّ فقال : قل أبياتاً تمدح بها هشاماً – يعني ابن المغيرة – وبني أميّة ، فقلت : سَمِّهم لي ، فسماهم وقال : اجعَلْها في عكاظ واجعَلْها لأبيك ، فقلت :

(١) تزدهي الاقران : تستخف بهم وتتهاون .
(٢) يقال : اشبى فلان اذا ولد له ولد كيّس .

ألا َ لِله قـــومٌ و لدتْ أختُ بني سَهْمٍ

... الأبيات ، قال : ثم جئتُ فقلتُ : هذه قالها أبي ، فقال : لا ، ولكن قل : قالها ابنُ الزِّبَعْرَى ، قال : فهي الى الآن منسوبةٌ في كتب الناس الى ابن الزبعرى .

قال الزبيرُ : واخبرني محمد بن الحسن المخزومي قال : أخبرني محمد ابن طلحة أن عمر بن ابي ربيعة قائلُ هذه الأبيات :

ألا لله قـــومٌ و لدت أخت بـني سهمٍ

اخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا : حدثنا عمر ابن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال حدثني محمد بن عبد العزيز عن ابن ابي نهشل عن ابيه بمثل ما رواه الزبير عنه وزاد فيه عمر بن شبة .

قال محمد بن يحيى : وأختُ بني سَهْم التي عناها رَيْطةُ بنت سعيد ابن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب ، وهي أمُّ بني المغيرة بن عبد الله بن عَمْرو بن مخزوم وهم هشام وهاشمٌ وأبو ربيعة والفاكِهُ ، وعِدَّةٌ غيرُهم لم يُعقِبوا[1] ، وإياهم يعني أبو ذُؤَيبٍ بقوله :

صَخِبُ الشَّوارِبِ لا يزالُ كأنه عبدٌ لآل أبي رَبِيعةَ مُسْبَعُ[2]

ضَرب بعزّهم المثل . وقال : كان اسم عبد الله بن أبي ربيعـــةَ في الجاهلية بَحِيراً ، فسماه رسول الله ﷺ وآله وسلم عبدَ الله ؛ وكانت قريش تُلقّبه « العِدْلَ » ، لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنةً ، ويكسوها هو من ماله سنةً ، فأرادوا بذلك انـه وحده عِدْلٌ لهم جميعاً في ذلك ؛ وفيه يقول ابن الزبعرى :

---

(١) لم يعقبوا : لم يجيئوا بنسل .

(٢) هذا وصف لحمار وحش ، وفي لسان العرب : يقال حمار صخب الشوارب : يردد نهاقـه في شواربه ، والشوارب : مجاري الماء في الحلق. وعبد مسبع : مهمل جريء ترك حتى صار كالسبع.

(٣) عاتم : مبطىء .

بَحِيرُ بنُ ذي الرُّمحَين قَرَّبَ مَجلِسي
وَراحَ عليَّ خَيرُهُ غيرَ عاتِمِ (٣)

وقد قيل : إن العِدْل هو الوليد بن المُغيرة .

وكان عبدُ الله بن ابي ربيعة تاجراً مُوسراً وكان مَتجَرُه الى اليمن، وكان من اكثرهم مالاً ، وأمه أسماء بنت مُخَرِّبَة ، وقيل : مُخَرِّمَة ، وكانت عطارة يأتيها العطر من اليمن ، وقد تزوجها هشام بن المغيرة ايضاً فولدت له أبا جهل والحارث ابنيْ هشام ، فهي امهما وأم عبد الله وعيّاش ابني أبي ربيعة .

اخبرني الحرمي والطوسيّ قالا : حدثنا الزبير قال حدثني عمي عن الواقدي قال :

كانت أسماء بنت مُخَرِّبَة تبيع العطر بالمدينة ، فقالت الرُّبَيِّعُ بنت مُعَوِّذ بن عفراء الانصارية – وكان أبوها قتل أبا جهل بن هشام يوم بدر واحتزّ رأسه عبد الله بن مسعود . وقيل : بل عبد الله بن مسعود هو الذي قتله – فذكرتْ ان أسماء بنت مخربة دخلتْ عليها وهي تبيع عطراً لها في نسوةٍ ، قالت : فسألت عنّا فانتسبنا لها ، فقالت : أأنت ابنة قاتل سيده ؟ تعني أبا جهل ، قلت : بل أنا بنت قاتل عبده ، قالت : حرام عليّ ان ابيعكِ من عطري شيئاً ، قلت : وحرام عليّ ان اشتري منه شيئاً ، فما وجدت لعطرٍ نَتْناً غير عطرِكِ ، ثم قمت ولا والله ما رأيت عطراً أطيب من عطرها ، ولكني أردت أن أعيبه لأغيظها .

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرفون في جميع المهن ، وكان عددهم كثيراً ؛ فرُوِيَ عن سفيان بن عُيَينَة انه قيل لرسول الله ﷺ حين خرج الى حُنَين : هل لك في حبش بني المغيرة تستعين بهم ؟ فقال : « لا خيرَ في الحبش إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زَنوا وإنّ فيهم لخَلّتَين (١) حسنتين إطعامَ الطعام والبأس يوم البأس» .

---

(١) الخلة : الخصلة وزنا ومعنى .

واستعمل رسول الله ﷺ عبد الله بن ابي ربيعة على الجَنَدِ ومخاليفها [١] فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتل عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه . هذا من رواية الزبير عن عمّه . قال : وحدثني ابن الماجِشُونِ [٢] عن عمّه أن عثمان بن عفان – رحمه الله – استعمله ايضاً عليها .

وأم عمر بن أبي ربيعة أم ولدٍ يقال لها « مَجد » ، سُبِيَت من حضرموت ، ويقال من حِمْيَر . قال أبو مُحَلِّمٍ ومحمد بن سَلام : هي من حِمْيَر ، ومن هناك أتاه الغزَلُ ، يقال : غَزَلٌ يمانٍ ودَلٌّ حِجازيّ .

وقال عمر بن شَبّة : أمُّ عمر بن أبي ربيعة أمُّ ولدٍ سوداء من حَبَشٍ يقال لهم : فرسان . وهذا غلط من أبي زيد ، تلك أم أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له : « القُباعُ » وكانت نصرانية ، وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً دَيِّناً وسيداً من سادات قريش .

قال الزبير بن بكار : ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولاه عبد الله ابن الزُّبير ، فقال : أرسلو عوفاً وقعد [٣] ! « لا حُرّ بوادي [٤] عَوْف » فقال له يحيى بن الحكم : ومن الحارث ابن السوداء ! فقال له عبد الملك : ما ولدت والله أَمَةٌ خيراً مما ولدت أمُّه !.

واخبرني علي بن صالح عن ابي هفان عن اسحاق بن ابراهيم عن الزبير والمدائني والمسيبي .

أن أمه ماتت نصرانية وكانت تُسِرُّ ذلك منه ، فحضر الاشراف جَنازتها ، وذلك في عهد عمر بن الخطاب – رحمة الله عليه – فسمع الحارثُ من النساء لَغَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعُرِّف انها ماتت نصرانية وانه

(١) الجند بالتحريك : ولاية من ولايات اليمن الثلاث وهي الجند وصنعاء وحضرموت والمخاليف : جمع مخلاف : القرى والأصقاع .

(٢) معرب ماه كون اي لون القمر .

(٣) المراد انه اعتمد على عظيم واستراح .

(٤) هو عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان وقد طلب منه عمرو بن هند ان يسلم اليه مروان القرظ وكان قد اجاره فأبى عليه وقال « لا حر بوادي عوف » اي انه يقهر من حل بواديه ، فكل من فيه كالعبيد له ولطاعتهم اياه ، يضرب مثلاً للرجل يسود الناس فلا ينازعه احدمنهم في سيادته .

وانه وُجِدَ الصليب في عنقها ، وكانت تَكْتُمه ذلك ، فخرج الى الناس فقال : انصرفوا رحمكم الله ، فإنّ لها أهلَ دِين هم أولى بها منا ومنكم ، فاستُحسن ذلك منه وعجب الناسُ من فعله .

نسبة ما في هذه الاخبار من الغناء

صوت

ألاَ لله قومٌ ولدتْ أختُ بني سهمِ
هشامٌ وأبو عبدِ منافٍ مِدرهُ الخصمِ
وذو الرمحين أشباكٌ على القوةِ والحزمِ
فهذانِ يذودانِ وذا من كثبٍ يرمي

رأي الخليفة

عروضه من مكفوف الهزج . الغناء لمعبد خفيف رمل من رواية حماد .

اخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال إسمعيل بن مجمع اخبرنا المدائني عن رستم بن صالح قال :

قال يزيدُ بن عبد الملك يوماً لمعبد : يا أبا عباد ، إني أريد ان أخبرك عن نفسي وعنك ، فإن قلتُ فيه خلافَ ما تعلم فلا تتحاش أن تردّه عليّ فقد أذنتُ لك ، قال : يا أمير المؤمنين ، لقد وضعك ربُّك بموضع لا يعصيكَ إلا ضالٌّ ، ولا يرد عليك إلا مخطيء ، قال :

إن الذي اجده في غنائك لا اجده في غناء ابن سريج : اجد في غنائك متانة ، وفي غنائه انخناثاً ولينا ، قال معبد : والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لعباده ، وجعله اميناً على أمةِ نبيه ﷺ، ما عدا [1] صِفتي وصفة ابن سريج ، وكذا يقول ابن سريج واقول ،

(١) أي ما جاوز ما قلت صفتي وصفة ابن سريج .

ولكن إن رأى امير المؤمنين ان يعلمني هل وضعني[١] ذاك عنده فَعَل ، قال : لا والله ، ولكني أوثِر الطَّرب على كل شيء ، قال : يا سيدي فاذا كان ابن سريج يذهب الى الخفيف من الغناء وأذهبُ انا الى الكامل التام ، فأُغرِّبُ أنا ويُشرِّقُ هو ، فمتى نلتقي ؟ قال : أفتقدرُ ان تحكي رقيق ابن سريج ؟ قال : نعم ، فصنع من وقته لحناً من الخفيف في :

ألاَ لله قومٌ ولدَتْ أختُ بني سَهْمِ

.. الاربعة الابيات ، فغناه ، فصاح يزيدُ : أحسنت والله يا مولاي ! أعِدْ فداك أبي وأمي ، فأعاد ، فرد عليه مثل قوله الاول ، فأعاد ، ثم قال : أعد فداك أبي وأمي ، فأعاد ، فاستخفَّهُ الطَّربُ حتى وثب وقال لجواريه : افعلْنَ كما أفعلُ ، وجعل يدور في الدار ويَدُرْنَ معه وهو يقول :

يا دارُ دوِّريني يا قَرْقَرُ امسِكيني
آليْتِ مُنذُ حينٍ حقاً لتَصْرِميني
ولا تُواصِليني بالله فارْحَميني
لَمْ تَذْكُري يَميني !

قال : فلم يزل يدور كما يدور الصِّبْيان ويَدُرْنَ معه حتى خرَّ مَغْشِيّاً عليه ووقعن فوقه ما يعقل ولا يَعقِلنَ ، فابتدره الخدم فأقاموه وأقاموا مَنْ كان على ظهره من جواريه وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت .

سيرة جوان بن عمر :

رجع الخبر الى ذكر عمر بن أبي ربيعة — وكان لعمر بن أبي ربيعة ابنٌ صالح يقال له « جُوان » وفيه يقول العرجي :

---

(١) وضعني ، حط من قدري .

شَهِيدي جُوانٌ على حبِّها أليس بعَدْلٍ عليها جُوان

فأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان قال:

جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة الى زياد بن عبد الله الحارثي وهو إذ ذاك أمير على الحجاز فشهد عنده بشهادة، فتمثل:

شَهِيدي جُوانٌ على حبها أليس بعدلٍ عليها جُوان

– وهذا الشعر للعرجي – ثم قال: قد أجَزْنا شهادتك وقَبِلْنَاه. وقال غير الزبير: إنه جاء الى العرجي فقال له: يا هذا، مالي ومالك، تشهرني في شعرك! متى أشهدتني على صاحبتك هـذه! ومتى كنتُ أنا أشهد في مثل هذا! قال: وكان امرأً صالحاً.

واخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بكار بن عبد الله قال: استعمل بعض وُلاةِ مكة جوان بن عمر على تَبالَةَ (١)، فحمل على خَثْعَمَ في صَدَقاتِ أموالهم حملاً شديداً فجعلتْ خثعمُ سنةَ جوانٍ تاريخاً؛ فقال ضُبارَةُ بن الطُّفَيْل:

أتَلْبَسُنا ليلى على شَعَثٍ بنا من العامِ أو يُرمَى بنا الرَّجَوانِ (٢)

صوت

رأتني كأشلاء (٣) اللِّجام ورَاقَها أخو غَزَلٍ ذو لِمَّةٍ ودِهانِ

(١) تبالة: بلدة مشهورة من ارض تهامة في طريق اليمن.

(٢) يقال: لبست قوماً اي تمليت بهم دهراً، ولبست فلانة عمري اي كانت معي شبابي، والبس الناس على قدر اخلاقهم اي عاشرهم. والرجوان: مثنى رجا وهو جانب البئر، وقد اورد الميداني المثل «حتى متى يرمى بي الرجوان» ورمي به الرجوان: استهين به كما يستهان بالدلو يرمى به رجوا البئر.

(٣) أشلاء اللجام: حدائده بلا سيور.

ولو شَهِدَتْني في ليالٍ مضينَ لي   لِعامَينِ مرّاً قبل عامِ جُوانِ
رأتْنا كريمَي معشرٍ حُمَّ⁽¹⁾ بينَنا   هَوًى فحفِظْناه بحُسْنِ صِيانِ
نَذُودُ النفوسَ الحائماتِ عن الصِّبا   وهُنَّ بأعناقٍ اليــه ثَوانِي

ذكر حبش ؛ ان الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقيل بالبنصر ؛ وذكر الهشامي انه لقراريط .

ابنة عمر :

قالوا : وكان لعمر أيضاً بنت يقال لهـا : « أمَةُ الواحدِ » ، وكانت مُسترضَعةً في هُذَيلَ ، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة — وقد خرج يطلبها فضلَ الطريق — :

لم تدرِ وليَغفِرْ لها ربُّها   ما جشَّمَتْنا أمَــةُ الواحدِ
جشَّمَتِ الهَوْلَ براذينَنا⁽²⁾   نسألُ عن بيتِ أبي خـالدِ
نسألُ عن شيخِ بني كاهلٍ   أعيا خفاءً نِشْدةَ الناشدِ

مولد عمر

اخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن ابي بكر العامري اخبرنا احمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا ، حدثنا عمر بن شبــة قال حدثني يعقوب بن القاسم قال حدثنا اسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحكم قال ، أُراه عن الحسن ، قال :

ولد عمر بن أبي ربيعة ليلة قتل عمر بن الخطاب — رحمة الله عليــه — فأيُّ حقٍّ رُفع ، وأيُّ باطلٍ وُضع ! . قال عوانةُ : ومات وقد قارب السّبعين او جاوزها .

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا ، حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم قال حدثني عبد الله بن الحارث عن ابن جريج عن عطاء قال ،

---

(١) حم : قضي وقدر .
(٢) البراذين ، جمع برذون وهو خلاف العراب من الخيل أي الأكاديش ، واكثر ما تجلب من بلاد الروم .

كان عمر بن ابي ربيعة اكبر مني كأنه ولد في اول الاسلام .

حدثني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال هارون بن عبد الله الزهري قال ، حدثنا ابن ابي ثابت وحدثني به علي بن صالح بن الهيثم عن ابي هفان عن اسحاق المسيبي والزبيري والمدائني ومحمد بن سلام قالوا ، قال ايوب بن سيار واخبرني به الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الحسن المخزومي عن عبد العزيز بن عمران عن ايوب بن سيار عن عمر الركاء قال :

عمر في المسجد

بَيْنا ابنُ عبّاس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الازرق وناسٌ من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمرُ بن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين مورّدين أو مُمصّرين (١) حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده :

أمِن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبكِرُ غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهجّرُ

... حتى أتى على آخرها ، فأقبل عليه نافعُ بن الأزرق فقال : الله يا بن عباس ! إنا نضرب اليك أكبادَ الابل من اقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ، ويأتيك غلام مُترَفٌ من مُترَفي قريش فيُنشِدك :

رأت رجلًا أمّا اذا الشمسُ عارضتْ فيَخزَى وأمّا بالعشيّ فيَخسَر

فقال : ليس هكذا قال ، قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رأت رجلا أمّا إذا الشمسُ عارضت فيَضْحَى وأمّا بالعشِيّ فيَخصَرُ (٢)

فقال : ما أراك إلا وقد حفظت البيت ! قال : اجل ! وان شئت

(١) قال أبو عبيد : الثياب الممصرة : التي فيها شيء من صفرة ليست بالكثيرة .

(٢) يضحى : يظهر للشمس . وعارضت : قابلت ، والضمير فيه محذوف أي عارضته . ويخصر : يبرد .

أن أنشدك القصيدة أنشدتك أياها ، قال : فاني أشاء ، فأنشده القصيدة حتى اتى على آخرها . وفي غير رواية عمر بن شبة : أن ابن عباس أنشدها من أولها الى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحاً ! [١] قال : وهذا غاية الذكاء ، فقال له بعضهم ، ما رأيت اذكى منك قط ! فقال : لكنني ما رأيتُ قط أذكى من علي بن أبي طالب ! – عليه السلام – . وكان ابن عباس يقول : ما سمعت شيئاً قط إلا رويته وإني لأسمع صوت النائحة فأسدُّ أذني كراهة أن احفظ ما تقول ؛ قال : ولامه بعض اصحابه في حفظ هذه القصيدة : أمن آل نُعم ... فقال : انا نَستَجيدُها . وقال الزبير في خبره عن عمه : فكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا المُغيريُّ شيئاً بعدنا ؟

قال وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال :

كان عبد الله بن الزُّبير إذا سمع قول عمر بن ابي ربيعة

فيَضحَى وأمّا بالعشِيّ فيَخصَر

قال : لا ، بل

فيَخزَى وأمّا بالعشيّ فيَخسَرُ

قال عمر بن شبة وابو هفان والزبير في حديثهم :

ثم أقبل على أبن أبي ربيعة فقال : أنشد ، فأنشد

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا

وسكت ، فقال ابن عباس :

وللدّار بعدَ غدٍ أبعدُ

(١) اي مروراً ، يقال : صفحت الجيش على الأمير إذا امررته عليه .

فقال له عمرُ : كذلك قلتُ – أصلحك اللهُ – أفسمعته ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي .

شهادات

أخبرنا الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن اسحاق قال :

كانت العرب تُقِرّ لقريشٍ بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر ، فإنها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن ابى ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر ايضاً ولم تُنازِعها شيئاً .

قال الزُبير : وسمعت عمي مصعباً يُحدّث عن جدي انه قال مثل هذا القول ، قال : وحدثني عدة من اهل العلم ان النُصَيْبَ قال : لَعمرُ بن أبي ربيعة أوْصَفُنا لربات الحجال .

قال المدائني : قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن ابي ربيعة : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال : اني لا أمدحُ الرجال انما امدح النساء . قال : وكان ابن جريج يقول : ما دخل على العوَاتق [١] في حِجَالِهنّ شيءٌ أضرُّ عليهنّ من شعر عمر بن ابي ربيعة !.

قال الزُبير وحدثني عمي عن جدي – وذكره ايضاً اسحاقُ فيما رويناه عن ابي هفان عنه عن المدائني – قال قال هشام بن عروة : لا تُرَوُّوا [٢] فَتيَاتِكم شعر عمر بن ابي ربيعة لا يَتَوَرَّطْنَ في الزنا تورُّطاً ، وأنشد :

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ
وقُــولِي في ملاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلِي عُمَرَكْ

اخبرنا علي بن صالح قال حدثني ابو هفان عن اسحاق عن الزبيري قال حدثني ابي

(١) جمع عاتق ، وهي الفتاة التي ادركت فخدرت في بيت اهلها ولم تتزوج ، سميت بذلك لأنها عتقت عن خدمة ابويها ولم يملكها زوج بعد .
(٢) اي لا تحملوهن على روايته ، يقال : رويته الشعر وأرويته : حملته على روايته .

عن سَبْرة الدوماني (١) من حمير قال :

إني لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخ في الطواف ، فقيل لي : هذا عمر ابن أبي ربيعة ، فقبضت على يده وقلت له : يا بن أبي ربيعة ، فقال : ما تشاء ؟ قلت : أكُلُّ ما قلته في شعرك فعلته ؟ قال : إليك عني ، قلت : أسألك بالله ، قال : نعم واستغفرُ الله .

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن حَمّادٍ الرّاوية : انه سئل عن شعر عمر بن ابي ربيعة فقال : ذاك الفُسْتُقُ المُقَشَّر .

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال :

سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمرَ فقال : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه . قال : وكان بالكوفة رجل من الفقهاء تجتمع اليه الناس فيتذاكرون العلم ، فذُكِر يوماً شعر عمر بن ابي ربيعة فهجّنه ، فقالوا له : بمن ترضى ؟ ومر بهم حماد الراوية فقال : قد رضيت بهذا ، فقالوا له : ما تقول فيمن يزعم ان عمر بن ابي ربيعة لم يحسن شيئاً ؟ فقال : أين هذا ؟ اذهبوا بنا اليه ، قالوا : نصنع به ماذا ؟ قال : ننزُو على أمه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر .

قال اسحاق : وقال أبو المقوم الأنصاري : ما عُصِيَ الله بشيء كما عُصِيَ بشعر عمر بن أبي ربيعة .

قال اسحاق : وحدثني قيس بن داود قال حدثني أبي قال :

سمعت عمر بن أبي ربيعـــة يقول : لقد كنت وأنا شاب أعْشَق ولا أعْشَق ، فاليوم صرت الى مداراة الحسان الى المهات ، ولقد لقيتني فتاتان مرّة فقالت لي إحداهما : أدْنُ مني يا بن أبي ربيعة أسِرّ اليك شيئاً ، فدنوت منها ودنت الاخرى فجعلت تَعَضّني ، فما شعرت بعَضّ هذه من لذة سِرَار هذه .

قال اسحاق وذكر عبد الصمد بن المُفَضّل الرّقاشي عن محمد بن فلان الزُهْري — سقط أسمه — عن إسحـــاق عن عبد الله بن مَسلمة بن أسلم

(١) نسبة الى « دومان » : بطن من همدان ، وهمدان : قبيلة باليمن .

قال : لقيت جريراً فقلت له : يا أبا حَزْرَةَ ، ان شعرك رُفِع الى المدينة وأنا أحب ان تسمعني منه شيئاً ، فقال : انكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب ، وإنّ أنسبَ الناس المخزومي ، يعني ابن ابي ربيعة .

قال اسحاق : وذكر محمد بن إسماعيل الجعفري عن ابيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عباش بن ابي ربيعة قال : أشرف عمر بن ابي ربيعة على أبي قُبَيس وبنو أخيه معه وهم مُحْرِمون ، فقال لبعضهم : خذ بيدي ، فأخذ بيده وقال : ورب هذه البَنِيَّة [١] ما قلت لامرأة قط شيئاً لم تقله لي ، وما كشفت ثوباً عن حرام قطُّ ! قال : ولما مرض عمر مرضه الذي مات فيه جزع أخوه الحارث جزعاً شديداً ، فقال له عمر : أحسبك إنما تجزع لما تَظُنُّه بي ، والله ما أعلم أني ركبت فاحشةً قطُّ ! فقال : ما كنت أشفق عليك إلا من ذلك وقد سَلَّيْتَ عني .

قال إسحاق : حدثني مصعب الزبيري قال قال مصعب بن عروة بن الزبير : خرجت أنا وأخي عثمان الى مكة مُعتَمِرَيْن -- أو حاجَّيْن -- فلما طفنا بالبيت مضينا الى الحِجْر نصلي فيه ، فإذا شيخ قد فرج بيني وبين أخي فأوسعنا له ، فلما قضى صلاته أقبل علينا فقال : من أنتما ؟ فأخبرناه ، فرحب بنا وقال : يا ابنيْ أخي ، إني مُوَكَّل بالجمال أَتبعه ، وإني رأيتكما فراقني حسنكما وجمالكما فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه ، ثم قام ؛ فسألنا عنه فإذا هو عمر بن أبي ربيعة .

اخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الضحاك قال :

عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة ، فتك منها أربعين سنة ، ونسك أربعين سنة . قال الزبير وحدثني ابراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المغيرة بن عبد الرحمن عن ابيه قال :

حججت مع أبي وأنا غلام وعليّ جُمَّة [٢] ، فلما قدمت مكة جئت

(١) الكعبة .
(٢) الجمة بالضم : مجتمع شعر الرأس .

عمر بن أبي ربيعة فسلمت عليه وجلست معه ، فجعل يعد الخصلة من شعري ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه ويقول : واشباباه ! حتى فعل ذلك مراراً ثم قال لي : يابن أخي ، قد سمعتني أقول في شعري : قالت لي وقلت لها ، وكل مملوك لي حر إن كنت كشفت عن فرج حرام قط ! فقمت وأنا متشكك في يمينه ، فسألت عن رفيقه فقيل لي : أما في « الحوك » فله سبعون عبداً سوى غيرهم .

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت :

مررت بجدّك عبد الله بن مصعب وأنا داخلة منزله وهو بفِنائه ومعي دفتر فقال : ما هذا معك ؟ ودعاني ، فجئته وقلت : شعر عمر بن أبي ربيعة ، فقال : وَيْحَكِ ! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة ! إن لشعره لَمَوْقِعاً من القلوب ومَدْخَلاً لطيفاً ، لو كان شعر يسحر لكان هو ، فارجعي به . قالت : ففعلت .

قال إسحاق وأخبرني الهيثم بن عدي قال :

قدمت امرأة ، مكة ، وكانت من أجمل النساء ، فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر اليها فوقعت في قلبه ، فدنا منها فكلمها ، فلم تَلتفِت اليه ، فلما كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها ، فقالت له : إليكَ عني يا هذا ، فإنك في حَرَم الله وفي أيام عظيمة الحُرْمة ، فألح عليها يكلمها حتى خافت أن يُشْهِرَها ، فلما كان في الليلة الأخرى قالت لأخيها : اخرج معي يا أخي فأرني المَناسِكَ فاني لست أعرفها ، فأقبلت وهو معها ، فلما رآها عمر أراد أن يَعرِض لها ، فنظر إلى أخيها معها فعدل عنها ، فتمثلت المرأة بقول النابغة [١] :

(١) ليس هذا البيت في ديوان النابغة ولا في ديوان جرير . ولكنه منسوب للنابغة في كتاب « العقد الثمين » لمصححه وليم بن الورد البروسي طبع مدينة غريفزولد سنة ١٨٦٩ ص ١٧٥ وأورده . وتتقي مربض المستنفر الحامي . وورد في كتاب « شرح الأشعار الستة » للأعلم الشنتمري

تَعدُو الذئابُ على مَنْ لا كِلابَ له وتَتَّقي صَولَةَ المُستَأسِدِ الحامي

قال اسحاق : فحدثني السِّنْدِيّ مولى أمير المؤمنين ان المنصور قال – وقد حُدِّث بهذا الخبر – : وَدِدْتُ أنه لم تَبْقَ فتاةٌ من قريش في خدرها إلا سمعت بهذا الحديث .

قال اسحاق : قال لي الاصمعي : عمرُ حُجَّةٌ في العربية ولم يؤخَذْ عليه إلا قوله (١) :

ثم قالوا تُحِبُّها قلت بَهْراً (٢) عدَدَ الرَّملِ والحصى والتراب

وله في ذلك مخرج إذ قد أتى به على سبيل الاخبار . قال : ومن الناس من يزعم انه إنما قال :

* قيل لي هل تُحِبُّها قلت بَهْرا *

نسبة ما مضى في هذه الأخبار

من الاشعار التي قالها عمر بن ابي ربيعة وغنى فيها المغنون إذ كانت لم تنسب هناك لطول شرحها

منها ما يُغنَّى فيه من قوله :

صوت

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ

ضمن قصيدة ميمية للنابغة

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي

ومطلعها : قالت بنو عامر خالوا بني أسد يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام

وخالوا بني اسد : قاطعوهم ، من خالاه مخالاة وخلاء ؛ فارقه .

(١) وذلك لأن حذف همزة الاستفهام غير جائز على مذهب سيبويه إلا في الضرورة وإن كان غيره يجيزه في الاختيار عند أمن اللبس .

(٢) أي احبها حباً بهرني بهراً اي غلبني غلبة .

لحاجة ِ نفس ٍ لم تَقُلْ في جوابها فتُبلِغَ عُذراً والمقالة ُ تعذِرُ (١)
أشارت (٢) بمِدْراها وقالت لأختها أهذا المُغيريّ ُ الذي كان يُذكَرُ ؟
فقالت : نعمْ لا شكّ َ غيّر لونَه سُرى الليلِ يطوي نَصَّه (٣) والتهجُّرُ
رأت ْ رجلاً أمّا إذا الشمس ُ عارضتْ فيَضحَى وأمّا بالعشيّ فيَخْصَرُ
أخا سفرٍ جوّابَ أرضٍ تقاذفتْ به فَلوات ٌ فهْوَ أشعثُ أغبرُ
وليلة ذي دوران (٤) جشّمتني السُّرى (٥) وقد يجشَمُ الهولَ المحبُّ المغرَّرُ
فقلتُ : أباديهم (٦) فإمّا أفوتُهم وإمّا يَنالُ السيفُ ثأراً فيثأرُ

هذه الأبيات جُمعتْ على غير توالٍ ، لأنه إنما ذُكر منها ما فيه صنعة ٌ .

غنى في الأول والثاني من الابيات ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن احمد بن المكي . وذكر حبش ان فيها لمعبد لحناً من الثقيل الاول بالبنصر ، وغنى ابن سريج في الثالث والرابع ايضاً خفيف ثقيل بالوسطى . وذكر حبش ان فيها لحناً من الهزج بالوسطى لحكم . وغنى ابن سريج في الخامس والسادس لحناً من الرمل بالوسطى عن عمر بن بانة . وذكر يونس ان في السابع والثامن لابن سريج لحناً ولم يذكر طريقته . وذكر حبش ان فيها لمالك لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر .

اخبرني محمد بن خلف بن المرْزُبان (٧) قال أخبرني محمد بن إسحاق قال اخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي :

أن عمرَ بن ابي ربيعة اتى عبد الله بن عباس وهو في المسجد الحرام

---

(١) أي هي في غاية من السر لا يجاب عليها إذا سئل عنها ، والإعذار : نفي العذر .
(٢) المدري والمدراة ؛ حديدة يُحك بها الراس .
(٣) نص السرى ؛ إسراعه ، واصله حث الدابة واستخراج اقصى ما عندها من السير .
(٤) ذو دوران ؛ موضع بين قديد والجحفة .
(٥) اي كلفتني السير ليلاً .
(٦) اجاهرهم واظهر لهم ، ومرجع الضمير فيه ظاهر في قوله من القصيدة ؛

فلما تقضى الليل إلا اقله وكادت توالي نجمه تتغوّرُ
اشارت بان الحي قد حان منهم هبوب ولكن موعد منك عَزورُ
فما راعني إلا مناد ؛ ترحّلوا وقد لاح معروف من الصبح اشقر
فلما رأت من قد تنبه منهم وايقاظهم قالت ؛ اشر كيف تأمر

(٧) المرزبان في اللغة الفارسية الرجل العظيم القدر ، ومعناه بالعربية حافظ الحد .

فقال : مَتّعني الله بك ، إن نفسي قد تاقت الى قول الشعر ونازعتني إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تسمعه وتستره علي ، فقال : أنشدني ؛ فأنشده :

* أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبكِرُ *

فقال له : أنت شاعرٌ يا بن أخي ، فقل ما شئت !. قال : وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عَوْف الزُّهْرِيّ وهو راكبٌ ، فوقف وما زال شانقاً (١) ناقته حتى كُتِبَت له .

اخبرني محمد خلف بن المرزبان قال حدثني الحسين بن اسماعيل قال حدثنا ابن عائشة عن ابيه قال ،

كان جرير إذا انشد شعر عمر بن ابي ربيعة قال : هذا شعر تِهامِيٌّ إذا أنجد وجد البرد ، حتى انشد قوله :

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَضْحَى وأمّا بالعشِيّ فيَخْصَرُ
قليلاً على ظَهر المطيّة ظلّهُ سِوى ما نَفَى عنه الرداءُ المحبّرُ (٢)
وأعجبَها من عَيشها ظِلُّ غُرفةٍ وريّانُ مُلتفُّ الحدائقِ أخضرُ
ووالٍ كفاها كل شيءٍ يَهُمُّها فليستْ لشيءٍ آخرَ الليلِ تَسهرُ

فقال جرير : ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر .

اخبرني محمد بن خلف قال اخبرني ابو عبد الله اليامي قال حدثني الاصمعي قال ،

قال لي الرشيد : انشدني أحسنَ ما قيل في رجل قد لوّحه (٣) السفر ؛ فأنشدته قول عمر بن ابي ربيعة :

رأتْ رجلا أمّا إذا الشمسُ عارضت فيضحَى وأمّا بالعشيّ فيَخصَرُ
أخا سَفرٍ جَوّابَ أرضٍ تقاذفتْ به فَلَواتٌ فهو أشعَثُ أغبرُ

(١) يقال : شنق البعير إذا جذبه بالشناق حتى يرفع راسه ، والشناق الزمام .
(٢) المحبر ، المزين المحسن .
(٣) لوحه السفر ، غيره

... الأبيات كلها ؛ قال فقال لي الرشيد : أنا والله ذلك الرجل، قال : وهذا بعقب قدومه من بلاد الروم .

اخبرني الفضل بن الحباب الجمحي ابو خليفة في كتابه اليّ ، قال حدثنا محمد بن سلام قال اخبرني شعيب بن صخر قال ،

كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر بن عبيد الله بن معمر كلامٌ ، فسهرت ليلةً فقالت : ان ابن ابي ربيعة لجاهلٌ بليلتي هـذه حيث يقول :

ووال كفاها كلَّ شيءٍ يَهُمها فليست لشيءٍ آخرَ الليل تسهرُ

اخبرني علي بن صالح حدثنا ابو هفان قال حدثني اسحاق عن المدائني قال ،

عرض يزيد بن معاوية جيش أهل الحرة ، فمر به رجل من أهل الشام معه تُرْسٌ [1] خَلَقٌ سَمِجٌ ، فنظر اليه يزيد وضحك وقال له : ويحك ! ترس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك ، يريد قول عمر :

فكان مِجَنِّي دونَ مَنْ كنتُ أتقي
ثلاثُ شُخوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ [2]

اخبرنا جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال ؛

سمع أبو الحارث جُمَيْزٌ مُغنّيةً تغني :

أشارت بِمِدْراها وقالت لأختها أهذا المُغِيرِيّ الذي كان يُذكرُ ؟

فقال جميز : امرأته طالق إن كانت أشارت اليه بمدراها إلا لتفقأ بها

(١) الترس : صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه . والخلق : البالي يقال للمذكر والمؤنث ، يقال ثوب خلق وجبة خلق . والسمج بسكون الميم وكسرها : القبيح .

(٢) المجن : الترس ، وحذفت هاء التأنيث من العدد حملاً على المعنى لأنه اراد بالشخص المرأة . والكاعب : التي نهد ثديها . والمعصر : التي دخلت في عصر شبابها .

عينه ، هلاّ أشارت اليه بنقانق (١) مُطرَّفٍ بالخَرْدَل (٢) ، أو سَنبُوسَجَة (٣) مغموسة في الخل ، أو لَوْزِينَجَةٍ (٤) شَرِقَةٍ (٥) بالدهن ! فان ذلك أنفع له وأطيب لنفسه ، وأدل على مودة صاحبته .

اخبرني الحرمي قال ، حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن ابي اويس عن عطاف بن خالد الوابصي عن عبد الرحمن بن حرملة قال ،

أُنشد سعيد بن المُسيَّب قول عمر بن أبي ربيعة :

وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَه ورَوَّحَ رُعْيانٌ ونَوَّمَ (٦) سُمَّرُ

فقال : ماله قاتله الله ! لقد صغّر ما عظّم الله ، يقول الله عز وجل : (والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون (٧) القديم) .

عمر وبعض مغامراته :

ومنها ما فيه غناء لم ينسب في موضعه من الأخبار فنسب ها هنا .

صوت

تَشِطُ (٨) غداً دارُ جيرانِنا وللدّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ

إذا سلكتْ (٩) غَمْرَ ذي كِنْدَةٍ مع الرَّكبِ قَصدُهُما الفرْقَدُ (١٠)

(١) جاء في شفاء الغليل : لقانق (باللام بدل النون الأولى) : اسم لأحد الأمعاء وبه سمي معى الغنم المحشو المقلي .

(٢) لعل المراد انه محسن بالخردل يوضع عليه .

(٣) السنبوسج - وورد بالقاف والكاف بدل الجيم ، ما يحشى بقدر (قطع) اللحم والجوز ونحوه من الرقاق المعجون بالسمن او الشيرج .

(٤) اللوزينج ، من الحلواء شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز .

(٥) شرقة ، غاصة ممتلئة .

(٦) نوم ، نام ، والتضعيف فيه للمبالغة .

(٧) العرجون ، أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً ، سمي بذلك لانعراجه .

(٨) تشط ، تبعد .

(٩) غمر ذي كندة ، موضع وراء وجرة بينه وبين مكة مسيرة يومين .

(١٠) الفرقد، نجمان في السماء من نجوم الدب الأصغر وهي في الشمال.

عِراقيّةٌ ، وتَهامي الهَوَى يَغُورُ بمكةَ أو يُنجِدُ (١)
وحثَّ الحُداةُ بها عيرَها (٢) سِراعاً إذا ما ونَتْ تُطرَدُ
هنالكَ إما تُعزّي الفؤاد وإما على إثرِها تَكْمَدُ
وليستْ ببِدعٍ إذا دارُها نأت والعَزاءُ إذاً أجملُ
صَرَمْتُ وواصلتُ حتى علمتُ أين المصادرُ والمَوْرِدُ
وجرَّبتُ من ذاك حتى عرفتُ ما أتوقّى وما أحمَدُ
فلما دَنَونا لجَرْسِ النُّباحِ والضوءِ ، والحيُّ لم يَرْقُدُوا
نأينا عن الحيِّ حتى إذا تودَّعَ (٣) من نارِها الموقِدُ
وناموا بعثنا لها ناشِداً وفي الحيِّ بُغيةُ مَن يَنشُدُ
أتتنا تَهادى (٤) على رِقبةٍ (٥) من الخوف احشاؤها تُرْعَدُ
تقول وتُظهِر وَجداً بنا (٦) ووَجْدي وإن أظهرتْ أوجَدُ
لِمَا شَقائي تعلّقتُكم وقد كان لي عنكم (٧) مَقعَدُ
وكفَّتْ سوابِقَ من عَبرةٍ على الخدِّ جالَ (٨) بها الاثمدُ
فإنّ التي شيَّعتنا الغَداةَ مع الفجر قلبي بها مُقصَدُ (٩)
كأنَّ أقاحيَّ مَوْليّةٍ (١٠) تَحدَّرُ من ماء مُزْنٍ نَدي (١١)

---

(١) يأتي الغور والنجد . والغور ، المطمئن من الأرض . والنجد ، ما غلظ وارتفع منها ، والمراد انه لا يريم اغوار مكة ونجادها ومحبوبته عراقية لا يتمكن ان يصل اليها .

(٢) العير ، الابل ، ولا واحد له من لفظه . والحداة ، جمع حاد واصله المغني للابل لتنشط في السير ، وقد يراد به الزاجر والسائق . وونت ، ضعفت وتبطأت . وتطرد ، تساق .

(٣) تودع ، سكنت ناره وانطفأت .

(٤) تتهادى ، تمشي في تمايل وسكون .

(٥) الرقبة ، التحفظ والفرق .

(٦) الوجد ، الشغف والشوق الشديد .

(٧) المراد : قد كان لي غنى عن حبكم . وفي سائر النسخ والديوان « عندكم » والمراد ؛ اني تعلقتكم وكان لي عندكم مكانة ومنزلة .

(٨) الاثمد ، حجر للكحل .

(٩) مقصد ؛ مقتول .

(١٠) وليت الأرض وليا اذا مطرت بالولي او الولي بالتسكين وهو المطر يأتي بعد المطر سمي بذلك لأنه يلي الوسمي ؛ والوسمي مطر الربيع الاول .

(١١) لم يرد هذا البيت بتلك القصيدة في ديوانه ، ولعله مدسوس على شعره لاختلاف رويه .

غنى معبد في الاول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل من اصوات قليلات الاشباه عن اسحاق . وغنى فيها اشعب المعروف بالطامع ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي. وللغريض في الابيات الأربعة الأولى ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج في الرابع عشر وهو :

* وكفَّتْ سوابقَ من عَبرَة *

ثم الأول والتاسع رمل بالوسطى عن ابن المكي . ولمالك – ويقال انه لمعبد – خفيف ثقيل في الرابع عشر والثالث عشر والاول عن الهشامي . وفي السابع والثامن والاول لابن جامع ثقيل اول بالوسطى عن الهشامي . وفي الاول والحادي عشر لابن سريج رمل بالبنصر في مجراها عن اسحاق . وفيها ثاني ثقيل بالسبابة في مجري البنصر عن اسحاق ولم ينسبه الى احد ، وذكر احمد بن المكي انه لأبيه . وفي الرابع والخامس رمل لمعبد عن ابن المكي ، وقيل : إنه من منحول أبيه الى معبد . وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رمل عن الهشامي . وفي الاول والثاني عشر ثاني ثقيل تشترك فيه الاصابع عن ابن المكي ، وقال ايضاً : فيه للابجر لحن آخر من الثقيل الثاني . ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه ، وفيها ايضاً رمل لابن سريج عنه وعن حبش . ولاسحاق في الاول والثاني رمل من كتابه . ولعلية بنت المهدي في الثالث عشر والاول ثقيل اول . ولابن مسجح في الثاني عشر والاول رمل ، ويقال انه للرطاب ، وذكر حبش انه لابن سريج . وفي الخمسة الابيات الاولى متوالية خفيف رمل بالوسطى ينسب الى معبد والى يحيى المكي . وزعم حبش ان فيها رملاً بالوسطى لابن محرز . والذي ذكره يونس في كتابه ان في :

* تَشُطُّ غــداً دارُ جيرانِنا *

خمسة الحان : اثنان لمعبد ، واثنان لمالك ، وواحد ليونس . وذكر احمد بن عبيد ان الذي عرف صحته من الغناء فيه سبعة الحان : ثقيل اول وثاني ثقيل وخفيف ثقيل ورمل وخفيفه .

اخبرني بعض اصحابنا عن ابي عبد الله بن المرزبان ان الذي احصى فيه الى وقته ستة عشر لحناً ، والذي وجدته فيه مما جمعته هاهنا – سوى ما لم يذكر يونس طريقته – تسعة عشر لحناً : منها في الثقيل الاول لحنان ، وفي خفيف الثقيل لحنان ، وفي الثقيل الثاني ستة ، وفي الرمل سبعة ، وفي خفيف الرمل لحنان .

وهذا الشعر يقوله عمر بن ابي ربيعة في امرأة من ولد الأشعثِ بن قيس حجت فهويها وراسلها ، فواصلته ودخل اليها وتحدث معها وخطبها

فقالت : أما هاهنا فلا سبيل الى ذلك ، ولكن ان قدمت الى بلدي خاطباً تزوجتُك فلم يفعل .

اخبرني بهذا الخبر الحرمي بن ابى العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الحسن المخزومي عن محرز بن جعفر مولى ابي هريرة عن ابيه قال :

سمعت بُديحاً يقول : حجت بنت محمد بن الأشعث الكِنْدِيَّة ، فراسلها عمر بن ابي ربيعة ووعدها أن يتلقَّاها مَساءَ الغدِ ، وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً يَنْشُد – ان لم يمكنه ان يرسل رسولاً – يُعْلِمُها بمصيره الى المكان الذي وعدها ؛ قال بُدَيح : فلم أشعر به إلا متلثما فقال لي : يا بديح ، ائت بنت محمد الأشعث فأخبرها اني قد جئت لموعدها ، فأبيت ان اذهب وقلت : مثلي لا يعين على مثل هذا ، فغيَّب بَغلته عني ثم جاءني فقال لي : قد أضللت بغلتي فأنشدها لي في زُقاقِ الحاج ، فذهبت فنشدتُها ، فخرجت على بنت محمد بن الاشعث وقد فَهِمتِ الآية ، فاتته لموعده ؛ وذلك قوله :

وآيةُ ذلكِ أن تسمَعي   إذا جئتُكم ناشداً يَنْشُد

قال بديح : فلما رأيتها مقبلة عرفت انه قد خدعني بَشدِي البغلة ، فقلت له : يا عمر ، لقد صدقت التي قالت لك :

فهــذا سِحرُكَ النّسوا   نَ ، قد خَبّرَنني خبرك

قد سحرتني وانا رجل ! فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن ! وما آمَنُكَ بعدَها ، ولو دخلت الطواف ظننت انك دخلته لبَلِيَّةٍ ؛ قال : وحدثها بحديثي ، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني .

قال الزبير : فحدثني ابو الهِنْدام مولى الرُّبَعِيِّين عن ابي الحارث بن عبد الله الرُّبَعِيّ قال :

لقي ابن أبي عَتيق بُديحاً فقال له : يا بديح ، أخدعكَ ابن ابي

ربيعة ، انه قُرشي ؟ فقال بديح : نعم ، وقد أخطأه ذلك عند القَسْرِيّ (١) وصواحبه ، فقال ابن ابي عتيق : ويحك يا بديح ! إن من تَغابى لك ليغبَى عنك فقد ضَمِنْتَ عليه قبضَتَكَ إن كان لك ذهنٌ ، أما رأيت لِمَنْ كانت العاقبةُ ؟ والله ما بالى ابن أبي ربيعة أَوقَعَ عليهن أم وقعن عليه ؟ .

اخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد الكراني قال حدثنا العمري عن كعب ابن بكر المحاربي : ان فاطمة بنت محمد بن الأشعث حجّت فراسلها عمر بن ابي ربيعة فواعدته ان تزوره ، فأعطى الرسول الذي بشره بزيارتها مائة دينار .

اخبرني علي بن صالح عن ابي هفان عن اسحاق عن رجاله المذكورين قالوا :

حجّت بنتٌ لمحمد بن الأشعث – هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيح – وكانت معها امها وقد سمِعتْ بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت اليه ، فجاءها فاستنشدته ، فأنشدها :

تَشُطُّ غداً دارُ جيراننا ولَلدّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ

وذكر القصة بطولها ، قال : وقد كانت لمّا جاءها أرسلتْ بينها وبينه سِتراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يُحدّثها حتى استنشدته فأنشدها هذه القصيدة ، فاستخفّها الشعر فرفعت السَّجْف ، فرأى وجهاً حسناً في جسمٍ ناحل ، فخطبها وأرسل الى امها بخمسمائة دينار فأبت وحجبته وقالت للرسول : لا تعود الينا فكأن الفتاة غمها ذلك ، فقالت لها امها : قد قتلك الوجد به فتزوجيه ، قالت : لا والله لا يتحدث أهل العراق عني اني جئت ابن ابي ربيعة اخطبه ، ولكن إن أتاني الى العراق

(١) يراد به – فيما يظن صاحب الاغاني – خالد بن عبدالله القسري المعروف بالخِرّيت . وقد روى عنه انه نشأ بالمدينة وكان في حداثته يتخنث ويتتبع المخنثين والمغنين ويمشي مع عمر بن ابي ربيعة ويترسل بينه وبين النساء .

تزوجته . قال : ويقال : إنها راسلته وواعدته ان تزوره فأجمر [١] بيته وأعطى المبشّر مائة دينار ، فأتته وواعدته إذا صدر [٢] الناسُ ان يُشيِّعها ، وجعلت علامة ما بينهما ان يأتيها رسوله ينشدها ناقةً له خلَتْ ، فلما صدر الناس ، فعل ذلك عمر ؛ وفيه يقول وقد شيعها :

صوت

قال الخليطُ [٣] غداً تَصدّعُنا [٤] ... او بعدَه ، أفلا تُشيّعُنا
أمّا الرّحيلُ فدونَ بعد غدٍ ... فمتى تقولُ [٥] الدارَ تجمعُنا
لِتَشُوقَنا هندٌ وقد علمتْ ... علماً بأن البين يُفزِعُنا
عجباً لموقِفنا وموقِفِها ... وبمَسْمَعٍ رِتْبَتُنها تُراجِعُنا !
ومقالِها سِرْ ليلةً معنا ... نَعْهَد [٦] فإن البينَ فاجعُنا !
قلتْ العيونُ كثيرةٌ معكم ... وأظنُ أن السّيرَ مانعُنا
لا بل تَزورُكمْ بأرضكمُ ... فيُطاعُ فائلُكم وشافعُنا
قالت أشيءٌ أنت فاعلُهُ ... هذا لعمرُكَ أم تُخادِعُنا ؟
بالله حدِّثْ ما تؤمِّلُه ... واصدُقْ فان الصّدقَ واسعُنا
اضرب لنا أجلا نَعُدُّ [٧] له ... إخلافُ موعِده تقاطُعُنا

الغناء لابن سريج ثقيل اول مطلق في مجرى البنصر عن اسحاق ، وذكر عمرو انه للغريض بالوسطى : وفيه لابن سريج خفيف رمل عن الهشامي ، وذكر حبش انه لموسى شهوات .

(١) اجمر بيته : بخره بعود ونحوه .
(٢) صدر الناس : انصرفوا ورجعوا .
(٣) الخليط : القوم المختلطون الذين امرهم واحد .
(٤) تصدع القوم : تفرقوا .
(٥) تقول : بمعنى تظن .
(٦) نأخذ عليك العهد والميثاق ان تلقانا بعد افتراقنا .
(٧) نعد: أي نحسب الأيام والليالي في انتظاره.

عمر في مغامرة :

ومنها مما لم يُنسب ايضاً .

صوت

لقــــد ارسلت جـاريتي وقلتُ لها: خُذي حَذَرَكْ
وقــولي في ملاطفـــةٍ لزينب : نَوِّلي عُمَرَكْ
فهزَّت رأسهـــا عجباً وقالت : مَنْ بِذا أمرَكْ
أهــذا سِحْرُكَ النّسوا نَ ، قد خبَّرنَني خَبَرَكْ

غنى فيها ابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن عمرو ، وقال قوم : انـه للغريض . وفيها لمالك خفيف ثقيل عن ابن المكي . وفي هذا الشعر ألحان كثيرة والشعر فيها على غير هذه القافية ، لأن هذه الابيات لعمر من قصيدة رائيـــة موصولة الراءات بألفٍ ، إلا ان المغنين غيروا هذه الابيات في هـــذين اللحنين فجعلوا مكان الألِف كافاً ؛ وإنما هي :

لقــــد أرسلت جاريتي وقلت لها : خُذي حَذَرا

وأوّل القصيدة :

صوت

تَصــابى القلب وادّكَرا صِبــاهُ ولم يكن ظَهرا
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنــا صفــاءً لم يكن كَدَرا
أليست بالــتي قـــالت لمولاةٍ لهـــا ظهـــرا
أشِــيري بالسَّلامِ لــه إذا هـــو نحونا خطـــرا
لقد أرسَلتُ جــاريــتي وقلتُ لها : خُــذِي حَذَرَا

وَقَولي في ملاطفــةٍ لِزَينبَ : نَوِّلي عُمَــرا
فهزّتْ رأسها عجباً وقالت : مَنْ بِذَا أمَرا !
أهذا سِحرُكِ النسوا نَ ، قد خَبَّرْنَني الخَبَرا

غنى ابن سريج في الثالث والرابع والخامس خفيف ثقيل او باطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية اسحاق . وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأول لابن سريج ، وابو اسحاق ينسبه في نسخته الثانية الى دحمان . وللغريض في الاول من الأبيات لحن من القدر الاوسط من الثقيل الاول بالوسطى في مجراها اضاف اليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما :

طَرِبتَ وردٌ من تَهوَى جِمالُ الحَيِّ فابتكرا
فقلْ للمالكيـــةِ لا [١] تلومي القلبَ إن جَهَرا [٢]

وذكر يونس ان لمعبدٍ في هذا الشعر الذي أوله :

* تَصابى القلبُ وادّكرا *

لحنين لم يذكر جنسيهما ؛ وذكر الهشامي : ان احدهما خفيف ثقيل (٣) والآخر رمل ، وفي الابيات التي غنى فيها الغريض رمل لدحمان عن الهشامي ، قال : ويقال انه لابنة الزبير .

وزينبُ التي ذكرها عمر بن ابي ربيعة هاهنا ، يقال لها : زينبُ بنت موسى أختُ قُدامةَ بن موسى الجُمَحِيِّ .

اخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن ابي بكر العامري . واخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال :

شَبَّبَ عمر بن ابي ربيعة بزينب بنت موسى الجُمحيّة في قصيدتـــه التي يقول فيها :

---

(١) في ت ، ا ، م ، د « للبربرية » .
(٢) في ج ، ر « هجرا » .
(٣) هذه الكلمة ليست في ت ، م ، د .

صوت

يا خليليَّ من مَلامٍ دعاني ... وألمَّا الغداةَ بالأظعانِ
لا تلوما في آل زينب إنّ القلبَ رَهْنٌ بآلِ زينبَ عاني
ما أرى ما بقيت أن أذكرَ المو ... قفَ منها بالخَيْفِ(١) إلاّ شجاني

غنى في هذه الأبيات الغريض خفيف رمل بالبنصر عن عمرو :

لم تدعْ للنساءِ عنديَ حظّاً ... غيرَ ما قلتُ مازحاً بلساني
هي أهلُ الصفاءِ والودِّ منّي ... وإليها الهوى فلا تعذلاني
حين قالت لأختها ولأخرى ... من قطينٍ(٢) مولَّدٍ : حدّثاني
كيف لي اليومَ أن أرى عُمرَ المرْ ... سِلَ سِراً في القول أن يلقاني؟
قالتا : نبتغي رسولاً إليه ... ونُميتُ الحديث بالكتمانِ
إنّ قلبي بعد الذي نِلتُ منها ... كالمعنّى(٣) عن سائرِ النسوانِ

قال : وكان سبب ذكره لها ان ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله اليها ، فقال فيها الشعر وشبّب بها ، فبلغ ذلك ابن ابي عتيق ، فلامه فيه وقال له : أتنطق الشعر في ابنة عمّي ؟ فقال عمرُ :

صوت

لا تلُمْني عتيقُ حسبي الذي بي ... إنّ بي يا عتيقُ ما قد كفاني
لا تلُمْني وأنتَ زيّنتَهـا لي ... أنتَ مثلُ الشيطانِ للانسانِ

(١) الخيف : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل .
(٢) القطين : الخدم والاتباع والحشم ، والمولد من العبيد والاماء: من ولد بين العرب ونشأ مع اولادهم .
(٣) في ديوانه « كالمنى » أي المأسور المحبوس من غيرها .

إنّ بي داخلًا من الحبّ قد أبـ ـلى عِظامي مكنونُه وبَراني
لو بعينيكَ يا عتيقُ نظرنـا ليلةَ السّفح قرّتِ العينانِ
إذ بدا الكشحُ والوِشاحُ من الدُّ رّ وفَصْلٌ فيه من المرجانِ (١)
قد قَلَى قلبي النساء سواهـا غيرَ ما قلتُ مازحاً بلساني (٢)

وأوّل هذه القصيدة :

إنني (٣) اليومَ عاد لي أحزاني وتذكّرتُ ما مضى من زماني
وتذكّرتُ ظبيةً أمّ رِئمٍ (٤) هاج لي الشوق ذكرها فشجاني (٥)

غنى أبو العُبَيْس بن حمدون في ، لا تلمني عتيق ... ، لحناً من الثقيل الأول المطلق . وفيه رَمَلٌ طُنبُوريٌّ مجهول .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال اخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال :

أنشد عمر بن ابي ربيعة قوله :

يا خليليَّ من ملامٍ دعاني وألِمّا الغداةَ بالأظعانِ
لا تلوما في آل زينبَ إن القلب رَهْنٌ بآل زينب عاني

... القصيدةَ ، قال : فبلغ ذلك أبا وَدَاعةَ السَّهْميّ فأنكره

(١) لم يرد هذا البيت بتلك القصيدة في ديوانه . والكشح : ما بين الحجبة – وهي رأس الورك الذي يشرف على الخاصرة – إلى الإبط . والوشاح شبه قلادة ينسج من اديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقيها .

(٢) ذكر في ديوانه صدر هذا البيت لبيت آخر وعجزه لبيت ثان هكذا :

لم تدع للنساء عندي نصيباً غير ما قلت مازحاً بلساني
وقلى قلبي النساء سواها بعد ما كان مغرماً بالغواني

(٣) في ديوانه :

اني اليوم عادلي أحزاني وتذكرت ميعتي في زماني

(٤) الرئم : ولد الظبية

(٥) في ديوانه :

* صدع القلب ذكرها فشجاني *

وغضب ، وبلغ ذلك ابن ابي عتيق وقيل له : إن ابا وداعة قد اعترض لابن ابي ربيعة من دون زينب بنت موسى ، وقال : لا أقِرُّ لأبن ابي ربيعـة ان يذكر امرأة من بني هُصَيْصٍ في شعره ؛ فقال ابن ابي عتيقٍ : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ مِن سَمَرْقَنْدَ على أهل عَدَنَ !.

قال الزبير : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال :

شبّب عمر بن ابي ربيعة بزينب بنت موسى في ابياته التي يقول فيها :

لا تلوما في آل زينب إنّ القلبَ رهنٌ بآل زينب عاني

فقال له ابن ابي عتيق : أما قلبك فقد غُيِّبَ عنّا ، واما لسانك فشاهدٌ عليك .

قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عِمرانُ بن عبد العزيز : عَذَلَ ابن أبي عتيقٍ عمرَ في ذكره زينب في شعره ، فقال عمر :

لا تلمني عتيقُ حسبي الذي بي إنّ بي يا باعتيقُ ما قد كفاني
لا تلمني وأنت زيّنتها لي

قال : فبدَره ابن ابي عتيق ، فقال :

* أنتَ مثلُ الشيطان للانسانِ *

فقال ابن ابي ربيعة : هكذا ورب البيت قلتُـه ، فقال ابن ابي عتيق : إن شيطانك وربِّ القبر ربما ألمّ بي فيَجِدُ عندي من عصيانه خلافَ ما يجد عندك من طاعته ، فيُصيبُ مني وأصيب منه :

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : حدثني قدامة بن موسى قال :

خرجتُ بأختي زينب الى العُمرة ، فلما كانت بسرف [١] لقيني عمر بن ابي ربيعة على فرس فسلّم عليّ ، فقلتُ له : إلى اين أراك متوجهاً يا ابا الخطّاب ؟ فقال : ذُكِرتْ لي أمرأة من قومي بَرْزةُ الجمال فأردت الحديث معها ، فقلت : هل علمت انها اختي ؟ فقال : لا ، واستحيا وثنى عُنُقَ فرسه راجعاً الى مكة .

اخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدثنا احمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن لقيط بن بكر المحاربي قال :

أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر :

صوت

مَنْ لسقيمٍ يكتُمُ الناسَ ما به ... لزينبَ نجوى صدرِه والوَساوسُ
أقولُ لمن يَبغي الشّفاء متى تجيءْ ... بزينب تُدرِك بعض ما أنت لامسُ
فإنّك [٢] إن لم تشفِ من سقمي بها ... فإني من طبِّ الأطبّاء آيس
ولستُ بناسٍ ليلة الدار مجلسا ... لزينبَ حتى يَعلوَ الرأسَ رامِس [٣]
خلاءً بدتْ قمراؤه وتكشّفتْ ... دُجُنّتُه وغاب من هو حارسُ
وما نلتُ منها محرَماً غير أننا ... كِلانا من الثوب المورّد [٤] لابس
نجيّيْنِ نقضي اللهوَ في غير مأثم ... وإنْ رَغِمتْ مِ الكاشحينَ المعاطس

قال : فقال ابن أبي عتيق : أمِنّا يسخر ابن أبي ربيعة ؟ فأيُّ محرَم بقيَ ! ثم أتى عمرَ فقال له : يا عمرُ ألم تخبرني أنك ما أتيت حراماً قط ؟ قال : بلى ، قال : فأخبرني عن قولك :

---

(١) سرف : موضع على عشرة أميال من مكة .
(٢) في ديوانه :
* فانك إلا تأتي يوماً بزينب *
(٣) الرامس : الدافن في الرمس وهو القبر .
(٤) المورد : الذي صبغ على لون الورد .

* كِلانا من الثوبِ المورَّد لابسُ *

ما معنــاه ؟ قال : والله لأخبرنَّك ! خرجت أريد المسجد وخرجتْ زينب تريده ، فالتقينا فاتَّعدْنا (١) لبعض الشِّعاب ، فلما توسطنا الشِّعبَ أخذتنا السماء ، فكرهت ان يُرى بثيابها بلل المطر ، فيقال لها : ألا استترتِ بسقائف المسجد إن كنتِ فيه ! فأمرت غلماني فستروْنا بكساء خزٍّ كان عليَّ ، فذلك حين اقول :

* كلانا من أثواب المطارفِ لابسُ *

فقال له ابن أبي عتيق : يا عاهر ! هذا البيت يحتاج الى حاضِنة ! .

الغناء في هذه الأبيات التي أوّلها :

* مَنْ لِسَقيم يكتُم الناس ما به *

لرذاذٍ ثقيل اوّل ؛ وكان بعض المحدثين ممن شاهدناه يدّعي أنــه له ولم يُصَدَّق .

اخبرني الحرميُّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال :

قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى :

صوت

طال من آل زينب الاعراضُ للتعدّي وما بهــا الإبغاضُ
ووَليدَيْن كان عُلِّقَها القلبُ إلى أن علا الرءوسَ بياضُ
حبلُها عنــدنا متينٌ وحبْلي عندها واهِنُ القُوَى أنقاضُ (٢)

الغناء في هذه الأبيات لابن محرز خفيف رمل بالبنصر عن عمرو ؛ وقال الهشامي :

---

(١) اتعدنا : تواعدنا .

(٢) أنقاض : جمع نقض بالكسر وهو الحبل الذي يجود فتله ولم يبرم .

فيه لابن جامع خفيف رمل آخر .

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال : عبد الرحمن بن عبد الله وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن ابيه قال :

لما قال عمر بن ابي ربيعة في زينب :

لم تدعْ للنساء عندي نصيباً غيرَ ما قلتُ مازحاً بلساني

قال له ابن ابي عتيق : رضيتَ لها بالمودّة ، وللنساء بالدّهْفشَة ، قال : والدّهفشة التّجْميش [١] والخديعة بالشيء اليسير . وقال غير الزبير في هذا الخبر الدهشقة مكان الدهفشة .

وبما قاله عمرُ في زينب وغني فيه قوله :

صوت

أيها الكاشحُ المعيِّر بالصّرْ م تزحزحْ فما لها الهجْرَانُ [٢]
لا مُطَاعٌ في آل زينب فارجعْ أو تكلّمْ حتى يَملَّ اللسانُ
نجعلُ الليلَ موعداً حينَ نُمسي ثم يُخفي حديثَنا الكتمانُ
كيفَ صَبْري عن بعض نفْسِي وهل يصبر عن بعضِ نفسه الانسانُ !
ولقد أشهَدُ المحدّثَ عند القصْر فيه تعفُّفٌ وبيانُ
في زمانٍ من المعيشة لَدْنٍ قد مضى عَصْرُهُ وهذا زمان

الغناء في هذه الابيات لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو ودنانير . وذكر يونس ان فيه لحناً لابن محرز ولحناً لابن عباد الكاتب . أول لحن ابن عباد الكاتب : « لا مطاع في آل زينب ..... » واول لحن ابن محرز : « ولقد أشهد المحدث ... » .

وبما غنّي فيه لابن محرز من اشعار عمر ابي ربيعة في زينب بنت موسى قوله :

---

(١) التجميش : المداعبة والمغازلة .
(٢) الكاشح : عدوك الذي يوليك كشحه ويعرض عنك بوجهه . والصرم : الهجر .

صوت

يا مَنْ لقلبٍ مُتيَّمٍ كَلِفِ يَهذي بخَوْدٍ (١) مريضة النظرِ
تمشي الهوَيْنا إذا مشت فُضُلاً (٢) وهيَ كمثل العُسلوج (٣) في الشجرِ

للغريض في هذين البيتين خفيف رمل بالوسطى . ولابن سريج رمل بالبنصر عن الهشامي وحبش .

ما زال طَرْفي يَحارُ إذ بَرَزَت (٤) حتى رأيت النقصان في بصري
أبصرتُها ليلةً ونسوتَها يمشينَ بين المقامِ والحجَرِ
ما إن طَمِعنا بها ولا طَمِعتْ حتى التقينا ليلاً على قدَرِ (٥)
بيضاً حِساناً خرائداً قُطُفاً (٦) يمشينَ هَوْناً كمِشيَة البقرِ
قد فُزْنَ بالحسن والجمال معاً وفُزن رِسلاً (٧) بالدَّلّ والخفرِ
يُنصِتنَ يوماً لها اذا نطقتْ كيما يُشرّفنَها على البشرِ
قالت لتِربٍ لها تُحدّثُها لَنُفسِدَنَّ الطَّوافَ في عُمَرِ
قُومي تَصَدَّي له ليعرفَنا ثم اغمِزيه يا أختُ في خَفَرِ
قالت لها قد غمزتُه فأبى ثم اسبَطَرَّت (٨) تسعى على أثري
من يُسقَ بعد المنام ريقتَها يُسقَ بمِسكٍ وباردٍ خَصِرِ (٩)

غنّى في هذا الشعر الغريضُ خفيف رمل بالوسطى عن عمرٍو . وغنّى

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً وهي المرأة بين الحدثة والمسنة .
(٢) الفضل بضمتين : المختالة التي تفضل من ذيلها .
(٣) العسلوج : الغصن اللين الاخضر .
(٤) في ديوانه : « نظرت » .
(٥) على قدر : على غير موعد .
(٦) جمع قطوف وهي البطيئة في السير .
(٧) الرسل بالكسر : الرفق والتؤدة . والخفر : شدة الاستحياء .
(٨) اسبطرت : اسرعت .
(٩) الخصر : البارد .

فيه ابن سريج رَمَلًا بالبنصر عن الهشامي وحبش .

ومنها :

صوت

ألا يا بَكرُ قد طَرقا خيالٌ هاج لي الأرَقا
لزينب إنها همّي فكيفَ بحبلِها خلَقا
خَدلَّجة[1] إذا انصرفت رأيتَ وِشاحَها قلِقا
وساقاً تملأُ الخلخا لَ فيه تراه مُختنِقا
إذا ما زينبٌ ذُكِرَتْ سكبتُ الدمع مُتَّسِقا
كأن سحابةً تَهْمي بماءٍ حُمِّلَت غدَقا[2]

الغناء لحُنين رمل عن الهشامي . وفيه لابن عباد خفيف ثقيل ، ويقال : انه ليونس .

ومما قاله فيها ايضاً وغني فيه :

صوت

أَلِمْ بزينبَ إن البَينَ قد أَفِدا[3] قَلَّ الثَّواءُ لئِنْ كان الرَّحيلُ غدا
قد حلَفتْ ليلةَ الصَّوْرَينِ[4] جاهدةً وما على المرء إلا الحَلْفُ مجتهِداً
لأختها ولأخرى من مَنَاصِفِها[5] لقد وجَدتُ به فوقَ الذي وجدَا
لو جُمِّعَ الناسُ ثم اختير صَفْوُهُمُ شخصاً من الناس ، لم أعدِلْ به أحدا

---

(١) الخدلجة مشددة اللام : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .
(٢) الغدق : الماء الكثير .
(٣) أفد : عجل واسرع .
(٤) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع .
(٥) المنصف كمنبر ومقعد : الخادم ، والانثى بالهاء ، جمعهُ مناصف .

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة والبنصر في الاول والثاني عن يحيى المكي ، وله فيه ايضاً خفيف رمل بالوسطى في الثاني والثالث والرابع عن عمرو . ولمعبد ثقيل اول في الاول والثاني عن الهشامي . وفي الابيات الاربعة خفيف ثقيل ينسب الى الغريض ومالك.

اخبرني علي بن صالح قال حدثنا ابو هفان عن اسحاق عن مصعب الزبيري قال :

اجتمع نسوة فذكرن عمر بن ابي ربيعـــة وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه ، فتشوقن اليه وتمنينه ، فقالت سُكَينة : أنا لكنّ به ، فبعثت إليه رسولاً ان يوافي الصورين ليلةً سمّتها ، فوافاهن على رواحله ، فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن ، فقال لهنّ : والله اني لمحتاج الى زيارة قبر النبي ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكني لا أخلط بزيارتكن غيرها ، ثم انصرف الى مكة وقال في ذلك :

☆ أَلِمَّ بزينبَ إنّ البينَ قد أفدا ☆

وذكر الأبيات المتقدمة :

شهادة جرير

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قـــال : أنشد جرير قول عمر بن ابي ربيعة :

سائلا الربعَ بالبُلَيّ[1] وقولا هِجْتَ شوقاً ليَ[2] الغداةَ طويلا
أينَ حيٌّ حلّوكَ إذ أنت محفو فٌ بهم آهِـــلٌ أراكَ جميلا ؟
قال ساروا فأمعنوا واستقلّوا[3] وبرغمي لو استطعتُ سبيلا

(١) البلى : تل قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق .

(٢) في ديوانه : « لنا » .

(٣) استقلوا : واصلوا السير وجدوا في الارتحال .

سَمْمُونا وما سَمْمنا مُقاماً وأحبُّوا دَماثَةً وسُهولا

فقال جَرير : ان هذا الذي كنا نَدُورُ (١) عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشيّ .

وفي هذه الأبيات رملان : احدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى ، والآخر لاسحاق مطلق في مجرى البنصر جمعاً من روايته . وذكر عمرو : ان فيها رملاً ثالثاً بالوسطى لابن جامع . وقال الهشامي : فيها ثلاثة أرمال لابن سريج ، وابن جامع ، وابراهيم . ولأبي العبيس بن حمدون فيها ثاني ثقيل . وفيها هزج لابراهيم الموصلي من جامع اغانيه .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال : وجدتُ كتاباً بخط محمد بن الحسن ذُكر فيه ان فليح بن اسماعيل حدثه من معاذ صاحب الهرويّ ان النصيب قال : عمر بن ابي ربيعة أوصفنا لربات الحجال .

أخبرني الطوسيّ قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظَمياءُ مولاة فاطمة بنت عمر ابن مصعب قالت : سمعت جدك يقول : وقد أُنشِد قول عمر بن أبي ربيعة :

صوت

يا ليتني قد أجزتُ الحبل نحوكم
حَبْلَ المعرَّفِ أو جاوزتُ ذا عُشَرِ (٢)
إن الثَّواءَ بأرضٍ لا أراكِ بها فاستَيْقِنيه ثَواءٌ حَقُّ ذي كَدَرِ
وما مَلِلْتُ ولكن زادَ حبُّكمُ وما ذكرتُكَ إلا ظلْتُ كالسَّدِرِ (٣)

(١) يقال : دار عليه وبه وحوله : طاف ، والمراد : ان هذا الذي نبحث عنه لنصل اليه ...
(٢) أجزت : جاوزت . والحبل : حبل عرفة وهو موضع بعرفات ، يقال عرَّف القوم : وقفوا بعرفة . والمعرَّف : موضع الوقوف بها . وذو عشر : واد بين البصرة ومكة .
(٣) السدر : المتحير لعله محرف عن « نقش النضار » وهو لقب لنافع بن طنبورة المغني .

الثمن ١٥٠ غ.ل. او ما يعادلها   مطبعة دار الكتب

الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

اشرف على مراجعته وطبعه
العلامة الشيخ عبد الله العلايلي
موسى سليمان ، احمد أبو سعد

المجلد الاول - القسم الثاني

منشورات دار الثقافة ودار مكتبة الأندلس

ولا جَذِلْتُ بشيء كان بعدَكُمُ
ولا مَنَحْتُ سواكِ الحبَّ من بَشَرِ

الغناء في هذه الاربعة الابيات لسلاّم بن الغسّاني رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع وقفا (١) النجار لحنان من كتاب ابراهيم ولم يُجنّسهما . وتمام الأبيات :

أذري الدموعَ كذي سُقْمٍ يُخامِرُهُ ... وما يخامرني سُقْمٌ سوى الذِّكَرِ
كم قد ذكرتُكِ لو أجدى تذكُّرُكم ... يا أشبهَ الناسِ كلَّ الناسِ بالقمرِ

قالت : فقال جدّك : إن لشعر عمر بن ابي ربيعة لموقِعاً في القلب ، ومخالطة للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعرٌ يسحر لكان شعره سحراً .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمامةُ بن عمر قال : رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، يسأل المِسْوَرَ بن عبد الملك عن شعر عمر بن ابي ربيعة ، فجعل يذكر له شيئاً لا يعرفه فيسأله ان يُكْتِبَهُ (٢) إياه فيفعل ، فرأيته يكتب ويده ترعد من الفرح .

نقد ومفاضلة :

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عمه يوسف قال :

ذُكر شعر الحارث بن خالد وشعر عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولَد خالد بن العاصي بن هشام ، فقال : صاحبنا - يعني الحارث بن خالد - أشعرهما ، فقال له ابن أبي أبي عتيق : بعضَ قولك يا ابن أخي لشعر عمر بن أبي ربيعة نَوْطةٌ (٣) في القلب ، وعُلوقٌ بالنفس ، ودَرَكٌ للحاجة ليست لشعرٍ ، وما عُصِيَ

(١) لعله محرف عن « نقش النضار » وهو لقب لنافع بن طنبورة المغني .
(٢) الاكتاب : الاملاء ، يقال اكتبني هذه القصيده اي أملها علي .
(٣) النوطة : التعلق .

الله ، جل وعز ، بشعر أكثر مما عصي بشعر ابن ابي ربيعة ، فخذ عني ما أصفُ لك : أشعرُ قريش من دقّ معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن حاجته ! فقال المفضل للحارث : أليس صاحبنا الذي يقول :

إنّي وما نَحَرُوا غَداةَ مِنىً عند الجِمَار يَئُودها (١) العُقُلُ
لو بُدِّلَتْ أعلى مساكِنِها سُفلًا وأصبح سفلُها يَعلُو
فيكادُ يعرفها الخبيرُ بها فيرُدُّه الإقواءُ والمَحْلُ (٢)
لعرفتُ مغناها ، بما احتملتْ مني الضلوعُ ، لأهلها ، قَبْلُ

فقال له ابن ابي عتيق : يا بن أخي ، استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا ؛ أما تطيّر الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ، ما بقي إلا ان يسأل الله تبارك وتعالى ، لها حجارة من سِجّيل (٣) ؛ ابن ابي ربيعة كان أحسن صُحبةً للربع من صاحبك ، وأجمل مخاطبة حيث يقول :

سائلا الربعَ بالبُلَيّ وقولا هِجتَ شوقاً ليَ ، الغداة ، طويلا

وذكر الأبيات الماضية ، قال : فانصرف الرجل خجلا مُذعِناً .

القباع ابن الشاعر

اخبرني علي بن صالح قال حدثني ابو هفان عن اسحاق عن رجاله المسمّين واخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جده قالوا :

كان الحارث بن عبد الله بن ابي ربيعة أخو عمرَ بن ابي ربيعة رجلاً صالحاً ديّناً من سَرَوَاتِ قريش ، وإنما لُقب القُباعَ لأن عبد الله بن الزبير كان ولاه البصرة فرأى مكيالا لهم فقال : ان مكيالكم هذا

(١) يئودها : يثقلها . والعقل : الحبس .
(٢) أقوت الدار : اقفرت وخلت من اهلها . والمحل : الجدب .
(٣) السجيل : الطين المتحجر وهو فارسي معرب .

لَقُبَّاعٌ – قال : وهو الشيء الذي له قعر – فلقب بالقباع .

واخبرني محمد بن خلف بن المرزبان واحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدثنا خالد بن سعيد قال :

استعمل ابنُ الزبير الحارثَ بن عبد الله بن ابي ربيعة على البصرة فأتوه بمكيال لهم ، فقال لهم : ان مكيالكم هذا لقباع فغلب عليه . وقال ابو الاسود الدُّؤَليّ – وقد عتب عليه يهجوه ويخاطب ابن الزبير :

أميرَ المؤمنين جُزِيتَ خيراً أرِحْنا من قُباعِ بني المُغيرَهْ

بَلَوْناه ولُمْناه وأعيا علينا ما يُمِرُّ [1] لنا مَريرَهْ

على أنَّ الفتى نِكْحٌ أكولٌ وولاَّجٌ مذاهبُهُ كثيرَهْ

حنين الغريب

قالوا : وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه ، فأعطاه الف دينار على ألاّ يقول شعرا ، فأخذ المال وخرج الى أخواله بلَحجٍ وأبْيَنَ [2] مخافة ان يهيجه مُقامه بمكة على قول الشعر ، فطرب يوماً فقال :

صوت

هيهاتَ من أمة الوَهّابِ منزلُنا اذا حللنا بسِيفِ [3] البحر من عَدَنِ

واحتلّ أهلُكِ أجياداً [4] وليس لنا الا التذكُّرُ أو حظٌّ من الحَزَنِ

لو أنها أبصرتْ بالجزع عَبْرَتَه من أن يُغَرِّدَ قُمْرِيٌّ على فَنَنِ

---

(١) أمرّه : أحكمه وابرمه ، والمراد انه لا يمكنه ان يسوسهم ولا يلي امرهم .

(٢) لحج وابين : مخلافان باليمن .

(٣) سيف البحر : ساحله .

(٤) أجياد : موضع بمكة .

إذا رأتْ غير ما ظنَّتْ بصاحبها وأيقنتْ أن لَخْجاً ليس من وَطني
ما أنْس َلا أنس يوم الخيْف موقفَها[١] وموقفي وكلانا ثَمَّ ذو شَجَن
وقولَها للثُّريّا وهْي باكيةٌ[٢] والدمعُ منها على الخدَّين ذو سُنَن[٣]
بالله قولي له في غير مَعْتَبَةٍ ماذا أردتَ بطول المُكْث في اليمن
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفِرْتَ بها فما أخذتَ بتَرْك الحجّ من ثمن

قال : فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر ، قد فتك وغدر . قال : وقال ابن جُرَيْج : ما ظننت أن الله عز وجل – ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قوله :

بالله قولي له في غير معتبـــة ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنتَ حاولت دنيا أو ظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن

فحركني ذلك على الرجوع إلى مكة ، فخرجت مع الحاج وحججت .

غنى في أبيات عمر هذه ، ابن سريج ولحنه رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وفيها للغريض ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

مع الخليفة :

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان قال حدثني إسحاق عن السعدي قال : قدم الوليد بن عبد الملك مكة فأراد ان يأتي الطائف فقال :

هل لي في رجل عِلمٌ بأموال الطائف فيخبرني عنها ؟ فقالوا : عمر بن أبي ربيعة ، قال : لا حاجة لي به ، ثم عاد فسأل ، فذكروه له فردَّه ، ثم عاد فسأل فذكروه له ثم رده ، ثم عاد فسأل فذكروه له فقـــال : هاتوه ، فركب معه يحدثه ثم حرك عمر رداءه ليصلحه على كتفه ، فرأى

(١) في ديوانه : * بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها * والخيف : موضع بمنى وبه سمي مسجد الخيف .
(٢) في ديوانه : * وقولها للثريا يوم ذي خشب * بفم الخاء والشين .
(٣) ذو سنن : ذو طرائق .

على منكبه أثراً ، فقال : ما هذا الأثر ؟ فقال : كنت عند جارية إذ جاءتني جارية برسالة من عند جارية أخرى ، فجعلت تُسارُّني ، فغارت التي كنت أحدثها ، فعضت منكبي ، فما وجدت ألم عضها من لذة ما كانت تلك تنفُثُ في أذني حتى بلغت ما ترى – والوليد يضحك – فلما رجع عمر قيل له : ما الذى كنت تحدّث به أمير المؤمنين فأضحكه ؟ فقال : ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا .

عمر وابن قيس الرقيات :

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن عبد الله البكري وغيره عن عبد الجبّار بن سعيد المساحقي عن ابيه قال :

دخلتُ مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مُساحِق وإنه لَمعتمدٌ على يدي ، إذ مررنا بسعيد بن المسيّب في مجلسه وحوله جلساؤه ، فسلمنا عليه فردَّ علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ، مَنْ أشعَرُ ، أصاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد : عبدُ الله بن قيس ، أم عمرُ بن ابي ربيعة ؟ فقال نوفل : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال : حين يقول صاحبنا :

خليليَّ ما بالُ المطايا كأنما نراها على الأدبار بالقوم تَنكُصُ (١)
وقد قُطِعَتْ أعناقُهن صبابةً فأنفُسُنا مما يُلاقِينَ شُخَّصُ
وقد أتعبَ الحادي سُراهُنَّ وانتحى بِهِنّ فما يألو عَجولٌ مُقَلِّصُ (٢)
يَزِدْنَ بنا قرباً فيزدادُ شوقُنا إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنقُصُ

ويقول صاحبك ما شئتَ ، فقال له نوفل : صاحبكم أشعر في الغَزَل ، وصاحبنا أكثر أفانينَ شعرٍ ، فقال سعيد : صدقت ، فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويَعْقِد (٣) بيده حتى وفّى

(١) تنكص : ترجع وتولي وتحجم .
(٢) مقلص : مشمر جاد في السير .
(٣) يعقد : يحسب .

مائة . فقال البكري في حديثه عن عبد الجبار : قال مسلم فلما انصرفنا قلت لنوفل : أتراه استغفرَ الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال : كلاً ، هو كثير الانشاد والاستنشاد للشعر فيه ، ولكن احسَبُ ذلك للفخر بصاحبه .

عمر وجميل :

اخبرني احمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمرُ بن شَبَّة قال : قال ابو عبيدة : حدثنا عوَانةُ بن الحَكَم وأبو يعقوب الثقفي : أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة : أيُّ بيت قالته العرب أغزل ؟ فقال بعضهم : قول جميل :

يموت الهوى منّي إذا ما لقيتها ويَحْيا إذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر : قول عمر بن أبي ربيعة :

كأنّني حين أُمسي لا تكلمني ذو بُغية يبتغي ما ليس موجودا

فقال الوليد : حسبك والله بهذا !

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكّار قال : حدثني محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من اهله عن ابي الحارث مولى هشام بن الوليد بن المغيرة قال : وهو الذي يقول فيه عمر بن ابي ربيعة :

يا ابا الحارث قلبي طائرٌ فأتمِرْ أمرَ رشيدٍ مؤتَمَنْ

قال : شهدت عمر بن ابي ربيعة ، وجميل بن عبد الله بن معمَر العذري ، وقد اجتمعا بالأبطح ، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها :

لقد فَرِحَ الواشُون أنْ صَرَمَتْ حبلي
بثَينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقولون مَهْلاً يا جميلُ وإنني لأُقسم مالي عن بثينةَ من مَهْلِ

حتى أتى على آخرها ، ثم قال لعمر : يا أبا الخطاب ، هل قلت في هذا الرَّوِيّ شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فأنشِدْنيه ، فأنشده قوله :

جَرَى ناصحٌ بالوُدّ بيني وبينَها ... فقرَّبني يومَ الحصابِ (١) إلى قَتْلي
فطارت بحَدٍّ من فؤادي وقارنتْ ... قرينتُها حبلَ الصَّفاء إلى حبلي
فلمّا توافقْنا عرفتُ الذي بها ... كمِثْل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ
فقلْنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا ... قريبٌ ألمّا تَسأمي مركبَ البَغْلِ
فقالت فما شِئْتُنَّ ؟ قلن لها انزِلي ... فللأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رحلِ
نجومٌ دراريٌّ تكنَّفْنَ صورةً ... من البدر وافت غيرَ هوجٍ (٢) ولا عُجْلِ
فسلّمتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَرى ... عدوٌّ مقامي أو يَرى كاشحٌ فِعْلي
فقالتْ وأرختْ جانبَ السِّتْرِ إنما ... معي ، فتكلَّمْ غيرَ ذي رِقْبَةٍ ، أهلي
فقلتُ لها ما بي لهم من تَرَقُّبٍ ... ولكنَّ سِرّي ليس يحمِلُه مثلي
فلمّا اقتصرْنا دونهنّ حديثَنا ... وهنّ (٣) طبيباتٌ بحاجة ذي الشكلِ
عَرَفْنَ الذي تَهْوَى فقلنَ ائذَني لنا ... نَطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سهلِ
فقالتْ فلا تَلْبَثْنَ قلنَ تحدَّثي ... أتيناكِ ، وانسَبْنَ انسِيابَ مَها الرملِ
فقمنَ وقد أفهمْنَ ذا اللُّبِّ أنما ... أتَيْنَ (٤) الذي يأتين من ذاك من أجلي

فقال جميل : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ! لا أقول والله مثل هذا سَجِيسَ الليالي (٥) ، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد ، وقام مشمراً .

قال أبو عبد الله الزبير ، قال عمي مصعب : كان عمرُ يعارِض جميلاً ، فإذا قال هذا قصيدة ، قال هذا مثلها ؛ فيقال : إنه في الرائية والعينية أشعر من جميل ، وإن جميلاً أشعر منه في اللامية ، وكلاهما قد قال بيتاً

(١) الحصاب : موضع رمي الجمار .
(٢) هوج : جمع هوجاء وهي المتعجلة في السير كأن بها هوجاً وحمقاً .
(٣) والشكل : دل المرأة وغزلها .
(٤) في ديوانه : « فعلن الذي يفعلن في ذاك من اجلي » .
(٥) سجيس : تستعمل للتأبيد يقال لا آتيك سجيس الليالي اي : لا آتيك ابداً .

نادراً ظريفاً ؛ قال جميل :

خليليَّ فيما عِشتُما هــل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي

وقال عمر :

فقالتْ وأرختْ جانبَ السِّتر إنما معي، فتكلَّمْ غيرَ ذي رِقبة، أهلي

هذا الذي أرادته الشعراء :

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفّان عن إسحاق عن المدائني قال : سمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة ينشد قوله :

جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينها فقرّبني يوم الحِصابِ إلى قتلي

ولما بلغ قوله :

فقمنَ وقد أفهمنَ ذا اللبِّ أنما أتينَ الذي يأتينَ من ذاك من أجلي

صاح الفرزدق : هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته وبكتْ على الديار .

نسبة ما في هذه الاشعار من الغناء

منها في قصيدة جميل التي أنشدها عمرَ ، واستنشده ما له في وزنها :

اللاميتان :

صوت

خليليَّ فيما عشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي

أبيتُ مع الهُلاّكِ[١] ضيفاً لأهلها　　وأهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فضلِ
أفِقْ أيها القلبُ اللَّجُوجُ عن الجهلِ　　ودَعْ عنكَ جُملاً لاسبيلَ الى جُملِ
فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها　　ولكنْ طِلاَبِيها[٢] لِمَافات من عقلي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو في الاول والثاني من الابيات . وذكر الهشامي الابيات كلها ووصف ان الثقيل الثاني الذي يغنى به فيها لمعبد . وذكر يحيى المكي : أن لابن محرز في الثالث وما بعده من الابيات ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر . وفي هذه الابيات التي أولها الثالث هزج بالبنصرعان عن عمرو . وفي الرابع والخامس لابن طنبورة خفيف رمل عن الهشامي . وفيها لاسحاق ثقيل اول عن الهشامي ايضاً . وذكر حماد عن ابيه : ان لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر في هذه الابيات لحناً ولم يجنسه . وذكر حبش ان الثقيل الاول لابن طنبورة .

ومنها في شعر جميل ايضاً :

صوت

لقد فَرِح الواشونَ أن صرَمَتْ حبلي
بُثَينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البخلِ
فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها
ولكن طِلاَبِيها لِما فات من عقلي

الغناء لابن مسجح ثقيل اول بالوسطى عن الهشامي .

ومنها في شعر عمر بن ابي ربيعة المذكور في اول الخبر :

(١) الهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم .
(٢) طلابيها : طلبي اياها .

صوت

فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي، فتحدث غير ذي رقبة، أهلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقب ولكن سري ليس يحمله مثلي
جرى ناصح بالود بيني وبينها فقربني يوم الحصاب إلى قتلي

غنى في هذه الأبيات ابن سريج، ولحنه رمل مطلق في مجرى البنصر عن اسحاق وعمرو. وذكر يونس: ان فيه لحناً لمالك لم يجنسه. وذكر الهشامي: ان لحن مالك خفيف ثقيل. وذكر حبش: ان لمعبد فيه لحناً من الثقيل الاول بالبنصر. ولابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى وليس حبش ممن يعتمد في هذا على روايته.

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال:

عمر أنسب شعراء عصره:

ادركت مشيخة من قريش لا يزنون بعمر بن ابي ربيعة شاعراً من اهل دهره في النسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه والتحلي بمودته والابتيار في شعره. والابتيار: ان يفعل الانسان الشيء فيذكره ويفخر به، والابتهار: ان يقول ما لم يفعل.

وضعت خدي فوطئت عليه:

اخبرني محمد بن خلف قال اخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن ابراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد العزيز بن عمران قال: قال ابن ابي عتيق لعمر وقد انشده قوله:

صوت

بينما ينعتنني أبصرنني دون قيد[1] الميل يعدو بي الأغر
قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى: نعم هذا عمر

(١) قيد الميل بالكسر: قدره.

قالت الصغرى، وقد تيَّمْتُها،[١] قد عرفناه وهل يخفَى القمرْ ؟

– الغناء في هذه الابيات لابن سريج خفيف رمل بالبنصر – فقال له ابن ابي عتيق : – وقد أنشدها – أنت لم تنسب بها وإنما نسبت بنفسك ، كان ينبغي ان تقول : قلت لها فقالت لي ، فوضعت خدي فوطِئَتْ عليه .

أخلاق عمر :

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال :

لم يذهب على أحدٍ من الرواة ان عمر كان عفيفاً يصف ويقف[٢] ويحوم ولا يرد .

اخبرني محمد بن خلف قال حدثنا احمد بن منصور عن ابن الاعرابي وحدثني علي بن صالح قال حدثنا ابو هفان عن اسحاق الموصلي عن رجاله قالوا :

كان ابن أبي ربيعة قد حج في سنة من السنين ، فلما انصرف من الحج ألفى الوليد بن عبد الملك وقد فُرِش له في ظهر الكعبة وجلس ، فجاءه عمر فسلم عليه وجلس اليه ، فقال له : أنشدني شيئاً من شعرك ، فقال : يا امير المؤمنين ، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد ، وهما يَرويان كل ما قلت وهما لك ، قال : ائتني بهما ، ففعل فأنشداه قوله :

« أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ »

فطرب الوليد واهتز لذلك ، فلم يزالا ينشدانه حتى قام ، فأجزل صلته وردَّ الغلامين اليه .

مميزات شعره :

حدثني علي بن صالح بن الهيثم الانباري الكاتب الملقب « كيلجة » قال حدثني ابو

(١) تيمتها : استوليت عليها وشغلت قلبها .
(٢) المراد انه يقف عند الوصف لا يجاوزه .

هفان قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم الموصلي عن مصعب بن عبد الله الزبيري . واخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه مصعب انه قال :

راق عمر بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر ، وحسن الوصف ، ودقة المعنى وصواب المصدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربع ، وإنطاق القلب ، وحسن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، وإثبات الحجة ، وترجيح الشك في موضع اليقين ، وطلاوة الاعتذار ، وفتح الغَزَل ، ونهج العِلل . وعَطْفِ المساءَة على العُذّال ، وأحسنَ التفجُّع ، وبخّل المنازل ، واختصر الخبر ، وصَدَق الصفاء ، إن قدَح أورى ، وإن اعتذر أبرا ، وإن تشكى أشجى ، وأقدم عن خبرة ولم يعتذر بغرَّة ، وأسَر النوم ، وغمَّ الطير ، وأغذَّ السير ، وحيَّر ماء الشباب ، وسهَّل وقوَّل ، وقاس الهوى فأربى ؛ وعصى وأخلى ، وحالف بسمعه وطرفه ، وأبرم نعتَ الرسل وحذَّر ، وأعلن الحب وأسرَّ ، وبطَن بـه وأظهره ، وألحَّ وأسفَّ ، وانكح النوم ، وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه ، وأذل صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، وأعلى قاتله ، واستبكى عاذله ، ونفَّض النوم ، وأغلق رهن مِنىً وأهدر قتلاه ، وكان بعد هذا كله فصيحاً .

فمن سهولة شعره وشدة أسره (١) قوله :

صوت

عذوبة شعره ومتانته :

فلما تَواقَفْنا وسلَّمتُ أشرقَتْ ... وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنَّعا
تَبالَهْنَ بالعِرْفان لما رأينني ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكلَّ وأوضعا (٢)

(١) الأسر في كلام العرب : الخلق ، والمراد من شدة الأسر هنا إحكام النسج ومتانة التركيب.
(٢) أكل : أعيا . وأوضع : أسرع في السير .

الغناء لابن عباد رمل عن الهشامي . وفيه لابن جامع لحن غير مجنس عن إبراهيم .

ومن حسن وصفه قوله :

لها من الرئم عيناه ولفتته ونخوة السابق المختال إذ صهلا

ومن دقة معناه وصواب مصدره قوله :

صوت

معانيه الدقيقة :

عوجا نحيِّ الطللَ المحولا[1] والربعَ منْ أسماء والمنزلا
بسابغِ البوباةِ لم يعدُه[2] تقادمُ العهدِ بأن يؤهلا

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . قال إسحاق بن إبراهيم : يعني أنه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد . وقال الزبير : قال بعض المدنيين : يحبيه بأن يؤهل أي يدعو له بذلك .

ومن قصده للحاجة قوله :

صوت

الثريا وسهيل :

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً[3] عمرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيانِ
هي شاميةٌ إذا ما استقلتْ وسهيلٌ إذا استقلَّ يماني

(١) المحول والمحيل : الذي أتت عليه أحوال كثيرة فغيرته .

(٢) البوباة : الفلاة واسم لصحراء بأرض تهامة .

(٣) هي الثريا ابنة علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ابن عبد شمس بن عبد مناف الأموية . تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ونقلها الى مصر فقال عمر هذا الشعر يضرب المثل في الثريا وسهيل النجمين المعروفين .

ويروى : هي غَوْرِيَّة [١] . الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وابن المكي .

استنطاقه الربع :

ومن استِنْطاقِه الربعَ قوله :

صوت

سائلاَ الرَّبع بالبُلَيِّ وقولا ... هِجتَ شوقاً لي ، الغداةَ ، طويلا
أين حيٌّ حلُّوكَ إذ أنت محفو ... فٌ بهم آهلٌ أراكَ جميلا
قال ساروا فأمعَنوا واستقلُّوا ... وبرغمي ولو وجدتُ سبيلا

ويروى : ... وبكُرْهِي لو استطعتُ سبيلا

سَئِمُونا وما سَئِمْنا جِواراً ... وأحبُّوا دَماثَةً [٢] وسُهولا

فيه رملان : أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر لإسحاق مطلق في مجرى البنصر . وفيه لأبي العبيس بن حمدون ثاني ثقيل . وقد شرحتُ نسبته مع خبره في موضع آخر . قال إسحاق : أنشد جرير هذه الأبيات فقال : ان هذا الذي كنا ندورُ عليه فأخطأناه .

لا أستطيع !

ومن إنطاقه القلب قوله :

قال لي فيها عَتيقٌ مقالاً ... فجرتْ مما يقولُ الدموعُ
قال لي ودِّعْ سُلَيْمى ودَعْها ... فأجاب القلبُ : لا أستطيعُ

---

(١) غورية : نسبة الى غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق (ياقوت) .
(٢) يقال دمثت الأرض دماثة : سهلت ولانت .

الغناء للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي . قال وفيه ليحيى المكي ثقيل اول نسب الى معبد وهو من منحوله .

ومن حسن عزائـــه قوله :

صوت

أألحقُّ إنْ(١) دارُ الرَّباب تباعدتْ ... او انبَتّْ حبلٌ أنّ قلبكَ طائرُ
أفقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الهوى ... واُستمرّتْ بالرِّجال(٢) المرائرُ
زَعِ(٣) النفسَ واُستبقِ الحياةَ فإنّما ... تُباعد أو تُدني الرَّباب المقادرُ
أمِتْ حبَّها واجعلْ قديمَ وصالِها ... وعشرتِها كمثل مَن لا تُعاشِرُ
وهَبْها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ ... به الدارُ أو مَنْ غيّبته المقابرُ
وكالناس(٤) عُلّقتَ الرَّبابَ فلاتكن ... أحاديثَ من يَبْدُو ومن هو حاضرُ(٥)

الغناء في بعض هذه الأبيات واوله « زع النفس » لابن سريج ثقيل اول بالبنصر عن عمر . وفيه لعمر الوادي رمل بالبنصر عن ابن المكي . وفيه لـ « قدار » لحن من كتاب ابراهيم غير مجنس . وهذه الابيات يرويها بعض اهل الحجاز لكثيّر ويرويها الكوفيون للكميت بن معروف الاسدي ، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن ابن عبيدة لكثيّر في اخباره .

أغزل الشعر :

ومن حسن غزله في مخاطبة النساء — قال مُصعَبٌ الزُّبَيريّ ، وقد أجمع أهل بلدنا ممن له علم بالشعر أن هذه الابيات أغزلُ ما سمعوا — قوله :

(١) في الديوان : « أحقاً لئن دار » .
(٢) المراد أن الرجال قد افاقوا واستحكمت عزائمهم وهو يريد ان يسلو سلوهم .
(٣) اي ازجرها وكفها عن هواها .
(٤) في الديوان : « فان كنت علقت » .
(٥) اي من يقيم في البدو والحضر .

صوت

تقولُ غداةَ التقينا الرَّبابُ أياذا أفلْتَ أفولَ السِّماكِ
وكفَّتْ سوابقَ من عبرةٍ كما أرفض نظمُ ضعيفُ السِّلاكِ
فقلتُ لها من يُطِعْ في الصَّديق أعداءَه يجتنبه كذاكِ
أغرَّكِ أنّي عصيتُ المَلا مَ فيكِ وأنَّ هوانا هواكِ
وان لا أرى لذَّةً في الحياة تقرُّ بها العينُ حتى أراكِ
فكان من الذنب لي عندكم مكارمتي وأتباعي رضاكِ
فليتَ الذي لامَ في حبِّكم وفي ان تَزاري بقرنٍ[1] وقاكِ
همومَ الحياة وأسقامَها وإن كان حتفٌ جهيزٌ[2] فداكِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر ابراهيم ان فيه لحناً لحكم . وقيل : ان فيه لحناً آخر لابن جامع .

ومن عفة مقاله قوله :

شعره العفيف :

صوت

طالَ ليلي واعتادني اليومَ سقمُ وأصابتْ مقاتلَ القلبِ نعمُ
حرَّةُ الوجه والشمائل والجو هر تكليمُها لمن نال غنمُ
وحديث بمثله تنزلُ العُصْمُ[3] رخيمٍ يشوبُ ذاك حلمُ

(١) المراد به قرن المنازل ، وكثيراً ما يذكره في شعره .
(٢) جهيز : سريع .
(٣) العصم : جمع اعصم وهو من الظباء والوعول ما في ذراعيه بياض ، وهي تعتصم غالباً بقنن الجبال .

هكذا وَصْفُ ما بدا لِيَ منها ليس لي بالذي تَغيَّبَ عِلْمُ
إن تَجُودي أو تَبْخَلي فبحمد لستِ يا نُعمُ فيهما مَنْ يُذَمُّ

الغناء لابن سريج رمل عن الهشامي .

ومن قلة انتقاله قوله :

اكرمُ الأحياء :

صوت

أيها القائلُ غيرَ الصوابِ أمسِكِ النُّصحَ وأقلِلْ عِتابي
واجتَنِبْني واعلَمَنْ أن ستُعصَى ولَخيرٌ لك طولُ اجتنابي
إن تقلْ نُصحاً فعن ظهرِ غِشٍّ دائم الغِمْرِ (١) بعيدِ الذَّهابِ
ليس بي عِيٌّ بما قلتَ إنّي عالمٌ أفقهُ رَجْعَ الجواب
إنما قُرّةُ عيني هواها فدَعِ اللومَ وكِلْني لِمآبي
لا تَلُمْني في الرَّبابِ وأمست عدلَتْ (٢) للنفس بَرْدَ الشَّرابِ
هي ، والله الذي هو ربّي صادقاً أحلِفُ غيرَ الكِذّاب
أكرمُ الأحياء طُرّاً علينا عند قُرْبٍ منهمُ واجتناب (٣)
خاطبتْني ساعةً وهي تبكي ثم عزّتْ (٤) خُلّتي في الخطابِ
وكفَى (٥) بي مِدْرَهاً لخُصومٍ لسِواها عند حدِّ تَبابي (٦)

(١) الغِمر : الحقد والغل . والغَمر : الماء الكثير ، وكلا المعنيين يحتمله البيت.
(٢) عدلت : ساوت .
(٣) في الديوان : « واغتراب » .
(٤) أي غلبتني صديقتي في الخطاب.
(٥) الديوان : « وكفاني » .
(٦) يريد : حسبي غالباً لكل خصم سواها الى حد هلاكي .

الغناء لكردم ثقيل اول بالسبابة في مجرى الوسطى عن اسحاق في الاول والخامس ثم الثاني والثالث . وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالبنصر عن يحيى المكي .

ومن إثباته الحجة قوله :

خليليّ بعض اللوم :

خليليّ بعضَ اللوم لا تَرْحَلا(١) به رفيقَكما حتى تَقُولا على عِلْمِ
خليليّ مَنْ يَكْلَفْ بآخر كالذي كَلِفتُ به يَدْمُلْ(٢) فؤاداً على سُقْمِ
خليليّ ما كانت تُصابُ مَقاتِلي ولا غِرّتي حتى وَقَعْتُ(٣) على نُعْمِ
خليليّ حتى لُفَّ(٤) حَبْلِي بخادِعٍ مُوَفّىً إذا يُرْمَى، صَيودٍ إذا يَرْمي
خليليّ لو يُرْقَى خليلٌ من الهوى رُقِيتُ بما يُدْني النَّوارَ(٥) من العُصْمِ
خليليّ إن باعدتُ لانَتْ، وإن أَلِنْ تُباعِدْ فلم أَنْبُلْ بحَرْبٍ ولا سَلْمِ(٦)

ومن ترجيحه الشكّ في موضع اليقين قوله :

أشمس ؟

صوت

نظرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنىً ولي نظرٌ لولا التحرُّجُ عارمُ(٧)
فقلتُ : أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ بدت لك خلفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالم
بعيدةُ(٨) مَهْوَى القُرْطِ إمّا لنوفلٍ أبوها وإما عبدُ شمسٍ وهاشم
ومَدَّ عليها السَّجْفَ يومَ لقيتُها على عَجَلٍ تُبّاعُها والخَوادمُ

(١) يقال : رحل فلان فلانا بما يكره ، والمراد انه يثقله باسماعه إياه .
(٢) يدمل : يطوي .
(٣) في الديوان « دُلِلت » .
(٤) يكني بهذا عن الوقوع في شركها .
(٥) النوار : النافرة من الظباء . والعصم : الظباء التي في أذرعها بياض .
(٦) لم أنبل : لم أصب ، او لم أحسن الرمي . وفي ديوانه : « فما ترجى لحرب ولا سلم » .
(٧) عارم : حاد . وفي الديوان : « عازم » .
(٨) كناية عن طول العنق .

فلم استطعها غيرَ أنْ قد بدا لنا عَشيّةَ راحتْ وجهُها والمعاصمُ
مَعاصمُ لم تَضرِبْ على البَهْمِ (١) بالضُّحى
عَصاها ، ووجــهٌ لم تَلُحْهُ السَّمائمُ
نُضارٌ (٢) تَرى فيه أساريعَ (٣) مائه
صَبيحٌ تُغاديه الأكُــفُّ النَّواعمُ
إذا ما دَعتْ أترابَهــا فاكْتنَفْنَها
تَمايلْنَ أو مــالت بهنَّ المآكِمُ (٤)
طَلبْنَ الصِّبا حـتى إذا ما أصبْنَه
نَزَعن وهنَّ المُسْلِمات الظَّـوالمُ

الغناء لمعبد ثقيل اول بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق وابن المكي . وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق ايضاً . وفيها للغريض ثقيل بالوسطى عن الهشامي .

هوانا هواه :

ومن طُلاوة اعتذاره قوله :

صوت

عاودَ القلبَ بعضُ ما قد شَجاه مِن حبيبٍ أمسى هَوانا هواهُ
يا لَقومي فكيف أصبرُ عمّن لا تَرى النفسُ طِيبَ عيشٍ سواهُ
أرسلَتْ إذ رأت بِعاديَ ألاّ يَقبلَنْ بي مُحرِّشاً (٥) إن أتاه
دونَ أن يسمعَ المقالةَ منّــا وليُطِعني فإنَّ عندي رضاه

(١) البهم : جمع بهمة ، وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر .
(٢) في الديوان « نضير » .
(٣) اساريع الماء : طرائقه . والمراد انه يترقرق فيه ماء الشباب .
(٤) المآكم : جمع مأكمة وهي العجيزة .
(٥) المحرش : المغري ، من التحريش وهو الاغراء والافساد .

لا تُطِعْ بي فَدَتْكَ نفسي عدوّا لحديثٍ على هواه افْتَراه
لا تُطِعْ بي مَنْ لو رآني وإيا كَ أسيرَيْ ضرورةٍ ما عَناه
ما ضِرَارِي نفسي بهجري(١) مَنْ ليس مُسيئاً ولا بعيداً ثَرَاه(٢)
واجتنابي بيتَ الحبيب وما الخُلْـدُ بأشْهَى إليّ من أن أرَاه

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ؛ وقال عمرو : فيه خفيف ثقيل بالوسطى للهذلي ، وفيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وابتداؤه نشيد اوله : « ما ضراري نفسي » وقال الهشامي : وفيه لعلية بنت المهدي وسعيد بن جابر لحنان من الثقيل الثاني .

الهوى دليله :

ومن نهجه الغزلَ قوله :

وآيةُ ذلكَ أن تسمعي إذا جئتكم ناشدا يَنْشُدُ
فرُحْنا سِراعاً وراح الهوى دليلا إليها بنا يَقصِدُ
فلما دنونا لجَرْس النُّبا ح والصوت ، والحيُّ لم يرقدوا
بعثنا لها باغياً ناشدا وفي الحيّ بُغْيَةُ من يَنْشُدُ

وقد نسبت هذه الابيات الى من غنّى فيها مع :

* تَشُطُّ غدا دار جيراننا *

جلمد :

ومن فتحه الغزلَ قوله :

إذا أنت لم تعشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوى
فكن حجراً من يابس الصَّخر جَلْمَدا(٣)

---

(١) في الديوان : « بهجرة » .
(٢) الثرى : الخير . وفي الديوان : « نواه » والنوى : الدار .
(٣) ورد هذا البيت مرتين في ديوانه ، فقد ورد في صفحة ٢٣٠ هذا البيت وحده موافقاً لما في الصلب، وورد في صفحة ٦٧ في قصيدته التي مطلعها «هجرت الحبيب اليوم من غير ما اجترم» هكذا
إذا أنت لم تعشق ولم تتبع الهوى فكن حجراً بالحجر من صخرة أصم

ومن عطفه المساءة على العذّال قوله :

عتيق الشيطان :

صوت

لا تَلُمْني عَتيقُ، حَسْبي الذي بي إن بي ، يا عتيقُ ، ما قد كفاني
لا تَلُمني وأنت زيّنْتَها لي أنت مثلُ الشيطان للانسان

الغناء لأبي العبس بن حمدون ثقيل أول مطلق من مجموع اغانيه . وفيه رمل طنبوري محدث . وفيه هزج لأبي عيسى بن المتوكل .

كذب المتحرش :

ومن حسن تفجعه قوله :

صوت

هجرتَ الحبيبَ اليومَ من غير ما اجترَمْ
وقطّعْتَ من ذي وُدّكَ الحبلَ فانصرمْ
أطعتَ الوُشاةَ الكاشحين ومَن يُطِعْ
مقالةَ واشٍ يَقرَعِ السِّنَّ مِنْ نَدَمْ
أتاني رسولٌ(١) كنت أحسَبُ أنه شفيقٌ علينا ناصحٌ كالذي زعَمْ(٢)

(١) كذا في ديوانه . وفي الاصول : « عدوّ » .

(٢) ترتيب هذه الأبيات في النسخة المخطوطة التيمورية من ديوانه هكذا :

أتاني رسول كنت احسب انه شفيق علينا ناصح كالذي زعم
فلما تنازعنا الحديث وبينت سريرته ابدى الذي كان قد كتم
تخبرني ان المحرش كاذب ومن يطع الواشين او زعم من زعم
يعرّم بظلم حبله من خابله وشيكا ويجذم قوّة الحبل ما جذم
وقلت لها لما خشيت لجاجة من الصرم منها تورث الحزن والألم
فان كنت للعتبى عتبت لحاجة فعندي لك العتبى على رغم من رغم
ظلمت ولم تعتب وكان رسولها إليك سريعاً بالرضا لك إذ ظلم
فلآن لمت النفس بعد الذي مضى وبعد الذي آلت وآليت من قسم
اذا انت لم تعشق ولم تتبع الهوى فكن صخرة بالحجر من حجر أصم

وقد آثرنا ان ننقل هذه الابيات كاملة من ديوانه لأن المعنى المراد غير واضح في رواية الاصول كما هو واضح في رواية الديوان .

فلما تبائثنا[١] الحديثَ وصرّحتْ سرائرُه عن بعض ما كان قد كتمْ
تبيّن لي أنَّ المحرِّش[٢] كاذب
فعندي لكِ العُتْبى على رَغْمِ مَن رغِمْ
فمِلآنَ[٣] لُمْتُ النفس بعد الذي مضى
وبعد الذي آلتْ وآليتُ مِنْ قسَمْ
ظلمتَ ولم تعتِب وكان رسولها إليكِ سريعاً بالرّضا لكَ إذ ظلَمْ

الغناء لابن سريج رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وقال يونس : فيه لابن سريج لحنان . وذكر الهشامي ان لحنه الآخر ثقيل أول ؛ وأن لعلُّويه فيه رملاً آخر.

ومن تبخيله المنازل قوله :

مناجاة الأطلال :

صوت

ألم تسألِ الأطلالَ والمتربّعا
ببطنِ «حُليّاتٍ»[٤] دوارِسَ بلقَعا
إلى «السَّرْح» من وادي «المغمَّسِ»[٥] بُدّلتْ
معالمُها وَبْلاً وَنَكْباءَ[٦] زعزعا[٧]

---

(١) نثَّ الحديث وبثه : إفشاؤه .

(٢) المحرش : المغري ، يقال : حرش بين القوم ؛ أفسد بينهم .

(٣) اصله فمن الآن . ويرى الخليل انه مبنى على الفتح،ورأى بعضهم انه يجر بالكسرة، وانشد:
كأنهما مِلان لم يتغيرا

(٤) حليات : بضم الحاء المهملة وفتح اللام وتشديد الياء ، وهــو اسم موضع ذكره البكري وياقوت ولم يبيناه ، ولعله موضع قرب مكة بقرينة ذكره مع المغمس الوارد في البيت بعده .

(٥) المغمس بتشديد الميم وفتحها كما في ياقوت، وضبطه البكري في معجمه بكسر الميم وتشديدها: موضع قرب مكة في طريق الطائف . في ديوانــه : « إلى الشري من وادي المغمس الخ » ، والشري كما قال ياقوت : موضع يذكره ابن ابي ربيعة كثيراً في شعره .

(٦) النكباء : الريح التي تنكب عن مهاب الرياح .

(٧) يقال ريح زعزع اي شديدة ، وكذلك زعزاع وزعزوع .

فيَبْخَلْنَ أو يُخْبِرْنَ بالعلم بعدما
نَكَأْنَ (١) فؤاداً كان قِدْماً مفجّما

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى .

مطلع الرائية :

ومن اختصاره الخبر قوله :

صوت

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبكرُ غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهجّرُ
بحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها فتُبلِغَ عذراً والمقالةُ تُعذِرُ
أشارت بِمدْراها وقالت لتِربْها (٢) أهذا المُغيريُّ الذي كان يُذكَرُ
لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والانسانُ قد يتغيّرُ

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر ، وله في بيتين آخرين من هذه القصيدة ، وهما :

وليلةَ ذي دَوْرانَ جشّمتِني السُّرى وقد يَجشَمُ الهولَ المحبُّ المغرَّرُ (٣)
فقلتُ أباديهم (٤) فإمّا أفوتُهم وإمّا ينالُ السّيفُ ثأراً فيثأرُ

رمل آخر بالوسطى عن عمرو . قال الزبير حدثني إسحاق الموصلي قال : قلت لاعرابي ما معنى قول ابن ابي ربيعة :

بحاجة نفسٍ لم تَقُل في جوابها فتُبلِغَ عُذراً والمقالةُ تُعذِرُ

فقال : قام كما جلس .

(١) يقال نكأ الجرح : قشره قبل ان يلتئم .
(٢) في ديوانه : « قفي فانظري اسماء هل تعرفينه » .
(٣) غرر بنفسه : عرضها للهلكة ، وحملها على غير ثقة .
(٤) اباديهم : أجاهرهم وأظهر لهم .

فداء الرباب :

ومن صدقه الصفاء قوله :

كلُّ وصلٍ أمسى لديكَ لأُنثى غيرِها وصلُها إليهـا أداءُ
كلُّ أُنثى وإن دنتْ لوصالٍ أو نأتْ فهْيَ للرَّباب الفِداءُ

أحبُّ لحبك ؟

وقوله :

صوت

أُحبُّ لحبّكِ مَن لم يكنْ صفيًّا لنفسي ولا صاحِبا
وأبذُلُ مالي لمرْضاتِكم وأُعتِبُ من جاءكم عاتبا
وأرغبُ في وُدِّ من لم أكن إلى ودّه قبلَكم راغبا
ولو سلكَ الناسُ في جانبٍ من الارضِ واعتزلتْ جانبا
يمَّمتُ طِيَّتَها[1] إنّني أرى قُربَها العجبَ العاجبا

الغناء لابن القفاص رمل عن الهشامي ويحيى المكي ، وفيه للربعي لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس .

ومما قدح فيه فأورى قوله :

وهي أحلى من عتب :

صوت

طالَ ليلي وتعنّاني[2] الطّرَبْ[3] واعتراني طولُ همٍّ ووَصَبْ

(١) طيتها . ناحيتها وقصدها .
(٢) تعناني . اوقعني في العناء
(٣) الطرب . خفة تعتري الانسان عند شدة الفرح او الحزن والهم .

أرسلَتْ أسمــاءُ في مَعْتَبَةٍ　　عَتَبَتْنها وهي أحلى مَن عَتَبْ
أنْ أتى منها رسولٌ مَوْهِناً(١)　　وجَد الحيَّ نيامــا فانقلبْ
ضربَ البابَ فلم يشعُرْ به　　أحدٌ يفتــح بابا إذ ضرَبْ
قال : أيقاظٌ ، ولكن حاجةٌ　　عَرَضَتْ نكتُمُ منّا فاحتجبْ
ولَعَمْداً ردَّني ، فاجتهدَتْ　　بيمينٍ حَلْفَةً عنـد الغضبْ
يشهد الرحمــنُ لا يجمعُنــا　　سقفُ بيتٍ رجَباً بعد رجبْ
قلتُ حِلاًّ فاقبَلــي مَعذرتي　　ما كذا يَجْزي محبٌّ مَن أحبْ
إنَّ كفّي لكِ رَهْنٌ بالرضا　　فاقبلي يا هند ، قالت : قد وجَبْ

الغناء لمالك خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لدحمان ثقيل اول بالبنصر عن عمرو . وفيه لمعبد لحن من كتاب يونس لم يجنسه . وذكر الهشامي انه خفيف ثقيل وفيه لابن سريج رمل عن الهشامي

قال من حكينا عنه في صدر اخبار عمر روايته التي رواها علي بن صالح عن ابي هفان عن اسحاق عن رجاله ، والحرمي عن الزبير عن عمه :

كان عمر بن ابي ربيعة يهوى أمرأة يقال لها « أسماء » ، فكان الرسول يختلف (٢) بينهما زماناً وهو لا يقدر عليها ، ثم وعدته أن تزوره فتأهب لذلك وانتظرها ، فأبطأت عنه حتى غلبته عينه فنام ، وكانت عنده جارية له تخدمه ، فلم تلبث ان جاءت ومعها جارية لها ، فوقفت حَجرة (٣) وأمرت الجارية ان تضرب الباب ، فضربته فلم يستيقظ ، فقالت لها : تطلّعي فانظري ما الخبر ؟ فقالت لها : هو مضطجعٌ والى جنبه امرأة ، فحلفت لا تزوره حولا ؛ فقال في ذلك :

* طــال لَيلي وتعنّاني الطربْ *

قال أبو هَفّانَ في حديثه : وبعث اليها امرأة كانت تختلف بينه

(١) الموهن : نحو من نصف الليل .
(٢) يختلف ، يتردد .
(٣) حجرة : ناحية .

وبين معارفه ، وكانت جَزْلَةً (١) من النساء ، فصدقتها عن قصته وحلفت لها إنه لم يكن عنده إلا جاريته فرضيت . وإياها يعني عمر بقوله:

فأتتها طَبَّةٌ (٢) عالمةٌ تخلِطُ الجِدَّ مراراً باللعبْ
تُغلِظُ القولَ إذا لانتْ لها وتُراخي عندَ سَوْراتِ الغضبْ
لم تَزَلْ تَصرِفُها عن رأيِها وتأتّاها (٣) برفقٍ وأدبْ

قال اسحاق في خبره : وحدثني ابن كناسة قال اخبرني حماد الراوية قال : استنشدني الوليد بن يزيد ، فأنشدته نحواً من الف قصيدة ، فما استعادني إلا قصيدة عمر ابن ابي ربيعة

« طال ليلي وتعنّاني الطرب »

فلما أنشدته قوله :

فأتتها طبّة عالمة تخلط الجِدَّ مراراً باللعِبْ

الى قوله :

إنَّ كفّي لكِ رهنٌ بالرضا فاقبلي يا هندُ قالت : قد وجبْ

فقال الوليد : ويحك يا حمّاد ! اطلب لي مثل هذه أرسلها الى سلمى ، يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وكان طلّقها ليتزوج اختها ثم تتبّعتها نفسه .

قال اسحاق وحدثني جماعة ، منهم الحرمي والزبيري وغيرهما : ان عمر أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة ، فقال له ابن أبي عتيق : الناس يطلبون خليفة مذ قُتل عثمان في صِفَةِ قوّادتِك هذه ، يدبّر امورهم فما يجدونه !

---

(١) الجزلة ، العاقلة الأصيلة الراي .
(٢) طبة : حاذقة رفيقة .
(٣) تأتاها بحذف إحدى تاءيه : تتمهل عليها ، يقال : تأتيتك حتى لا اناة بي .

رجع الى خبر عمر الطويل

ليالي الحبيب :

قالوا : ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ ، قوله :

فالتقينا ، فرحّبَتْ حين سلّمـــتُ ، وكفّتْ دمعاً من العين مارا[(١)]
ثم قالت عند العتاب : رأينـــا منك عنّا تجلّداً وازورارا[(٢)]
قلت : كلاّ لاه[(٣)] ابن عمّك بل خِفْنـــا أموراً كنّا بهـــا أغمارا[(٤)]
فجعلنا الصدودَ لمّا خشينـــا قالةَ النـــاسِ للهوى أستارا
ليس كالعهدِ إذ عهدتِ[(٥)] ولكنْ أوقدَ النـــاسُ بالنميمة نارا
فلِذاك الاعراضُ عنكِ وما آ ثَرَ قلبي عليكِ أخرى اختيارا
مـــا أبالي إذا النوى قرّبتْكم فدنوتُم مَن حلّ أو مَن سارا
فالليـــالي إذا نأيتِ طِوالٌ وأراها ، إذا قرُبتِ ، قِصارا

عمر يتشكى :

ومن تَشكّيه الذي أشجى فيه ، قوله :

صوت

لعمرُكِ ما جاورتُ غُمْدانَ[(٦)] طائعاً
وقصرَ شَعوبٍ أن اكونَ به صَبّـــا

---

(١) مار : جرى وسال .

(٢) الازورار : الإعراض .

(٣) لاه : بمعنى لله .

(٤) الغمر بضم الغين وفتحها مع سكون الميم ، وبفتحتين ، وبفتح فكسر : الغر الجاهل الذي لم يجرب الامور .

(٥) أي ليس الأمر كما تعهدين من قبل .

(٦) غمدان كعثمان : قصر باليمن بناه « يشرُخ بن يحصب » (وقال السيد مرتضى : وفي بعض النسخ بالمهملات وفي بعضها بزيادة اللام على التحتية) بأربعة وجوه : احمر وأبيض وأصفر وأخضر وبنى داخله قصراً بسبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعاً ، قاموس في مادة « غمد » . وقصر شعوب: قصر عال مرتفع باليمن ايضاً .

ولكنَّ حُمّى أضرعتني [١] ثلاثةً مُجرَّمةً [٢] ثم استمرّت بنا غِبّا [٣]
وحتى لو انّ الخُلْدَ يَعرِضُ إن مشت إلى الباب رِجلي، مانقلتُ لها إربا [٤]
فإنَّكِ لو أبصرتِ يومَ سُوَيقَةٍ [٥]
مُناخي وجَنبي العِيسَ دامِيةً، حُدْبا [٦]
ومَصرَعَ إخوانٍ كأنَّ أنينَهم أنينُ مَكاكِيِّ [٧] فارقتْ بلداً خِصْبا
إذاً لاقشعرَّ الجلدُ [٨] منكِ صبابةً ولاستفرغت عيناكِ من عبرةٍ سَكْبا

غنى في الأول والثاني من هذه الأبيات معبد ولحنه خفيف ثقيل اول بالوسطى عن عمرو . وفيهما لمالك ثقيل اول عن الهشامي ، ونسبه يونس الى مالك ولم يجنسه .

عمر الخبير :

ومن إقدامه عن خُبرة ولم يعتذر بغِرّة ، قوله :

صَرمتُ وواصلتُ حتى عرفتُ أينَ المصادرُ والمورِدُ
وجرَّبتُ من ذاك حتى عرفتُ ما أتوقَّى وما أحمِدُ

عمر يرقب النجوم :

ومن أسْرِه النومَ قوله :

نامَ صَحبي وبات نومي أسيرا أرقُبُ النجمَ مَوْهِنا أن يغورا

(١) أضرعتني : أضعفتني وأذلتني .
(٢) مجرمة كمعظمة : تامة ، يريد ثلاثة احوال كاملة .
(٣) الغب من الحمّى : ما تأخذ يوماً وتدع يوماً .
(٤) اي ما حركت لها عضوا .
(٥) سويقة : موضع .
(٦) حدبا : جمع حدباء ، وأصل الحدب : ما ارتفع من الارض ، ومنه قيل : حدب الانسان حدبا من باب تعب إذا خرج ظهره وارتفع عن الاستواء فهو احدب والأنثى حدباء ، يريد انه أعياها السير فهي دامية متقوسة الظهور هزالا .
(٧) مخفف مكاكي مشددا ، والمكاكي جمع مكاء وهو طير يشبه القبرة إلا ان في جناحيه بلقا ، وهو حسن الصوت في تغريده .
(٨) في الديوان : الرأس .

غمه الطير :

ومن غَمْه الطير قوله :

فَرُحْنا وقلنا للغلام اقضِ حاجةً لنا ، ثم أدرِكْنا ولا تتغبّرِ
سِراعاً نَغُمُّ[1] الطيرَ إن سَنَحَتْ لنا وإن تَلْقَنا الرُّكبانُ لا نتخبّرِ[2]

تتغبر من قولهم : غبر فلان ، اي لبث .

سيرا :

ومن إغذاذه[3] السير قوله :

قلتُ سِيرا ولا تُقيما ببُصْرى[4] وحَفيرٍ[5] فما أُحِبُّ حَفيرا
وإذا ما مررتُما بمَعانٍ[6] فأقِلا بـه الثَّواءَ وسيرا
إنما قصرُنا[7] إذا حَسَّر[8] السيرُ بعيراً أن نَستجدَّ بَعيرا

عدد القطر ... :

ومن تحييره ماء الشباب قوله :

صوت

أبرَزوها مثل المَهاة تهادى بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ

---

(١) لعله يريد : نحزنها بالسبق ، او نبهرها وتغلبها ، من قولهم غم القمر النجوم : بهرها وكاد يستر ضوءها . وفي هامش النسخة التيمورية المخطوطة من ديوانه : « ويروى نعيف الطير » وعيافة الطير : زجرها وهي التفاؤل او التطير بأسمائها واصواتها وممرها . وهي رواية جيدة يستقيم بها معنى البيت وقد كنا نريد إثباتها في الأصل لولا ان ابا الفرج اعتمد الرواية الاولى وعنون الشعر بها .

(٢) التخبر : السؤال عن الخبر .

(٣) أغذ السير وأغذ فيه ؛ أسرع .

(٤) بصرى ؛ بلد بالشأم .

(٥) حفير ؛ نهر بالأردن ببلاد الشأم .

(٦) معان – بالفتح والمحدثون يقولونه بالضم – ؛ مدينة في طرف بادية الشأم تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء . وفي ديوانه ؛ « فاذا ما مررتما بحفير » .

(٧) قصرنا اي قصارانا وغايتنا .

(٨) حسر السير بعيرا ؛ اجهده واعياه .

ثم قالوا تحبُّهـــا ؟ قلتُ بَهراً عددَ القَطْـرِ والحصَى والتراب
وهي مكنونةٌ تحيَّر منهـــا في أديم الخدينِ ماءُ الشبابِ

الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشامي وقيل بل هو هذا :

لست أول أنثى :

ومن تقويله وتسهيله قوله :

قالتْ على رِقْبَةٍ يوماً لجارتها ما تأمُرينَ فإن القلب قد تُبِـلا (١)
وهل لي اليومَ مِن أختٍ مُوَاخِيةٍ منكنَّ أشكو إليها بعضَ ما فعلا
فراجعَتْها حَصانٌ (٢) غيرُ فاحشةٍ برَجْعِ قولٍ ولُبٍّ لم يكن خَطِلا
لا تذكُري حبَّه حتى أراجِعَه إني سأكفيكهِ إن لم أمت عَجِلا
فاقْنَني (٣) حياءَكِ في سِتْرٍ وفي كَرَمٍ
فلســـتِ أوّلَ أنثى عَلِقتْ رجُـــلا

مقياسُ الهوى :

وأما ما قاس فيه الهوى فقوله :

وقرّبْنَ أسبابَ الهوى لمتيّمٍ يَقيسُ ذراعا كلما قِسْنَ اصبعا

عمر المغامر :

ومن عصيانه وإخلائه قوله :

وأنضُ المطيَّ يتبعْنَ بالرَّكـــبِ ، سِراعاً ، نواعِمَ الأظعانِ (٤)

(١) المتبول : من اسقمه الهوى وغلبه الحب على امره . وفي ديوانه : « شغلا » .
(٢) حصان : عفيفة . والخطل : الفاسد المضطرب .
(٣) اقني حياءك : الزميه .
(٤) في ديوانه :
وأنض المطي بالركب يطلبـــن سراعا بواكر الاظعان

فنَصيدُ الغَريرَ(١) من بقرِ الوحـــش ونلهـو بـلذّةِ الفِتيانِ
في زمانٍ لو كنتِ فيه ضَجيعي غيرَ مَلكٍ عرفتِ لي عِصيَاني
وتقلّبتِ في الفراش ولا تَدْ رينَ إلا الظنونَ أينَ مكاني

لو طاوعاه :

ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله :

سَمْعي وطرفي حَليفاهـــا على جسدي
فكيف أصبرُ عن سمعي وعن بصري ؟
لو طاوعـاني على ألاّ أكلّمها إذاً لقضّيتُ من أوطارِها وطري

وحشيّة انسية :

ومن إبرامه (٢) نعت الرسُل قوله :

فبعثتُ كاتمةَ الحديـــثِ رفيقة بجوابِها
وحشيّةً ، إنسيّةً خرّاجةً ، من بابها
فرَقَتْ فسهّلت المعا رضُ من سبيل نِقابها

نوّلي عمرك :

ومن تحذيره قوله :

صوت

لقـــد ارسلت جـاريتي وقلت لها : خُذي حَذَرَكْ
وقولي في مُلاطفَـــةٍ لزينبَ : نوّلي عُمَرَكْ
فإنْ داويتِ ذا سَقمٍ فأخزَى اللهُ من كَفَرَكْ

(١) الغرير : الغافل .
(٢) ابرام النعت : احكامه .

فهزّتْ رأسَهـا عجباً وقالت : مَنْ بذا أمرك ؟
أهــذا سِحرُكَ النّسوا نَ ، قد خبّرني خبرَكَ
وقُلْنَ إذا قضى وَطَراً وأدركَ حاجةً : هَجرَكَ

غنى ابن سريج في هذه الابيات ، ولحنه خفيف ثقيل . ولابن المكي فيها هزج بالوسطى . وفيها رمل ، ذكر ذكاء وجه الرزة عن احمد بن ابي العلاء عن مخارق انه لابن جامع . وذكر قري انه له وان ذكاء ابطل في هذه الحكاية .

قال الزبير : حدثني عمي قال حدثني ابي قال : قال شيخ من قريش : لا تُرَوُّوا نساءكم شعر عمر بن ابي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً ، وأنشـد :

لقـد أرسلتُ جاريـتي وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ

... الأبيات

ومن إعلانـه الحب وإسراره قوله :

شكوتُ إليها الحبَّ أعلنُ بعضَه وأخفيتُ منـه الفؤاد غَليلاَ

القتل والجنون ..

ومما أبطن فيه وأظهر قوله :

حُبُّكم يا آلَ لَيلَى قاتِلي ظهرَ الحبُّ بجسمي وبَطَنْ
ليس حبٌّ فوقَ ما أحببتُكمْ غيرَ أنْ أقتلَ نفسي أو أُجَنْ

ليت حظّي :

ومما ألح فيه وأسف قوله :

ليت حَظّي كَطرْفة العين منها وكثيرٌ منهـا القليلُ المُهنّـا
او حديثٌ عـلى خَلاءٍ يُسلّي ما يُجِنُّ الفؤادُ منهـا ومنّـا
كَبُرَتْ رَبَّ نعمةً منكَ يوماً أنْ اراها قبل المماتِ ومنّـا

إنكاحه النوم :

ومن إنكاحه النومَ قوله :

صوت

حتّى إذا ما الليلُ جَنّ ظلامُه
ونظرتُ غفلةَ كاشحٍ أن يَعقِلا (١)
واستنكحَ النومُ الذين نخافُهم
وسقَى الكرى بوّابَهم فاستثقلا (٢)
خرجتْ تأطّرُ في الثياب كأنها
أيمٌ يسيبُ على كثيبٍ أهيَلا (٣)

الغناء لمعبد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن اسحاق وفيه الحان لغيره وقد نسبت في غير هذا الموضع مع قوله :

* ودع لبابة (٤) قبل ان تترحلا *

غارُ الحديث :

ومن جنيه الحديث قوله :

وجَوارٍ مُساعفاتٍ على اللهو، مُسرّاتٍ باطنِ الأضغانِ (٥)
صُيّدٍ للرجال يَرْشُقْنَ بالطرْ ف، حِسانٍ كخُذّلِ (٦) الغزلانِ

(١) في ديوانه :

*ورقبت غفلة كاشح ان يمحلا*من المحل وهو المكر والكيد .

(٢) يقال : اثقله النوم فهو مستثقل بصيغة المفعول ، وفي ديوانه : « فتخبلا » .

(٣) اصله تتأطر فحذفت احدى تاءيه ومعناه تتثنى . والأيم ، الافعى . ويسيب ، يمشي . والكثيب الأهيل ، الرمل المنهال . وفي ديوانه المخطوط : * ربح تسيب عن كثيب اهيلا* وفي ديوانه المطبوع ، « تسنت » وليس له معنى مناسب .

(٤) هي لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن ابي سفيان .

(٥) في ديوانه : فجوار مستقتلات الى اللهو حسان كناضر الأغصان

(٦) الخذل : جمع خاذل وهي الظبية تتخلف عن صواحباتها او اولادها .

قد دَعاني وقد دَعاهنّ لَهْـو شُجُونٌ مهمــةٌ[١] الأشجانِ
فاجتنَيْنا من الحديث ثِماراً ما جَنَى مثلها ، لعمرك، جاني

عشر ليالٍ :

ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله :

في خلاء مــن الأنيسِ وأمْن فبثثْنا غليلنا واشتفَيْنا
وضربْنا الحديثَ ظهراً لبطن وأتينا من أمرنا مـا اشتهيْنا
فمكثنا بــذاك عشرَ ليــال فقضينا ديوننــا واقتضيْنــا

شكوى الحب :

ومن إذلاله صعبت الحديث قوله :

فلما أفضْنا في الهوى نستبينُـه وعاد لنا صعبُ الحديث ذَلُولا
شكوتُ إليها الحبّ أظْهِرُ بعضَه وأخفيتُ منه في الفؤاد غليلا

قناعة :

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله :

فعِدِي نائلاً وإن لم تُنِيلي إنه ينفع المحبَّ الرجاءُ

قال الزبير : هذا أحسن من قول كثيِّر :

ولست براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليلِ

رسالة :

ومن إعلانه قاتلَه قوله :

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهبي فاشْـكِي إليها ما علمتِ وسلّمي
قُولي يقولُ تحرّجي[٢] في عاشق كَلِفٍ بكم حتى المماتِ متيّمِ
ويقول إنكِ قد علمتِ بأنــكمْ أصبحتمُ بابِشْـرٍ أوجهَ[٣] ذي دمِ

---

(١) اي مثيرة الاشجان . وفي ديوانه : « من اعجب الاشجان » .
(٢) اي كفي عن الحرج والاثم .
(٣) اي احق إنسان آخذ منه بدمي .

فكّني رهينته فان لم تفعلي ... فاعلي[1] على قتل ابن عمك واسلمي
فتضاحكت عجباً وقالت حقه ... ألا يعلمنا بما لم نعلم
علمي به والله يغفر ذنبه ... فيما بدا لي ذو هوى متقسم
طرف[2] ينازعه إلى الأدنى الهوى ... ويبت خلة ذي الوصال الأقدم

وغاب قمير :

ومن تنفيضه النوم قوله :

فلما فقدت الصوت منهم واطفئت ... مصابيح شبت بالعشاء وأنور[3]
وغاب قمير، كنت أرجو غيوبه ... وروح رعيان، ونوم سمر[4]
ونفضت عني النوم، أقبلت، مشية الحباب، وركني، خشية القوم، أزور[5]

ومن إغلاقه رهن منى وإهداره قتلاه قوله :

فكم من قتيل ما يباء[6] بهدم ... ومن غلق[7] رهناً إذا لفه[8] منى
ومن مالىء عينيه من شيء غيره ... إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى[9]

وكان بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مقولاً[10].

---

(١) يقال : علا يعلو كسما يسمو وعلي يعلى كرضي يرضى :
(٢) الطرف . من لا يثبت على امرأة ولا صاحب .
(٣) جمع نار .
(٤) روح . من الرواح وهو وقت العشي . والرعيان . جمع راع . ونوم الرجل تنويماً . مبالغة في نام .
(٥) الحباب . الحية . وازور . مائل من زور يزور إذا مال . وفي ديوانه .
* وشخصي خشية الحي ازور *
(٦) يقال . اباه القاتل بالقتيل . قتله به ، والمراد هنا . فكم من قتيل يطل دمه ولا يؤخذ له بثأر
(٧) يقال . غلق الرهن في يد المرتهن يغلق غلقا . لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط . يريد : وكم من قلوب اسيرة لا يقدر اصحابها على افتكاكها .
(٨) في الديوان . « ضمه » ؛
(٩) الدمى ؛ جمع دمية وهي الصورة المنقشة من العاج ونحوه .
(١٠) المقول : الحسن القول المفصح المبين .

اخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي واخبرنا به علي ابن صالح عن ابي هفان عن اسحاق عن رجاله :

أن عمر بن ابي ربيعة نظر الى رجل يكلم امرأة في الطَّوَاف فعاب ذلك عليه وأنكره ، فقال له : انها ابنة عمي ، قال : ذاك أشنع لأمرك فقال : اني خطبتها الى عمي ، فأبى عليّ إلا بصداق اربعمائة دينار وأنا غير مطيق ذلك ، وشكا اليه من حبها وكلَفِه بها امراً عظيما ، وتحمّل[1] به على عمه فسار معه اليه فكلمه ، فقال له : هو مملق وليس عندي ما أُصلِحُ به أمره ، فقال له عمر : وكم الذي تريده منه ؟ قال : أربعمائة دينار ، فقال له : هي عليّ فزوِّجْه ، ففعل ذلك .

وقد كان عمر حين أسَنَّ حلَفَ أن لا يقول بيت شعر إلا أعتق رقبةً ، فانصرف عمر الى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جارية له تكلمه فلا يردّ عليها جوابا ، فقالت له : إن لك لأمرا وأراك تريد أن تقول شعراً ، فقال :

صوت

تقولُ وليدتي لما رأتني ... طَرِبْتُ وكنتُ قد أقصرتُ حيناً
أراكَ اليومَ قد أحدثتَ شوقاً ... وهاج لك الهوى داءً دفينا
وكنتَ زعمتَ أنك ذو عَزاء ... إذا ما شئتَ فارقتَ القرينا
بربّكَ هل أتاك لها رسولٌ ... فشاقك أم لقيتَ لها خَدِينا[2]
فقلتُ شكا اليّ أخٌ محبٌ ... كبعضِ زماننا إذ تعلمينا
فقَصَّ عليّ ما يَلقى بهند ... فذكَّر بعض ما كنّا نسينا[3]

---

(١) يقال ، تحمل بفلان على فلان : اذا استشفع به لديه .
(٢) الخدين : الصديق الذي يخادنك فيكون معك في كل امر ظاهر وباطن ، ومنه خدن الجارية : محدثها .
(٣) في ديوانه :

* فوافق بعض ما قد تعرفينا *

وذو الشَّوق القديم وإن تَعزَّى (١) مَشُوقٌ حين يلقي العاشقينا
وكم من خُلَّةٍ (٢) أعرضت عنها لغير قلًى وكنتُ بها ضنينا
أردتُ بِعادَها فصدَدْتُ عنها (٣) ولو جُنَّ الفؤادُ بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد .

الغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن عمرو والهشامي ، وفيه ثقيل اول يقال : انه للغريض . وذكر عبد الله بن موسى ان فيه لدحمان خفيف رمل .

مولع بالحسن :

أخبرني الحرمي قال حدثنا احمد بن عبيد أبو عَصِيدة قال :

ذكر ابن الكلبي ان عمر بن أبي ربيعة كان يساير عروة بن الزبير ويحادثه فقال له : وأين زين المواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عروة ، وكان يسمّى بذلك لجماله ، فقال له عروة : هو أمامك ، فركض يطلبه . فقال له عروة : يا أبا الخطاب ، أو لسنا أكفاء كراماً لمحادثتك ومسايرتك ؟ فقال : بلى بأبي أنت وأمي ! ولكني مُغْرًى بهذا الجمال أتبعه حيث كان . ثم التفت اليه وقال :

إني امرؤٌ مولعٌ بالحسن أتبعُه لا حظَّ لي فيه إلا لذّةُ النظرِ

ثم مضى حتى لحقه ، فسار معه وجعل عروة يضحك من كلامه تعجباً منه .

نظرة والتفاتة :

اخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله قال :

---

(١) في ديوانه : « وذو القلب المصاب ولو تعزى » .
(٢) الخة : الخليلة .
(٣) في ديوانه :

« اردت فراقها وصبرت عنها »

رأى عمر بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتمامه ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا مالكُ بن أسماءَ بنِ خارجةَ ، فجاءه فسلم عليه وقال له : يابن أخي ، ما زلت أتشوّقك منذ بلغني قولك :

إنّ لي عندَ كلّ نفحةِ بستا ... نٍ من الوردِ أو من الياسمينا[1]
نظرةً والتفاتةً أتمنى ... أن تكوني حللتِ فيما يلينا

ويروى : ... أترجّى أن تكوني حللت ...

تعرضه لامرأة أبي الأسود

اخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا العباس ابن هشام عن ابيه قال اخبرني مولى لزياد قال :

حج أبو الأسود الدؤلي ومعه امرأته – وكانت جميلة – فبيناهي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فأتاه أبو الأسود فعاتبه ، فقال له عمر : ما فعلت شيئاً ، فلما عادت الى المسجد عاد فكلمها ، فأخبرت أبا الأسود فأتاه في المسجد وهو مع قوم جالس فقال له :

وإني ليَثنيني عن الجهل والخنا ... وعن شَتْم أقوامٍ خلائقُ أربعُ
حياءٌ وإسلامٌ وبُقيا[2] وأنني ... كريمٌ ومثلي قد يضرُّ وينفعُ
فشتّان ما بيني وبينك إنني ... على كل حال أستقيمُ وتَظلَعُ[3]

فقال له عمر : لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم ، ثم عاود فكلمها ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فجاء اليه فقال له :

---

(١) وقيل : الياسمين بكسر السين وبعضهم بفتحها .
(٢) يقال : ابقيت عليه بقيا : اشفقت عليه ورحمته .
(٣) يقال : ظلع يظلع ظلعا : عرج وغمز في مشيه .

أنت الفتى وابنُ الفتى وأخو الفتى وسَيِّدُنا لولا خَلائِقُ أربعُ
نُكولٌ عن الجُلّى وقربٌ من الخنا وبُخلٌ عن الجدْوى وأنك تُبّعُ(١)

ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مشتملاً على سيف ، فلما رآهما عمر أعرض عنها ، فتمثل أبو الأسود :

تَعْدُو الذِّئابُ على من لا كِلابَ له وتتّقي صَوْلَةَ المستأسِدِ الحامي

أغزل الناس :

اخبرني ابن المرزبان قال حدثنا احمد بن الهيثم الفراسي قال حدثنا العمري قال اخبرنا الهيثم بن عدي قال :

قدِم الفرزدق المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صُرَيْمٌ ، وللآخر ابن أسماء ، وُصِفَا له فقصدهما وكان عندهما قِيَانٌ فسلم عليهما وقال لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما : انا فرعون ، وقال الآخر : أنا هامان ، قال : فأين منزُلكما في النار حتى أقصدكما ! فقالا نحن جيران الفرزدق الشاعر ! فضحك ونزل ، فسلم عليهما وسلما عليه وتعاشروا مدة ثم سألهما ان يجمعا بينه وبين عمرَ بنِ أبي ربيعةَ ، ففعلا واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى ان أنشد عمرُ قصيدتَه التي يقول فيها :

لما(٢) التقَيْنَا واطمأنَّتْ بنا النَّوى
وُغيِّبَ عنّا من نخافُ ونُشفِقُ

حتى انتهى إلى قوله :

فقُمْنَ لكي يُخْلِينَنَا(٣) فترقرقتْ مدامعُ عينيها وظلّتْ تَدَفّقُ

(١) يقال : هو تبع نساء وتبعهن اذا جد في طلبهن .
(٢) وتروى : « فلما » بالفاء .
(٣) يخلينا : يجعلننا في خلوة منهن .

وقالت أما ترحمنني ! لا تدعننني لدى غزل جم الصبابة مخرق (١)
فقلن امكثي عنا فلست مطاعة وخلك منا فاعلمي بك أرفق

فصاح الفرزدق : انت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس ! لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا ان يرقوا مثل هذه الرقية ! وودعه وانصرف .

وما النسك أسلاني :

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن المغيرة بن عبد الرحمن عن ابيه :

أنه حج مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة فأتى عمر ابن ابي ربيعة وقد أسن وشاخ فسلم عليه وساءله ثم قال له : أي شيء أحدثت بعدي يا أبا الخطاب ؟ فأنشده :

يقولون: إني لست أصدقك الهوى وإنّي لا أرعاك حين أغيب
فما بال طرفي عف عما تساقطت له أعين من معشر وقلوب
عشية لا يستنكف القوم أن يروا
سفاه امرىء ممن (٢) يقال لبيب
ولا فتنة من ناسك أومضت (٣) له بعين الصبا كسلى القيام لعوب
تروح يرجو أن تحط ذنوبه فآب وقد زيدت عليه ذنوب
وما النسك أسلاني ولكن للهوى على العين مني والفؤاد رقيب

موعد في العقيق :

اخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن اسماعيل عن القحذمي قال :

(١) مخرق : يحمق .
(٢) وتروى « مما » .
(٣) اومضت له : سارقته النظر .

واعد عمرَ بن أبي ربيعه نِسوةٌ من قريش إلى العَقيق ليتحدث معه، فخرج إليهن ومعه الغريضُ فتحدثوا ملياً ومُطِروا، فقام عمر والغريضُ وجاريتان للنسوة فأظلُّوا عليهن بمِطرَفِه وبُرْدَين له حتى استترن من المطر إلى ان سكن، ثم انصرفن، فقال له الغريض: قل في هذا شعراً حتى أغني فيه، فقال عمر:

صوت

ألم تسألِ المنزلَ المقفِرا … بياناً فيكتمَ أو يخبِرا
ذكرتَ به بعض ما قد شجاكَ (١) … وحقٌّ الذي اشجْو ان يذكرا
مَبيتَ الحبيبينِ قد ظاهَرا (٢) … كِساءً وبردين ان يُمطَرا
وممشى الثلاثِ به موهِناً … خرجن الى زائر زُوَّرا
الى مجلسٍ من وراء القِبا … بِ سهلِ الرُّبى طيّبٍ أعفرا (٣)
غفلنَ عن الليل حتى بدت … تباشيرُ من واضح أسفرا (٤)
فقُمنَ يُعفِّينَ آثارنا … بأكسية الخزّ أن تُقفَرا (٥)
مهاتانِ شيَّعتا جؤذُراً (٦) … أسيلاً مُقلَّدُه (٧) أحوَرا (٨)
وقُمْنَ وقُلنَ لو ان النها … رَ مُدَّ له الليلُ فاستأخرا
قضينا به بعض أشجاننا (٩) … وكان الحديثُ به أجدَرا

(١) في الديوان: «ذكرت به بعض ما قد مضى»
(٢) يقال: ظاهر بين الثوبين إذا لبس احدهما على الآخر.
(٣) اعفر: ذي رمل احمر.
(٤) في ديوانه: «اشقرا».
(٥) يقال: قفر الاثر قفرا: اقتفاه وتبعه.
(٦) كذا في الديوان، وفي الاصول: «ربربا»، والجؤذر بضم اوله وضم الذال وفتحها، ولد البقرة، والربرب، القطيع من بقر الوحش وقيل من الظباء، ولا واحد له من لفظه.
(٧) المقلد، موضع القلادة ويراد به الجيد.
(٨) ورد هذا البيت في ديوانه بعد قوله «وممشى الثلاث» البيت.
(٩) في ديوانه، «لقينا به بعض ما نشتهي»

ذكر ابن المكي ان الغناء في الخمسة الابيات الاولى لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر . وذكر الهشامي ان هذا اللحن للغريض وان لحن ابن سريج رمل بالوسطى . قال ، ولدحمان فيه ايضاً ثاني ثقيل آخر بالوسطى . وفيهـا لابن الهربذ خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى . وقال حبش : فيها لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى .

عمر وابن أبي عتيق

اخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني ابو العباس المدني قال اخبرنا ابن عائشة قال :

حضر ابن أبي عتيق عمرَ بن أبي ربيعة وهو ينشد قوله :

ومَنْ كان محزوناً بإهراق عَبرةٍ وهى غربُها[1] فليأتنا نَبكِهِ غَدا
نُعِنْهُ عـلى الاثكال إن كان ثاكِلاً
وإن كان محروباً[2] وإن كان مُقصدا[3]

قال : فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالد الخِرّيت وقال له : قم بنا الى عمر ، فمضينا[4] إليه فقال ابن أبي عتيق : قد جئناك لموعدك قال : وأي موعد بيننا ؟ قال : قولك « فليأتنـــا نبكه غداً » . قد جئناك ، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك ، او ننصرف على انك غير صادق ، ثم مضى وتركه . قال ابن عائشة : خالد الخِرّيت هو خالد بن عبد الله القسري .

نعم واستغفرُ الله :

اخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمداني قال :

---

(١) وهى غربها : جف دمعها .

(٢) كذا في الديوان ، والمحروب ، من سلب ماله . وتروى ، « محزوناً » .

(٣) المقصد ، من طعن او رمي بسهم فلم يخطىء مقاتله .

(٤) لعله « فمضيا »

لقيتُ عمرَ بن ابي ربيعة فقلت له : يا أبا الخطاب ، أكلٌّ ما قلته في شِعرك فعلته ؟ قال : نعمْ وأستغفرُ الله .

عمر في الكوفة :

اخبرني علي بن صالح عن ابي هفان عن اسحاق عن عبد الله بن مصعب قال :

قدم عمر بن ابي ربيعة الكوفة فنزل على عبد الله بن عبد الله بن هلال الذي كان يقال له صاحب ابليس ، وكان له قينتان حاذقتان ، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما ، فقال في ذلك :

يا أهلَ بابلَ ما نَفِسْتُ عليكُمُ (١) من عَيْشِكم إلا ثلاثَ خِلالِ
ماءَ الفُراتِ وطيبَ ليلٍ باردٍ وغناءَ مُسْمِعَتَيْنِ (٢) لابنِ هلالِ

مالي وللبرق والشوك :

اخبرني علي بن صالح عن ابي هفان عن اسحاق عن رجاله :

أن عمر بن ابي ربيعة والحارث بن خالد وأبا رَبيعةَ المُصْطَلِقيّ ورجلاً من بني مخزوم وابن أخت الحارث بن خالد خرجوا يُشَيِّعون بعض خلفاء بني أمية ، فلما انصرفوا نزلوا « بسرف » فلاح لهم بَرْقٌ ، فقال الحارث : كلنا شاعر ، فهلموا نصف البرق . فقال أبو ربيعة :

أرِقْتُ لبرقٍ آخرَ الليلِ لامعٍ جرى من سَناهُ ذو الرُّبَى فيَنابِعُ (٣)

فقال الحارث :

أرِقْتُ له ليلَ التِّمامِ (٤) ودونَه مَهامِهُ مَوْماةٍ وأرضٌ بَلاقِعُ (٥)

فقال المخزومي :

---

(١) نفس عليه كذا : غبطه من اجله .

(٢) مثنى مسمعة وهي المغنية .

(٣) وتروى . « وينابع » اسم مكان او جبل او واد في بلاد هذيل .

(٤) ليل التام ، اطول ليالي الشتاء .

(٥) المهامه ، جمع مهمه وهو المفازة البعيدة . والموماة ، الفلاة الواسعة الماء . والبلاقع ، جمع بلقع وهي الارض القفراء .

يُضيءُ عِضاهَ(١) الشَّوْكِ حتى كأنَّه مصابيحُ أو فجرٌ من الصُّبْحِ ساطِعُ

فقال عمر :

أيا ربِّ لا آلُو المودَّةَ جاهِداً لأسماءَ فاصْنَعْ بي الذي أنتَ صانعُ

ثم قال : مالي وللبرق والشوك !

عمر في العقيق :

اخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال :

كان عمرُ بن ابي ربيعة وخالدٌ القَسْرِيّ معه — وهو خالد الخِرِّيتُ — ذاتَ يوم يمشيانِ ، فاذا هما بهند واسماء اللتين كان يُشَبِّبُ بهما عمر بن ابي ربيعة تتماشيان ، فقصداهما وجلسا معهما ملياً ، فأخذتهم السماء ومُطِروا ، ثم ذكر مثل خبر تقدّم ، ورويته آنفاً عن هاشم بن محمد الخُزاعيّ ، وذكر الابيات الماضية ولم يذكر فيها خبر الغريض . وحكي انه قال في ذلك :

صوت

أفي(٢) رَسْمِ دارٍ دمعُكَ المترقرِقُ(٣)

سَفاهاً ! وما استنطاقُ ما ليس يَنطِقُ !

بحيثُ التقَى «جمعٌ»(٤) وأقصى «مُحسِّرٍ»(٥)

مَعالِمُه كادت على العَهْدِ تَخْلَقُ(٦)

ذكرتُ به ما قد مضى من زماننا وذكرُكَ رَسْمَ الدارِ ممّا يُشوِّقُ

---

(١) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك ، وهو كثير الانواع .

(٢) في ديوانه : « أمن » .

(٣) ترقرق الدمع : سال .

(٤ و ٥) جمع هي المزدلفة . ومحسر : موضع بين منى والمزدلفة .

(٦) خلق . بمعنى بلي .

مقاماً لنا عند(١) العِشاء ومجلسا به لم يُكدّرْه علينا مُعوّقُ(٢)
وممشى فتاةٍ بالكساء تكنُّنا به تحت عينٍ برقُها يتألقُ(٣)
يَبُلُّ أعالي الثوبِ قطرٌ وتحته شُعاعٌ بدا يُعشي العيونَ ويُشرِقُ
فأحسنُ شيءٍ بَدْءُ أوّلِ ليلنا وآخرُه حُزنٌ إذا نتفرّقُ

ذكر يحيى بن المكي ان الغناء في ستة ابيات متوالية من هذا الشعر لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى . وذكر الهشامي انه من منحول يحيى .

اخبرنا الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال اخبرني مصعب قال :

انظري ما تأمرين

لقي عمرُ بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البَكريّة وهي تسير على بغلة لها ، وقد كان نسب بها فقال : جعلني الله فداكِ ! عرّجي هاهنا أُسمعكِ بعض ما قلته فيكِ ، قالت : أوَقد فعلت ؟ قال : نعم ، خوفت ، وقالت : هاتِ ، فأنشدها :

صوت

ألا يا ليلُ إن شفاء نفسي نوالُكِ إن بخلتِ فنوّلينا
وقد حضر الرّحيلُ وحان منّا فراقُكِ فانظري ما تأمرينا(٤)

فقالت : آمرك بتقوى الله وإيثار طاعته وترك ما أنت عليه . ثم صاحت ببغلتها ومضت .

---

(١) في ديوانه : « ذات العشاء » .
(٢) معوّق : عائق ومانع .
(٣) العين : السحاب .
(٤) في ديوانه المطبوع بليبزج ذكر هذا البيت تابعاً لبيت آخر هكذا :

أحن إذا رأيت جمال سعدى وأبكي إن رأيت لها قرينا
وقد أفد الرحيل فقل لسعدى لعمرك خبري ما تأمرينا

وذكر فيه البيت الذي قبله وحده .

وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي . وذكر الهشامي انه من منحوله الى ابن سريج . وفيها رمل طنبوري لأحمد بن صدقة .

اخبرني بذلك جحظة عنه وأخبرني بهذا الخبر عبدالله بن محمد الرازي قال : حدثنا احمد بن الحارث الخزار عن ابن الاعرابي : ان ليلى هذه كانت جالسة في المسجد الحرام ، فرأت عمر بن أبي ربيعة فوجهت اليه مولىً لها فجاءها به ، فقالت له : يا ابن أبي ربيعة ، حتى متى لا تزال سادراً [1] في حرم الله تُشبِّبُ بالنساء وتشيد بذكرهنّ ! أما تخاف الله ! قال : دعيني من ذاك واسمعي ما قلت ، قالت : وما قلت ؟ فأنشدها الابيات المذكورة فقالت له القول الذي تقدّم أنها أجابته به . قال : وقال لها : اسمعي ايضاً ما قلت فيكِ ، ثم أنشدها قوله :

أمِنَ الرسمِ وأطلالِ الدِّمَنْ ... عاد لي وجدي وعاودت الحزَنْ
إن حبّي آلَ ليلى قاتــلي ... ظهــر الحبُّ بجسمي وبطَنْ
يا أبا الحارث قلبي طــائرٌ [2] ... فأْتمِرْ أمرَ رشيــدٍ مؤتَمنْ
التمِسْ للقلب وصلاً عندها [3] ... إن خير الوصل ما ليس يُمَنّ [4]
عَلِقَ القلبُ وقد كان صَحا ... من بني بَكْرٍ غزالاً قد شَدَنْ [5]
أحورَ المُقْـلةِ كالبدر ، إذا ... قُلِّد الدُّرَّ فقلبي مُمتَحَنْ [6]
ليس حُبٌّ فوق مــا أحببتُكم ... غير أن أقتل نفسي أو أجَنْ
خُلِقَتْ للقلب منّي فِتْنَــةً ... هكذا يُخلَقُ معروضُ الفِتَنْ

قال : وفيها يقول :

---

(١) السادر الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع .
(٢) في ديوانه : « يا ابا الخطاب قلبي هائم » .
(٣) في ديوانه : « اطلبن لي صاح وصلاً عندها » .
(٤) معناه ما ليس بقطع .
(٥) في ديوانه :

علق القلب غزالاً شادنا ... يا لقوم لغزال قد شدن

وشدن : شب وترعرع .
(٦) ممتحن : واقع في محنة .

إنَّ ليلى وقد بلغتُ المشيبا ... لم تدعْ للنساء عندي نصيبا
هاجرٌ بيتَها لأنفيَ عنها ... قولَ ذي العيب إن أرادَ عيوبا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء

الغناء في الابيات الاولى النونية لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيها لابن عائشة ثقيل اول ، يقال : انه اول ثقيل غناه ، كان يغني الخفيف فعيب بذلك فصنع هذا اللحن . وفيه لعبد الله بن يونس الايلي رمل عن الهشامي .
والغناء في :

* إنَّ ليلى وقد بلغتُ المشيبا *

لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لكردم ثقيل اول بالوسطى عن عمرو ايضاً . وذكر ابراهيم ان فيه لحناً لمعطرد ، ولم يجنسه .

مع نوار :

اخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن منصور الازدي قال حدثني ابي عن الهيثم بن عدي قال :

بينا عمر بن أبي ربيعة منصرف من المزْدَلِفَة يريد مِنى إذ بَصُر بامرأة في رِحالةٍ (١) ففُتِن ، وسمع عجوزاً معها تناديها : يا نَوارُ استري لا يفضحْكِ ابن أبي ربيعة ؛ فاتّبعها عمر وقد شَغَلَتْ قلبه حتى نزلت بمِنىً في مِضْرَبٍ (٢) قد ضُرِب لها ، فنزل إلى جنب المِضْربَ ، ولم يزل يتلطف حتى جلس معها وحادثها ، وإذا أحسنُ الناس وجهاً وأحلاه منطقاً ، فزاد ذلك في إعجابِ عمرَ بها ، ثم أراد معاودتها فتعذر ذلك عليه ، وكان آخرَ عهده ، فقال فيها :

---

(١) الرحالة : مركب للنساء يوضع على البعير .
(٢) الفسطاط العظيم .

صوت

عَلِقَ النَّوارَ فُؤادُهُ جَهْلاَ وَصَبا فلم تترك له عقلا
وتعرّضت لي في المسيرِ فما أمسى الفؤادُ يَرى لها مِثلا (١)
ما نعجةٌ (٢) من وحش ذي بَقَرٍ (٣) تَغذو بسَقْط صَريمَةٍ (٤) طِفْلا
بألذَّ منها إذ تقول لنا وأردتُ كشفَ قِناعها: مَهْلا
دَعْنا فإنك لا مُكارمةً تجزِي ولستَ بواصلٍ حبْلا
وعليكَ مَنْ نَبَلَ الفؤادَ وإن أمسَى لقلبك ذكرُه شُغْلا
فأجبتُها إن المحبَّ مكلَّفٌ (٥) فدَعِي العتابَ وأحدِثِي بَذْلا

الغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق . وفيه ثاني ثقيل بالبنصر ينسب الى ابن عائشة .

أمّ الحكم وعمر :

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو عبد الله السَّدُوسِي عن عيسى ابن إسماعيل العتكي عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال :

حجت امرأة من بني أمية يقال لها أمُّ الحكَم ، فقدِمتْ قبلَ أوان الحج معتمرة فبينا هي تطوف على بغلة لها إذ مرّتْ على عمر بن ابي ربيعة في نَفَرٍ من بني مخزوم وهم جلوسٌ يتحدثون وقد فرَعهم (٦) طولاً

(١) في ديوانه ، « شكلا » .
(٢) في الديوان وياقوت ، « ما ظبية » .
(٣) ذو بقر : موضع .
(٤) سقط الصريمة : منتهاها . والصريمة : الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر .
(٥) مكلف : لهج بالحب .
(٦) فرعهم طولا : علاهم وطالهم .

وجهرهم (١) جمالاً وبهرهم شارةً وعارضةً (٢) وبياناً، فمالت اليهم ونزلت عندهم فتحدثت معهم طويلاً ثم أنصرفت. ولم يزل عمر يتردد اليها إلى ان أنقضت أيام الحج فرحلت الى الشام وفيها يقول عمر:

تأوَّبَ لَيلي بنَصْبٍ (٣) وهَمْ ... وعاودتُ ذِكرَى لأمِّ الحكَمْ
فبتُّ أُراقبُ ليلَ التمَا ... مِ، مَنْ نام من عاشقٍ لم أَنَمْ
فإمّا تَرَيْني على ما عَرَا ... ضعيفَ القيام شديدَ السَّقَمْ
كثيرَ التقلُّبِ فوقَ الفِرَا ... شِ ما إن تُقِلُّ قيامي قَدَمْ
بآنسةٍ طيِّبٍ نشرُها ... هَضيمِ الحشَا (٤) عذبةِ المُبتَسَمْ

في اول الأبيات الثلاثة غناء. وقبلها وهو أول الصوت:

صوت

وفتيانِ صدقٍ صِباحِ الوجو ... هِ لا يَجِدون لشيءٍ أَلَمْ
مِنَ آلِ المغيرة لا يَشْهدو ... نَ عندَ المجازِرِ لحمَ الوَضَمْ (٥)

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقيل الثاني بالبنصر وهو الذي يقال له الماخوري عن عمرو. وفيه ثاني ثقيل ينسب الى ابن سريج والغريض ودحمان. وفيه لابن المكي خفيف رمل.

(١) جهرهم: راعهم جماله وهيئته.
(٢) العارضة: قوة الحجة.
(٣) النصب: البلاء والشر.
(٤) الحشا: الحضن وهو ظاهر البطن، وهضيم الحشا: هيفاء لطيفة الخصر.
(٥) الوضم: ما وقي به اللحم عن الأرض من خشب وحصير. قال ابو منصور: إن من عادة العرب في باديتها إذا نحر بعير لجماعة الحي يقتسمونه ان يقلعوا شجراً كثيراً ويوضع (يوضع) بعضه على بعض، ويعضّى (يقطع) اللحم ويوضع عليه ثم يلقى لحمه عن عراقه (عظامه) ويقطع على الوضم هبراً للقسم وتؤجج نار، فاذا سقط جرها اشتوى من شاء من الحي شواءة بعد اخرى على جمر النار لا يمنع احد من ذلك، فاذا وقعت فيه المقاسم وحاز كل شريك في الجزور مقسمه حوّله عن الوضم الى بيته ولم يعرض له احد. والمراد وصفهم بالترفع عن شهود اللحم يقتسمه الناس.

عمر وسُكينة :

اخبرني علي بن صالح قال حدثنا ابو هفان عن إسحاق عن ابي عبدالله الزبيري قال :

اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعرَه وظَرفَه وحسنَ حديثه فتشوقن اليــه وتمنَّيْنَه ، فقالت سُكَينةُ بنت الحُسَين عليهما السلام : أنا لكنَّ به ، فأرسلت اليه رسولاً وواعدتْه الصَّوريْنِ ، وسمت له الليلة والوقت وواعدت صواحباتِها(١) ، فوافاهن عمر على راحلته فحدَّثهن حتى أضاء الفجر وحان انصرافهن ، فقال لهن : والله إني لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده ولكن لا أخلط بزيارتكن شيئاً ، ثم انصرف الى مكة وقال :

صوت

قالتْ سُكينةُ والدموعُ ذَوارِفٌ   منها على الخدَّيْن والجِلْبابِ(٢)

ليتَ المُغيريَّ الذي لم أجزِه   فيما أطال تصيُّدي وطِــلابي

كانت تردُّ لنا المُنى أيامنــا   إذ لا نُلامُ على هوًى وتَصابِي

خُبِّرتُ ما قالتْ فبتُّ كأنمــا   رُمِيَ الحشا بنوافذ النُّشّابِ(٣)

أسُكَيْنُ ما ماءُ الفراتِ وطيبُه   منّي على ظمإٍ وفَقْدِ شرابِ(٤)

بألذَّ منك وإن نأيتِ وقلَّما   ترعى النساءُ أمانةَ الغُيّــابِ

الغناء للهذلي رمل بالوسطى عن الهشامي . وفيه للغريض خفيف ثقيــل بالوسطى عن حبش . قال وقال فيها :

صوت

أُحِبُّ لحبِّك مــن لم يكن   صَفيًّا لنفسي ولا صاحبــا

---

(١) صواحبات : جمع صواحب ، وصواحب : جمع صاحبة .

(٢) الجلباب : القميص او هو الخمار ، وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

(٣) النشاب : النبل .

(٤) في ديوانه : « وحب شراب » .

وأبــذُلُ نفسي لمَرْضاتكم وأعتِبُ من جاءكم عاتبـا
وأرغَب في وُدّ من لم أكن إلى ودّه قبلكم راغبا
ولو سلك الناسُ في جانبٍ من الأرض واعتزلتُ جانبا
ليَمَّمْتُ طيئتَهــا ، إنـني أرى قربَهـا العجَبَ العاجبا
فما ظبيةٌ (١) من ظبـاء الأرا كِ تقرو (٢) دَميث (٣) الرُّبى عاشبا
بأحسنَ منها غداةَ « الغَميم » (٤) وقد (٥) أبدتِ الخـدّ والحاجبا
غداةَ تقولُ على رِقبَــةٍ لخادمِها (٦) : يا أحْبِسي الراكبا (٧)
فقالت لها : فيمَ هذا الكلامُ وأبدتْ لهـا عابساً قاطبا (٨)
فقالت كريمٌ أتى زائراً يَمُرُّ بـكم هكـذا جانبا
شريفٌ أتى ربعَنـا زائرا فأكرهُ رجعتَــه خائبـا

غنى في الاول والرابع والخامس من هذه الابيات ابن القفاص المكي ، ولحنه رمل من رواية الهشامي .

بغوم وأسماء :

وحدثني وَكيعٌ وأبنُ المَرْزُبان وعمّي قالوا حدثنا عبدالله بن ابي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المُنْذِر الحِزاميّ قال حدّثنا محمدُ بن مَعْنٍ الغِفاري- قال حدّثني سُفيان أبن عُيَيْنة قال :

بينا أنا ومِسْعَرُ بنُ كِدَامٍ مع إسماعيلَ بنِ أميّةَ بفناء الكعبة

(١) وتروى : «نعجة» .
(٢) قراه يقروه : تتبعه .
(٣) دميث الربى : سهلها ولينها .
(٤) الغميم : موضع بين مكة والمدينة .
(٥) في الديوان « إذا » .
(٦) الخادم : واحد الخدم غلاماً كان او جارية .
(٧) هذا البيت وما بعده في ديوانه هكذا :

غداة تقول على رقبة لقيمها : احبس الراكبا
فقال لها فيم هــذا الكلا م في وجهها عابسا قاطبا

(٨) قاطبا : من القطوب ، وهو تزوّي ما بين العينين من العبوس .

وإذا بعجوزٍ قد طلعت علينا عَوْراءَ متكئةً على عصاً يُصفِّق أحدُ لَحْيَيْها على الآخر، فوقفتْ على إسماعيلَ فسلمت عليه، فردّ عليها السلام وسألها، فأحفَى[1] المسألةَ، ثم انصرفت. فقال إسماعيل: لا إله إلا الله! ماذا تفعل الدنيا بأهلها! ثم أقبل علينا فقال: أتعرفان هذه؟ قلنا: لا والله، ومن هي؟ قال: هذه «بَغُومُ»[2] ابن أبي ربيعة التي يقول فيها:

حَبَّذا أنتِ يا «بَغُومُ» وأسما … ءُ وعِيصٌ[3] يَكُنُّنا وخَلاءُ

أنظرا[4] كيف صارت، وما كان بمكة امرأةٌ أجملُ منها! قال: فقال له مِسْعَر: لا وربِّ هذه البَنِيَّة، ما أرى أنه كان عند هذه خيرٌ قطّ، وفي هذه الأبيات يقول عمر:

صوت

صَرَمَتْ حبلَكِ «البغومُ» وصدّتْ … عنكَ في غيرِ رِيبةٍ أسماءُ

والغَوانِي إذا رأينَكَ كهلًا … كان فيهنّ عن هواكَ التواءُ

حَبَّذا أنتِ يا بَغُومُ وأسما … ءُ وعِيصٌ يَكُنُّنا وخَلاءُ

ولقد قلتُ ليلةَ «الجَزْلِ» لمّا … أخضلتْ رَيْطتي عليّ السماءُ[5]

ليتَ شِعْري -وهل يَرُدَّنّ ليتٌ- … هل لهذا عند الرَّباب جزاءُ؟

كلُّ وَصْلٍ أمسى لديّ لأنثى … غيرِها، وَصْلُها إليها أداءُ

كل خَلْقٍ وإن دنا لوِصالٍ … أو نأى، فهو للرَّباب الفِداءُ

فعِدِي نائلًا وإن لم تُنيلي … إنّما يَنفَعُ المحبَّ الرجاءُ

---

(١) معناه ردد المسألة وبالغ فيها.

(٢) وتروى: «هذه بغوم جارية عمر بن ابي ربيعة».

(٣) العيص: الشجر الكثير الملف.

(٤) وتروى: «انظر».

(٥) الجزل: موضع قرب مكة. واخضل: بلّ. والريطة: ملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة

لمعبد في : « ولقد قلت ليلة الجزل ... والذي بعده ، خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن يونس وإسحاق ودنانير . وهو من مشهور غنائه .

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب عن ذهبية مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت :

كنت عند أمةِ الحميد[1] بنت عمر بن أبي ربيعة في « الجنيد » الذي في بيت سكينة بنت خالد بن مصعب أنا وأبوها عمرُ وجاريتان له تغنيان : يقال لاحداهما البغوم ، والأخرى أسماء ، وكانت أمة الحميد بنتُ عمرَ تحت محمد بن مصعب بن الزبير ، قالت : فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في « الجنيد » هذه الأبيات ، فلما انتهى الى قوله :

ولقد قلتُ ليلةَ الجزْلِ لمّا أخضلَتْ رَيْطتي عليّ السماءُ

خرجت البغوم ثم رجعت اليه فقالت : ما رأيت أكذب منك يا عمر ! تزعم أنك بالجزل وأنت في جنيد محمد بن مصعب ، وتزعم ان السماء أخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة[2] ! قال : هكذا يستقيم هذا الشأن .

واخبرني علي بن صالح عن ابي هفان عن إسحاق عن المسيّبي ومحمد بن سلام ان عمر أنشد ابن ابي عتيق قوله :

حبّذا أنتِ يا بغومُ وأسما ءُ وعِيصٌ يكنّنا وخلاءُ

فقال له : ما أبقيت شيئاً يُتمنّى يا أبا الخطاب إلا مِرْجلاً يُسخّن لكم فيه الماء للغسل .

عمر وأم محمد بنت مروان بن الحكم :

اخبرني ابن المرزبان قال : حدثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي قال :

(١) لعلها امة الواحد وهي ابنة عمر بن ابي ربيعه .

(٢) القزعة : قطعة الغيم .

حجت أم محمد بنت مروان بن الحكم ، فلما قضت نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نسوة ، فحدثها ملياً فلما انصرفت أتبعها عمرُ رسولاً عرف موضعها وسأل عنها حتى أثبتها (١) ، فعادت اليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إياها ، فقالت نشدتك (٢) الله ان تشهرني بشعرك ! وبعثت اليه بألف دينار ، فقبلها وابتاع بها حللاً وطيباً فأهداه اليها ، فردته ، فقال لها : والله لئن لم تقبليه لأُنهبنّه (٣) فيكون مشهورا ، فقبلته ، ورحلتْ ؛ فقال فيها :

صوت

أيها الرائح (٤) المجدّ ابتكارا قد قضى من تهامةَ الأوطارا
من يكنْ قلبُه صحيحاً سليما ففؤادي بالخَيْفِ أمسى مُعارا
ليتَ ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلّ يومين حجّةً واعتمارا

الغناء لابن محرز ولحنه من القدر الاوسط من الثقيل الاول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه ايضاً له خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي . وفيه لذكاء وجه الرُزّة المعتمدي ثقيل اول من جيد الغناء وفاخر الصنعة ليس لأحد من طبقته وأهل صنعته مثله .

وأنشِد ابن أبي عتيق قول عمر هذا ، فقال : الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتمّ لك فسقُك .

لست أصفي سواك :

اخبرني ابن المرزبان قال اخبرني احمد بن يحيى القرشي عن ابي الحسن الأزدي عن جماعة من الرواة :

---

(١) أثبتها : تحققها وعرفها .
(٢) يقال : نشدتك الله وبالله ان تفعل كذا اي طلبت اليك ان تفعله برفع نشيدي اي صوتي والمراد هنا سألتك بالله ألا تشهرني في شعرك ، وهو من المواضع التي يقاس فيها حذف لا النافية .
(٣) لأنهبنه : لأبيحنه لمن شاء نهباً مقسماً .
(٤) وتروى « الراكب »

أن عمر كان يهوى حُميدة جارية ابن تفّاحة ، وفيها يقول :

صوت

حمّلَ القلبُ من « حُميدةَ » ثِقلا ... إن في ذاك للفؤاد لشُغلا
إن فعلتُ الذي سألتِ فقولي ... « حَمْدُ » خيراً وأتبعي[1] القول فعلا
وصِليني ، وأشهدُ[2] الله انّي ... لستُ أصفي سواكِ ما عشتُ وصلا

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي والهشامي . وفيها يقول .

صوت

يا قلبُ هل لك عن « حُميدة » زاجرُ ... أم أنت مُدّكِرُ الحياء فصابرُ
فالقلبُ من ذِكرى « حميدة » موجعٌ ... والدمعُ منحدِرٌ وعظمي[3] فاترُ
قد كنت أحسَبُ انني قبل الذي ... فعلتْ ، على ما عند حَمْدَةَ ، قادرُ
حتى بَدا لي من « حُميْدةَ » خُلّتي[4] ... بينٌ وكنت من الفراق أحاذرُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق .

عمر والكبرنجات :

اخبرني الحسن بن علي الخفّاف (٥) قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني ابو مسلم المستملي عن ابن اخي زرقان عن ابيه قال :

أدركت مولى لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً ، فقلت له : حدّثني

(١) في الديوان : « أو اتبعي » .
(٢) في الديوان : « وصليني فأشهد » .
(٣) في الديوان : « ودمعي » .
(٤) خلتي : صديقتي .
(٥) الخفّاف : بائع الخفاف .

عن عمر بحديث غريب ، فقال : نعم . كنت معه ذات يوم ، فاجتاز به نِسْوَةٌ من جواري بني أمية قد حججن ، فتعرض لهن وحادثهن وناشدهن مدة أيام حجّهن ، ثم قالت له احداهن : يا أبا الخطاب ، إنا خارجاتٌ في غدٍ فابعث مولاك هذا الى منزلنا ندفعْ إليه تَذْكِرَةً تكون عندك تذكُرنا بها ، فسر بذلك ووجه بي إليهن في السَّحَرِ فوجدتُهنّ يَرْكَبْنَ ، فقلن لعجوز معهن : يا فلانة ، ادفعي إلى مولى أبي الخطاب التذكرة التي أتحفناه بها ، فأخرجتْ الي صندوقاً لطيفاً مقفلاً مختوماً ، فقلن : ادفعه اليه ، وارتحلن ، فجئتُه به وأنا أظنُّ أنه قد أودعَ طِيباً أو جَوْهراً ، ففتَحه عمر فإذا هو مملوءٌ من المَضَارِبِ ، وهي الكِيرِنْجاتُ[١] ، وإذا على كلٌ واحد منها اسم رجلٍ من مُجّانِ مكةَ ، وفيها اثنان كبيران عظيمان على احدهما الحارث بن خالد وهو يومئذٍ أمير مكة ، وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة . فضحك وقال : تماجن علي ونَفَـذَ[٢] لهنّ ! ثم أصلح مَأْدُبَـةً ودعا كل واحد ممن له اسمٌ في تلك المضارب ، فلما أكلوا واطمأنوا للجلوس قال : هات يا غلام تلك الوديعة ، فجئته بالصندوق ففتحه ودفع الى الحارث الكيرنجَ الذي عليه اسمه ، فلما أخذه وكشف عنه غطاءه فزع وقال : ما هذا أخزاكَ اللهُ ! فقال له : رويداً ، اصبر حتى ترى ، ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمهُ حتى فرّقها فيهم ، ثم أخرج الذي باسمه وقال : هذا لي ، فقالوا له : ويحك ! ما هذا ؟ فحدثهم بالخبر فعجبوا منه ، وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منه .

---

(١) الكيرنجات : جمع الكيرنج ، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين هما « كير » بمعنى عضو التناسل و« رنج » وهو بالفارسية رنك ومعناه الشكل واللون. وذلك مثل « نيرنج » المركب من كلمتين الأولى« نو » بمعنى الجديد ورنج اي اللون والشكل، وذلك مجاز عن المكر والخديعة، فمعناه البدعة الجديدة . والمضارب : جمع مضرب ولعله آلة الضرب وهو السّفاد ، يقال . ضرب الفحل الناقة يضربها ضراباً : نزا عليها .

(٢) نفذ لهن : تم لهن ما اردن .

لا تلوميني :

قال وحدثني هذا المولى قال : كنتُ مع عمر وقد أسَنَّ وضَعُفَ ، فخرج يوماً يمشي متوكئاً على يدي حتى مرَّ بعجوزٍ جالسةٍ فقال لي : هذه فلانة وكانت إلفاً لي ، وعدل إليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يُحادِثُها ثم قال : هذه التي أقول فيها :

صوت

أبصرْتُها ليلةً ونسوتَها … يَمْشِينَ بين المقام والحَجَرِ
بيضاً حِساناً نَواعِماً[(١)] قُطُفاً … يَمْشِينَ هَوْناً كمِشْيَةِ البَقَرِ
قالت لِتِرْبٍ لها تلاطِفُها … لَنُفْسِدَنَّ الطوافَ في عُمَرِ
قُومِي تَصَدَّيْ له لِيَعرفَنا … ثم أغمِزيه يا أختِ في خَفَرِ
قالتْ لها قد غمزْتُه فأبى … ثم أسبَطَرَّتْ[(٢)] تشتدُّ في أثَرِي
بل يا خليليَّ عادني ذِكَري … بل أعترتْني الهُمُومُ بالسَّهَرِ[(٣)]

الغناء لابن سريج في السادس والأول والثاني خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيها لسنان الكاتب رمل بالوسطى عنه وعن يونس . وفيها الأبجر خفيف رمل بالوسطى عنه . وفي :

* قالت لترب لها تلاطفها *

لعبد الله بن العباس خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي ، وفيه الدلال خفيف ثقيل عنه ايضاً . ولأبي سعيد مولى فائد في الأول والثاني ثقيل اول عن الهشامي ايضاً ، ومن الناس من ينسب لحنه الى سنان الكاتب وينسب لحن سنان اليه .

---

(١) في ديوانه : « خرائدا » : جمع خريدة وهي البكر التي لم تمس قط ، او الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة .

(٢) اسبطرت : اسرعت . وتشتد : تعدو .

(٣) لم يذكر هذا البيت بتلك القصيدة في ديوانه . وانما ذكر بعد البيت الذي قبله بيتان آخران هما .

من يسق بعد المنام ريقتها … يسق بمسك وبارد خصر
حوراء ممكورة محببة … عبراء للشكل عند مختمر

قال وجلس معها يحادثها فأطلعت رأسها إلى البيت وقالت : يا بناتي ، هذا أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة عندي ، فان كنتن تشتهين أن تريْنَه فتعالَيْنَ ، فجئن إلى مِضرَب قد حُجِزنَ به دون بابها فجعلن يَثقُبْنَه ويضعن أعينهن عليه يبصرن ، فاستسقاها عمر ؛ فقالت له : أيُّ الشراب أحب اليك ؟ قال : الماء ، فأُتي بإناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملأ فمه فمجّه عليهن في وجوههن من وراء الحاجز ، فصاح الجواري وتهارَبْنَ وجعلن يضحكن ؛ فقالت له العجوز : ويلك ! لا تَدَعُ مُجونَك وسَفَهك مع هذه السن ! فقال : لا تلوميني ، فما ملكت نفسي لما سمعت من حركاتهن أن فعلتُ ما رأيت .

نام صحبي ولم أنمْ :

اخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني احمد بن منصور بن ابي العلاء الهمداني قال حدثني علي بن طريف الأسدي قال :

سمعت أبي يقول : بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة من أهل العراق فأعجبه جمالها ، فمشى معها حتى عرَف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته وخطبها ؛ فقالت : إن هذا لا يصلح هاهنا ، ولكن إن جئتَني إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوجتك . فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سَهْمٍ وقال له : إنّ لي اليك حاجة أريد أن تساعدني عليها ؛ فقال له : نعم ؛ فأخذ بيده ولم يذكر له ما هي ، ثم أتى منزله فركب نجيباً له وأركبه نجيباً آخر ، وأخذ معه ما يُصلحه وسارا لا يَشُكُّ السهميُّ في أنه يريد سفر يوم أو يومين ، فما زال يحفِد [١] حتى لحق بالرفقة ، ثم سار بسيرهم يحادث المرأة طول طريقه ويسايرها وينزل عندها إذا نزلت حتى ورد العراق ، فأقام أياماً ثم راسلها يَتَنَجَّزُها وعدها ؛ فأعلمته أنها كانت متزوجة ابن عم لها وولدت منه

(١) حفد : خف واسرع .

أولاداً ثم مات وأوصى بهم وعياله اليها ما لم تتزوج ، وأنها تخاف فُرقةَ أولادها وزوال النعمة ؛ وبعثت اليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت ؛ فردها عليها ورحل الى مكة ؛ وقال في ذلك قصيدته التي أولها :

صوت

نام صَحْبي ولم أَنَمْ　　من خَيالٍ بنا أَلَمّْ
طافَ بالركبِ مَوْهِناً　　بين خاخٍ (١) إلى إضَمْ (٢)
ثم نبَّهتُ صاحباً　　طيّبَ الخِيم (٣) والشِّيَمْ
أرْيَحِيّاً مُساعِداً　　غيرَ نِكس (٤) ولا بَرَمْ (٥)
قلتُ يا عمرو شَفّني　　لاعجُ الحُبّ والألمْ
ايتِ هِنداً فقل لها　　ليلةَ الخَيْفِ ذي السَّلَمْ (٦)

الغناء لمالك خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن اسحاق ويونس . وفيه لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رمل من رواية عمرو بن بانة ، وذكر حبش ان لحن عبد الله بن العباس رمل آخر عن الهشامي .

ما زال يهذي حتى قال الشعر :

اخبرني محمد بن خلف قال حدثنا الحسين بن اسماعيل عن ابن عائشة عن ابيه قال ، كان جرير إذا أُنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال : شعرٌ تهاميٌّ إذا أنجد وجد البرد ، حتى أُنشد قوله :

رأتْ رُجلاً أما إذا الشمسُ عارضتْ　　فيَضْحى وأما بالعشيّ فيَخصَرُ

(١) خاخ : موضع بين الحرمين ، ويقال له : روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة .
(٢) إضم : واد بجبل تهامة وهو الوادي الذي فيه المدينة .
(٣) الخيم : الطبيعة والسجية .
(٤) النكس : الضعيف .
(٥) البرم : الذي لا نفع فيه .
(٦) في الديوان : ليلة الخيف بالسلم .

... الأبيات ، فقال : ما زال هذا يهذي حتى قال الشعر .

هل بقي في نفسه منه شيء ؟

اخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي عن عثمان ابن ابراهيم الحاطبي ، واخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني اسحاق بن ابراهيم عن محمد بن ابان قال أخبرني العتبي عن أبي زيد الزبيري عن عثمان بن ابراهيم الحاطبي قال :

أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد ان نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم ، فانتظرت حتى تفرّق القوم ثم دنوت منه ومعي صاحب لي ظريف وكان قد قال لي : تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل ، فننظر هل بقي في نفسه منه شيء ، فقال له صاحبي : يا أبا الخطّاب ، اكرمك الله ، لقد أحسن العذري وأجاد فيما قال ، فنظر عمر اليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال حيث يقول :

لو جُذّ بالسّيف رأسي في مودّتها لمرّ يهوي سريعاً نحوها رأسي [١]

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاه ! لقد أجاد وأحسن ؛ فقلت : ولله درّ جُنادة العُذْريّ ! فقال عمر حيث يقول ماذا ويحك ! فقلت : حيث يقول :

سَرَتْ لعينكَ سَلْمَى بعدَ مَغْفاها فبتَّ مُستنبِهاً [٢] من بعدِ مَسْراها
وقلتُ أهلاً وسهلاً مَن هَداكِ لنا إن كنتِ تِمْثالَها أو كنتِ إيّاها
من حبّها أتمنّى أنْ يلاقيَني مِنْ نَحْوِ بلدتِها ناعٍ فينعاها

(١) بقية هذا الشعر في زهر الآداب الجزء الاول ص ٢٢٩ .
ولو بلي تحت اطباق الثرى جسدي لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي
او يقبض الله روحاً صار ذكركم روحاً أعيش به ما عشت في الناس
لولا نسيم لذكراكم يروّحني لكنت محترقاً من حر انفاسي
وتنسب هذه الابيات الى رسبان وقيل ربسان العذري .

(٢) يقال استنبه من نومه استيقظ .

كما أقولُ : فراقٌ لا لِقـاءَ له وتُضمِرُ النفسُ يأساً ثم تَسلاها
ولو تموتُ لراعتني وقلتُ ألا يا بُؤسَ للموتِ ليتَ الموتَ أبقاها

قال : فضحك عمر ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى ، ولقد هيّجتُما عليّ ساكنا ، وذكّرتماني ما كان عنّي غائباً ، ولأحدّثنّكما حديثاً حلواً :

عمر وهند بنت الحارث المرية :

بينا أنا منذ اعوام جالس إذ اتاني خالدٌ الخِرّيتُ فقال لي : يا أبا الخطاب مرّت بي أربعُ نسوة قُبيلَ العِشاء يرِدْنَ موضعَ كذا وكذا لم أرَ مثلهن في بدو ولا حضر ، فيهن هند بنت الحارث المُرّيّة ، فهل لك ان تأتيهنّ متنكراً فتسمع من حديثهن وتتمتع بالنظر اليهن ولا يعلمن من أنت ؟ فقلت له : ويحك ! وكيف لي ان أخفي نفسي ؟ قال : تلبَسُ لِبْسَةَ أعرابي ثم تجلس على قَعُودٍ ثم أتهن فسلم عليهنّ ، فلا يشعرْنَ إلا بك قد هجمت عليهنّ ، ففعلتُ ما قال وجلست على قَعُودٍ ثم أتيتُهنّ فسلمتُ عليهنّ ثم وقفتُ بقربهن ، فسألنني أن أنشِدَهنّ وأحدّثهن فأنشدتهن لكُثَيّر وجَميل والأحْوَصِ ونُصَيْبٍ وغيرهم ، فقلنَ لي : ويحك يا أعرابيّ ! ما أملحك وأظرفك ! لو نزلتَ فتحدّثتَ معنا يومَنا هذا ! فإذا أمسيت انصرفت في حفظ الله ، قال : فأنختُ بعيري ثم تحدثت معهن وأنشدتهن فسررن بي وجَذِلْنَ بقربي وأعجبهن حديثي قال : ثم انهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض : كأنّا نعرف هذا الاعرابيّ ! ما أشبهه بعمر بن ابي ربيعة ! فقالت إحداهن : هو والله عمر ! فمدّت هند يدها فانتزعت عمامتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي : هِيهِ يا عمر ! أتُراك خدعتنا منذ اليوم ! بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالدٍ فأرسلناه اليك لتأتينا في أسوإ هيئة ونحن كما ترى ؛ قال عمرُ : ثم أخذنا في الحديث ، فقالت هندُ : ويحك يا عمرُ ! اسمع

منّي ، لو رأيتني منذ أيام وأصبحتُ عند أهلي ، فأدخلت رأسي في جيبي، فنظرتُ إلى حِرِي فإذا هو ملءُ الكفّ ومُنْيَةُ المتمني ، فناديتُ يا عُمَراه يا عمراه ! قال عمرُ : فصحت يا لَبَّيْكاه يا لَبَّيْكاه ! ثلاثاً ومدَدتُ في الثالثة صوتي ، فضحكتْ ، وحادثتهن ساعةً ثم ودعتهن وأنصرفتُ ، فذلك قولي :

صوت

ألم تسأل الأطلالَ والمتربَّعا
ببطنِ حُليّاتٍ دوارسَ بَلْقَعا
إلى السَّفْحِ من وادي المغمَّس بُدِّلَتْ
معالمُهُ وَبْلاً ونَكْباءَ زَعْزَعا
لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذ الهوى جميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يتصدّعا
وإذ نحن مثل الماء كان مِزاجُه
كما صفَّقَ[(١)] الساقي الرحيقَ المُشَعْشَعا
وإذ لا نُطيعُ الكاشحين[(٢)] ولا نرى
لواشٍ لدينا يطلب الصَّرمَ موضعا[(٣)]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي ، ومن نسخة عمرو الثانية . وفيه لابن جامع وابن عباد لحنان من كتاب إبراهيم . وفيها يقول — وفيه غناء — :

صوت

فلما تواقفنا وسلَّمتُ أشرقتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا

(١) صفق الشراب : مزجه .
(٢) في ديوانه : « العاذلين » .
(٣) في الديوان : « مطمعاً » .

تبالَهْنَ بالعِرفانِ لمّا عَرفنَني وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوضعا[١]
وقرَّبْنَ أسبابَ الهوى لمتيَّمٍ يقيسُ ذراعاً كلما قِسْنَ إصبعا

الغناء لابن عباد رمل عن الهشامي . وفيه لابن جامع لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس ، وهي قصيدة طويلة ذكرت منها ما فيه صنعة .

ومما قاله في هند هذه وغُني فيه ، قوله :

صوت

ألم تسألِ الأطلالَ والمنزلَ الخَلَقْ[٢]
ببُرْقةِ ذي ضالٍ[٣] فيُخْبِرَ إن نطَقْ ؟
ذكرتُ به هنداً فظِلْتُ كأنني
أخو نَشْوةٍ لاقى الحوانيتَ[٤] فاغتبَقْ[٥]

الغناء لمَطَرّد ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لمعبد ثقيل اول بالوسطى عن الهشامي . وذكر حبش ان فيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى . ومنها :

صوت

أصبحَ القلبُ مَهيضا[٦] وراجَعَ الحبُّ الغَريضا[٧]
وأجدَّ[٨] الشوقَ وَهْناً[٩] أن رأى بَرْقاً[١٠] ومَيضا[١١]

(١) أكلّ : أعيا . واوضع : اسرع في سيره .
(٢) الخلق : القديم .
(٣) الضال : السدر البري ، والسدر : شجر النبق ، و « برقة ذي ضال » : هضبة ذات رمل في ديار عذرة .
(٤) الحوانيت : بيوت الخمارين ، واحدها حانوت .
(٥) الاغتباق : شرب العشية .
(٦) المهيض : من عاوده المرض مرة بعد اخرى .
(٧) الغريض : الغض الفتي .
(٨) اجد : جدد .
(٩) الوهن : نحو من نصف الليل ، كالموهن .
(١٠) في ديوانه ، « وجها » .
(١١) يقال : ومض البرق يمض ومضا ووميضا ، لمع لمعاً خفياً ولم يعترض في نواحي الغيم .

ثم باتَ الرَّكْبُ نُوَّماً ولم أطْعَمْ غُموضا
ذاك من هندٍ قديماً ودَّع القلبَ مَهيضا
وَتَبدَّتْ ثم أبْدتْ واضحَ اللونِ نَحيضا (١)
وعِذابَ (٢) الطعْمِ غُرّاً كأقاحي (٣) الرملِ بيضا

الغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر ، وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنه يمان ، ومن الناس من ينسب لحن ابن محرز الى ابن مسجح . ومنها :

صوت

أرِبْتُ (٤) الى هندٍ وتِربَيْنِ مرةً لها إذ تواقفْنا بِفَرْعٍ (٥) المُقَطَّعِ
لِتَعريجِ يوم أو لتَعريس (٦) ليلةٍ علينا بجمعِ الشَّملِ قبلَ التصدُّعِ
فقلن لها : لولا ارتقابُ صحابةٍ لنا خلفَنا عُجْنا ولم نتورَّعِ
فقالت فتاةٌ كنتُ أحسبُ أنها مُغفَّلةٌ في مِئزرٍ لم تُدَرَّعِ (٧)
لمنْ - وما شاوَرْنها - ليس ما ارى بحُسنٍ جزاءً للحبيبِ المودِّعِ
فقلن لها لا تَشبَّ قَرْنُكِ فافتحي لنا بابَ ما يخفى من الأمرِ نسمعِ

وهي أبيات . الغناء للغريض ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الاول بالخنصر في مجرى البنصر عن اسحاق ، وذكر ابن المكي انه لابن سريج . ومنها :

---

(١) النحيض : يراد به البض الممتلىء .

(٢) يريد بها الأسنان .

(٣) الأقاحي : جمع أقحوان وهو القراس عند العرب والبابونج او البابونك عند الفرس ، وهو نبت طيب الريح حواليه ورق ابيض ووسطه اصفر ، وكثيراً ما تشبه به الأسنان .

(٤) يقال : أرب بكذا ، كلف به ، وأرب الى كذا ، احتاج اليه

(٥) في ديوانه : « بقرن المقطع » .

(٦) التعريس : قيل هو نزول القوم في السفر آخر الليل يستريحون قليلاً ثم يرحلون مع الصبح . وقيل . هو النزول اول الليل . وقيل ، النزول في اي وقت كان من ليل او نهار . والمراد هنا ، لإقامة يوم او لإقامة ليلة .

(٧) لم تدرّع : لم تلبس الدرع ، يقال : درّعت الصبية اذا ألبست الدرع . والدرع : جبة مشقوقة المقدم .

صوت

لما ألمّتْ بأصحابي وقد هَجَموا حسبتُ وسْطَ رحالِ القومِ عطّارا
فقلتُ مَنْ ذا المحيّي وانتبهتُ له ومن مُحدّثُنا هذا الذي زارا ؟
ألا انزلوا نَعِمَتْ دارٌ بقربِكمُ أهلاً وسهلاً بكم مِنْ زائرٍ زارا (١)
فَبُدِّلَ الرَّبعُ ممّن كان يسكُنُهُ عُفرَ (٢) الظباء به يَمْشِينَ أسطارا (٣)

الغناء لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ليونس خفيف ثقيل ، وفيه لأبي فارة هزج بالبنصر . وأول هذه القصيدة التي فيها ذكر هند قوله :

يا صاحبيَّ قِفا نستخبرِ الدارا
أقوتْ وهاجتْ لنا «بالنّعف» (٤) تذكارا
وقد أرى مرّةً سِرْباً بها حَسَناً مثلَ الجآذرِ لم يُمْسَسْنَ أبكارا (٥)
فيهنَّ هندٌ وهندٌ لا شبيهَ لها فيمَنْ أقام من الأحياء أو سارا
تقول ليت أبا الخطّابِ وافقنا (٦) كي نلهوَ اليومَ أو نُنشِدَ أشعارا
فلم يَرُعهنَّ إلا العيسُ طالعةً بالقوم يحمِلْنَ رُكبانا (٧) وأكوارا

---

(١) وردت هذه الابيات الثلاثة في الديوان مع بيت آخر بهذا الترتيب :

قلن انزلوا نعمت دار بقربكم أهلاً وسهلاً بكم من زائر زارا
لما ألمت بأصحابي وقد هجعوا حسبت وسط رحال القوم عطارا
من طيب نشر التي تامنك إذ طرقت ونفحة المسك والكافور إذ ثارا
فقلت من ذا المحيي وانتبهت له أم من محدثنا هذا الذي زارا

وفي الشعر إيطاء على كلتا الروايتين وهو ان تتفق قافيتان على كلمة واحدة معناهما واحد .

(٢) عفر ، جمع اعفر وعفراء ، يقال : ظبي اعفر وظبية عفراء وهي التي يعلو بياضها حمرة .

(٣) الاسطار : جمع سطر وهو الصف من كل شيء .

(٤) النعف : موضع بين الدوداء والمدينة .

(٥) في الديوان : مثل الجآذر أثياباً وابكاراً .

(٦) وافقنا : صادفنا ، يقال : وافقت فلانا في موضع كذا أي صادفته .

(٧) في الديوان : يحملن بالنعف ركابا وأكوارا . والاكوار : جمع كور وهو رحل الناقة بأداته .

وفارسٌ يحمِلُ البازي فقُلنَ لها هاهُمْ أولاءِ وما أكثرنَ إكثارا[١]

لمـــا وقَفْنـــا وعنَّنَّـــا ركائبَنـــا[٢]

بُدِّلْنَ بالعُرفِ بعد الرَّجعِ[٣] إنكارا

ومنهـــا :

صوت

أَلَمْ تَرْبَعْ[٤] على الطَّلَلِ ومَغْنَى الحيِّ كالخِلَلِ[٥]

لهنـــدٍ إنَّ هندا حبُّهـــا قد كانَ مـــن شُغُلي

[فلمَّا[٦] أن عرفْتُ الدا رَ عُجتُ لِرَسْمِها جَمَلي

وقلتُ لصُحْبَتي عُوجُـوا فعـــاجوا هِزَّةَ الابلِ]

وقـــالوا قِفْ ولا تَعْجَلْ وإن كُنَّـــا علـــى عَجَلِ

قليـــلٌ في هـــواكَ اليو مَ مـــا نلقى مـــن العَمَلِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن اسحاق ، وفيه ايضاً رمل عن الهشامي وحبش ومنها :

صوت

هاج ذا القلبَ منزلٌ بالبُلَيَّيْن[٧] مُحْوِلُ

---

(١) قوله : يحمل البازي يشير به الى خروجهم للصيد .

(٢) عنن الفرس : حبسه بعنانه .

(٣) الرجع هنا بمعنى ترديد النظر ، قـال تعالى : (فارجع البصر كرَّتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير) . يريد انهن بعد ان تأملن فيه انكرنني بعد ان عرفنني .

(٤) ألم تربع : ألم تقف عليه محتبساً نفسك عنده .

(٥) الخلل : جمع خلة وهي بطانة يغشى بها جفن السيف تنقش بالذهب وغيره .

(٦) زيادة من الديوان يتوقف عليها المعنى .

(٧) البليين : كأنه تثنية بلي ، والشعراء يثنونه كأنه مضموم الى موضع آخر او لوزن الشعر . وقد قاله بالافراد عمر بن ابي ربيعة في قوله :

سائلا الربع بالبلي وقولا هجت شوقاً لنا الغداة طويلا

وفي ديوانـــه : دارس الآي محـــول

غيرتْ آيَهُ الصَّبا(١) وجَنُوبٌ وشَمْأَلُ
انَّ هنداً قدَ أرسلتْ وأخو الشوقِ مُرْسِلُ(٢)
أرسلَت تستحِثُّني وتُفَدِّي وتَعذُلُ
أيْنَنا باتَ ليلَه بين غُصنَين يُوبَلُ(٣)
تحتَ عينٍ(٤)، يكنُّنا بُرْدُ عَصْبٍ مُهلْهَلُ(٤)

في هذه الابيات خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر . ذكر اسحاق انه لمالك . وذكر عمرو انه لابن محرز . وذكر يونس ان فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك . وقال عمرو في نسخته الثانية ، انه لابن زرزر (٥) الطائفي خفيف ثقيل بالوسطى ، وروت مثل ذلك دنانير عن فليح . وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق . وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيل من مجموعه ورواية الهشامي .

(١) الصبا ، ريح تأتي من المشرق الى المغرب ، وسميت كذلك لأن النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها، والعرب تحب الصبا لرقتها ولأنها تجيء بالسحاب، والمطر فيها والخصب، وهي عندهم اليمانية.

(٢) ننقل من ديوانه هذه القصيده ليتبين مقدار الخلاف في الرواية بينه وبين ما في الاصول :

ولقد كان آهلا فيه ظبي مبتل
طيب النشر واضح أحور العين أكحل
فلئن بان اهله فبما كان يؤهل
قد ارانا بغبطة فيه نلهو ونجذل
بجوار خرائد ذاك والود يبذل
إذ فؤادي بزينب ام يعلى موكل
وهي فينا ولا نبا له تلحى وتعذل
قبل ان يستفزها قول واش يحمل
حين ارسلت تهللا واخو الود مرسل
باعتذار من سخطها عل اسماء تقبل
فأتتني بما هويـ ت من القول تهلل
حين قالت تقول زيـ نب إنا سنفعل
انا من ذاك آيس غير اني اعالل
واخ يستحثني ويفادي ويبذل
كلما قال لي انطلق قلت اربع سأفعل

(٣) يوبل : يمطر وابلا .

(٤) العين : السحاب . وكنه يكنه ، صانه . والعصب ، ضرب من البرود ، ولا يثنى ولا يجمع وإنما يثني ويجمع ما يضاف اليه فيقال بردا عصب وبرود عصب . والمهلهل ، الرقيق النسج .

(٥) وتروى ، « زرزور » .

وفيه لحكم هزج بالخنصر والبنصر عن ابن المكي . وفيه ليحيى رمل عن الهشامي . وفيه ثقيل اول نسبه ابن المكي الى ابن محرز ، وذكر الهشامي انه منحول . وفيه خفيف رمل ذكر الهشامي انه لحن ابن محرز . ومنها :

صوت

يا صاحِ هل تدري وقد جَمَدتْ عيني بما ألقى من الوَجدِ ؟
لما رأيتُ دِيارَهـا دَرَسَتْ وتبَدَّلتْ أعلامُهـا بَعْـدي
وذكرتُ مجلِسَهـا ومجلسَنا ذاتَ العِشاء بمَهْبِط (١) النَّجد
ورسالـةً منهـا تُعاتِبُني فردَدْتُ (٢) مَعتَبَةً على هِندِ

الغناء ليحيى المكي رمل بالوسطى . وفيه لغيره ألحان أخر . ومنها :

صوت

ليتَ هنداً أنجزَتْنا ما تَعِدْ وشفَتْ أنفسنا مما تَجِدْ (٣)
واستبدَّتْ مرّةً واحـدةً إنما العاجزُ من لا يستَبِدْ
ولقد قالت لجاراتٍ لهـا ذاتَ يومٍ وتعرَّتْ تبترِدْ (٤)

ويروى : زعمُوها سألت جاراتها

أكما يَنعَتُني تُبصِرْنَني عَمرَكُنَّ الله أم لا يقتصد ؟
فتهانفنَ (٥) وقد قلنَ لها حَسَنٌ في كل عينٍ من تَود

---

(١) في ديوانه : « بمسقط » .
(٢) في ديوانه : « فزددت » .
(٣) وجد به يجد وجدا : أحبه حباً شديداً ، ووجد عليه يوجد وجدا : حزن .
(٤) تبترد : تغتسل بالماء البارد .
(٥) النهـانف كالإهناف والمهانفة : ضحك فيه فتور كضحك المستهزيء . وفي الديوان : « فتضاحكن » .

حسداً حُمّلنَه من أجلها وقديماً كان في الناس الحسَد

الغناء لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن اسحاق . وفيه لحن لمالك من من كتاب يونس غير مجنس . وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . وذكره اسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ولم ينسبه الى احد . وفيه ثاني ثقيل يقال انه لحن لمالك ، ويقال انه لمتيم . ومنها :

صوت

هاج القَرِيضَ الذِّكَرُ لما غدَوا فانشَمَروا (١)
على بِغالٍ شُحَّجٍ (٢) قد ضمَّهُنَّ السَّفَرُ
فيهنَّ هندٌ ليتَني ما عُمِّرتْ أُعمَّرُ (٣)
حتى إذا ما جاءَها حَتْفٌ أتاني القَدَرُ

لابن سريج فيه لحنان : رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وخفيف رمل عن الهشامي . ومنها :

صوت

يا مَنْ لِقلبٍ دَنِفٍ مُغرَمٍ هامَ (٤) إلى هِندٍ ولم يَظلِمِ
هامَ إلى رِيمٍ هَضيمِ الحَشى عَذْبِ الثَّنايا طيِّبِ المَبْسِمِ
لم أحْسَبِ الشمسَ بليلٍ بَدَتْ قَبْلي لِذي لَحْمٍ ولا ذي دَمِ

(١) في ديوانه : «فابتكروا» . وانشمر : مر جاداً مسرعاً .

(٢) شحج : جمع شاحج ، والشحاج : صوت البغل . وفي ديوانه: « وُسجٍ » ووسج الإبل ووسيجها ووسجانها : إسراعها .

(٣) هذا البيت والذي بعده من قصيدة اخرى مطلعها :

قد هاج قلبي محفر أقوى وربع مقفر

(٤) هام: تتعدى بالباء وقد ضمنت هنا معنى صبا ولهذا تعدت بالى .

قالت ألا إنــكَ ذو مَلّةٍ يَصْرِفُكَ الأدنى عن الأقْدَمِ (١)
قلتُ لهـا بـل أنتِ معتلّةٌ في الوَصْلِ يا هندُ لـكي تَصْرِمي

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لبديح (٢) لحن قديم . وقيل إن فيه رملاً آخر لعمارة مولاة عبد الله بن جعفر . ومنها :

صوت

تَصابى وما بعضُ التصابي بطائلِ وعاودَ من هندٍ جوًى غيرُ زائلِ
عشيّةَ قالت صدّعَتْ غرْبةُ النّوى (٣) فما من تلاقٍ قد ارى دونَ قابلِ (٤)
وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ مجلساً لنا مرّةً منها بقَرْنِ المنازلِ (٥)
بنَخْلةَ بين النّخلتين (٦) يَكُنُّنا من العَيْنِ عند العينِ (٧) بُرْدُ المراجلِ

الغنـاء للغريض ثقيل اول بالبنصر عن عمرو . وفيه للمعاني خفيف ثقيل عن دنانير والهشامي . ومنها :

---

(١) روي هذا البيت والذي بعده في ديوانه هكذا :

قالت وقد جد رحيل بها والعين إن تطرف بها تسجم
ان ينسنا الموت ويؤذن لنا نلقك ان عمرت بالموسم
ان لم تحل انك ذو ملة يصرفك الأدنى عن الأقدم
قلت لها بل انت معتـلة في الوصل يا هند لكي تصرمي

(٢) وتروى : « لابن مربح » و « لشريح » .
(٣) غربة النوى : بعدها . والنوى : المكان الذي تنوي ان تأتيه في سفرك .
(٤) دون قابل : اي دون عام قابل .
(٥) قرن المنازل : جبل مطل على عرفات ، وهو ميقات اهل اليمن .
(٦) النخلتان هما الشامية واليمانية وهما واديان على ليلتين من مكة كما في ياقوت او ليـلة كما في القاموس، وأولهما يصب من الغمير وثانيها يصب من قرن المنازل . وقال الازهري : في بلاد العرب واديان يعرفان بالنخلتين ، احدهما باليمامة ويأخذ الى قرى الطائف ، والآخر يأخذ الى ذات عرق . ونخلة : موضع بين مكة والطائف اه . من شرح القاموس .
(٧) وفي ديوانه المطبوع بليبزج :

من العين خوف العين برد المراجل

والمرجل : ضرب من برود اليمن والجمع مراجل .

صوت

لجَّ قلبي في التصابي وازْدَهى عنّي شبابي
ودعاني لِهَوى هندٍ فؤادٌ غيرُ نابي
قلتُ لمّا فاضتِ العينانِ دمعاً ذا انسكابِ
إن جفتْني اليومَ هندٌ بعدَ وُدٍّ واقتراب
فسبيلُ الناس طُرّاً لفناءٍ وذَهابِ

الغناء لأهل مكة رَمَلٌ بالوسطى .

فاضح الحرائر :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو علي الأسدي — وهو بِشْرُ بن موسى بن صالح — قال حدثني أبي موسى بن صالح عن أبي بكر القرشي قال :

كان عمر بن أبي ربيعة جالساً بمِنىً في فناء مضربه وغلمانه حوله إذ أقبلت امرأة بَرْزَةٌ[1] عليها أثر النعمة ، فسلمت ، فرد عليها عمر السلام ، فقالت له : أنت عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال لها : أنا هو ، فما حاجتك ؟ قالت له : حياك الله وقرّبك[2] ! هل لك في محادثة أحسن الناس وجهاً ، وأتمهم خلقاً ، وأكملهم أدباً ، وأشرفهم حسباً ! قال : ما أحبَّ إليّ ذلك ! قالت : على شرط ، قال : قولي ، قالت : تُمكِّنُني من عينيك فأشدُّهما وأقودك حتى إذا توسطت الموضع الذي أريد حللت الشدَّ ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى انتهي بك إلى مضربك ، قال : شأنكِ ، ففعلت ذلك به ؛ قال عمر : فلما انتهت بي الى المضرب الذي

(١) البرزة من النساء : البارزة الجمال او التي تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون معها .
(٢) المراد بقرب الله من عبده قرب نعمه واحسانه اليه .

أرادت كشفَتْ عن وجهي فإذا أنا بامرأة على كرسي لم أر مثلها قط جمالاً وكمالاً ، فسلمتُ وجلست ، فقالت : أأنت عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : أنا عمر ، قالت : أنت الفاضح للحرائر ؟ قلت : وما ذاكِ ؟ — جعلني الله فداءكِ — قالت : ألست القائل :

صوت

قالت وعَيْشِ أخي ونعمةِ (١) والدي لأُنبّهنّ الحيَّ إن لم تخرُجِ (٢)
فخرجتُ خوفَ يمينِها فتبسّمَتْ فعلمتُ أنّ يمينَها لم تحرَجِ (٣)
فتناولتْ رأسي لتعرِفَ مَسَّهُ بمخضَّبِ الأطرافِ غيرِ مُشنَّجِ (٤)
فلثِمتُ (٥) فاهَا آخذاً بقرونِها شُربَ (٦) النزيفِ (٧) ببردِ ماءِ الحشرَجِ (٨)

الغناء لمعبد ثقيل اول بالبنصر عن يونس وعمرو .

---

(١) في الديوان : « وعيش ابي وحرمة اخوتي »

(٢) نسبت هذه الأبيات الى جميل بن معمر العذري فيا نقله ابن عساكر عن ابي بكر محمد بن القاسم الانباري (راجع ترجمة جميل في « وفيات الأعيان » ج ١ ص ١٦١ — ١٦٤) . وقد عزي البيت الثالث في اللسان وشرح القاموس في مادة شنج لجميل ايضاً . ورويت الابيات الثلاثة الاخرى في مادة حشرج في اللسان لعمر بن ابي ربيعة، وقال ابن بري : انها لجميل وليست لعمر. وقد رويت الابيات في الكامل للمبرد طبع ليبزج ص ١٦٥ قال المبرد: وأنشدني ابو العالية قال ، قيل ان الشعر لعروة بن اذينة . وفي شرح العيني بهامش خزانة البغدادي ج ٢ ص ٢٧٩ — ٢٨٢ في الكلام على البيت فلثمت فاها الخ ، ان قائل هذا الشعر هو عمر بن ابي ربيعة وقيل هو جميل وهو الاصح وكذا قاله الجوهري . وفي « الحماسة البصرية » : قائله عبيد بن اوس الطائي في اخت عدي ابن اوس الطائي .

(٣) لم تحرج ، لم تضق ولم تكن جادة هي في حلفها فلا تأثم .

(٤) مشنج : منقبض .

(٥) لثم يلثم بمعنى قبل .

(٦) نصب « شرب » على المصدر المشبه به فكأنه قال ، شربت ريقها شرب النزيف من ماء الحشرج البارد .

(٧) النزيف كالمنزوف ، من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه ، وهو المحموم الذي منع الماء .

(٨) الحشرج ، النقرة في الجبل يجتمع فيها الماء فيصفو (اللسان مادة نزف) او هو كوز صغير لطيف . (اللسان مادة حشرج) .

ثم قالت : قم فاخرج عني ، ثم قامت من مجلسها وجاءت المرأة فشدت عيني ثم أخرجتني حتى انتهت بي الى مضربي وانصرفت وتركني؛ فحللت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم ، وبت ليلتي؛ فلما اصبحت إذا أنا بها ، فقالت : هل لك في العود ؟ فقلتُ : شأنك، ففعلتْ بي مثل فعلها بالأمس حتى انتهت بي إلى الموضع ، فلما دخلتُ إذا بتلك الفتاة على كرسيّ ، فقالت : ايهِ (١) يا فضاح الحرائر ! قلتُ : بماذا ؟ — جعلني الله فداءكِ ! — قالت : بقولك :

صوت

ونَاهِدَةِ الثَّدْيَيْنِ قلتُ لها اتَّكي
على الرملِ من جَبَّانةٍ (٢) لم تُوَسَّدِ
فقالتْ على اسم اللهِ أمرُكَ طاعةٌ
وإنْ كنتُ قد كُلِّفْتُ ما لم أُعَوَّدِ
فلمّا دنا الاصباحُ قالتْ فضحتَني
فقُمْ ، غيرَ مطرودٍ ، وإن شئتَ فازْدَدِ

الغناء لأهل مكة ثقيل اول عن الهشامي . ثم قالت : قم فاخرج عني ، فقمت فخرجت ثم رددت ، فقالت لي : لولا وشك الرحيل ، وخوف الفوت ، ومحبتي لمناجاتك والاستكثار من محادثتك ، لاقصيتك ؛ هات الآن كلمني وحدثني وانشدني ، فكلمت آدب الناس وأعلمهم بكل شيء ، ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا

(١) ايه : كلمة استزادة واستنطاق ، وهي مبنية على الكسر وقد تنون ، تقول للرجل اذا استزدته من حديث او عمل ، ايه بكسر الهاء . وقال ابن السري ، اذا قلت ، ايه يا رجل فانما تأمره بان يزيدك من الحديث المعهود بينكما كأنك قلت ، هات الحديث. وان قلت ، ايه بالتنوين فكأنك قلت ، آت حديثاً ما .

(٢) الجبانة ومثله الجبان : الصحراء ، وتسمى بها المقابر لأنها تكون بها. وقد رويت : ولم تمهد، ومعناها : لم تذلل ولم تصلح ولم تسو .

لي البيت فأخذت أنظر ، فإذا أنا بتَوْرٍ (١) فيه خَلُوقٌ (٢) ، فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها في رُدْني (٣) ، وجاءت تلك العجوز فشدت عيني ونهضت بي تقودني حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجتُ يدي فضربت بها على المضرب ثم صرت الى مضربي ، فدعوت غلماني فقلت : أيكم يقفني على باب مضرب عليه خلوق ، كأنه أثر كف فهو حر وله خمسمائة درهم ، فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال : قم ، فنهضت معه فإذا أنا بالكف طرية وإذا المضرب مضرب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، فأخذت في أهبة الرحيل ، فلما نفَرَتْ نفرتُ معها فبصرتْ في طريقها بقِبابٍ ومِضْرَبٍ وهيئة جميلة ، فسألتْ عن ذلك ، فقيل لها : هذا عمر بن أبي ربيعة ، فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت ترسلها اليه : قولي له نَشَدْتُكَ اللهَ والرَّحِمَ أن تَصْحَبَني ، ويحك ! ما شأنك وما الذي تريد ؟ انصرف ولا تفضحني وتُشيطَ بدمك (٤) ، فسارت العجوز اليه فأدت اليه ما قالت لها فاطمة ، فقال : لست بمنصرف أو توجه إلي بقميصها الذي يلي جلدها ، فأخبرَتها ففعلت ووجَّهَتْ اليه بقميص من ثيابها ، فزاده ذلك شغفاً ، ولم يزل يتبعهم لا يخالطهم حتى إذا صاروا على أميال من دِمَشْقَ انصرف وقال في ذلك :

ضاق الغَداةَ بحاجتي صَدْري ... ويئستُ بعد تقارُبِ الأمرِ
وذكرتُ فاطمةَ التي عُلِّقْتُها ... عَرَضاً (٥) فيا لحَوادثِ الدهرِ !

وفي هذه القصيدة مما يغنّى فيه قوله :

---

(١) التور : إناء صغير .
(٢) الخلوق : نوع من الطيب .
(٣) الردن : الكم .
(٤) يقال : أشاط دمه وبدمه : أهدره وعرض نفسه للقتل .
(٥) في ديوانه : « غرضاً » والغرض ، الشوق .

صوت

مَمْكُورةٌ(١) رَدْعُ(٢) العَبيرِ بها جَمٌّ(٣) العِظامِ لطيفةُ الخَصْرِ
وكأنَّ فاها عند رَقْدَتِها(٤) تَجْرِي عليه سُلافةُ الخَمْرِ

الغناء لابراهيم بن المهدي ثاني ثقيل من جامعه . وفيه لمتيم رمل من جامعها ايضا .
وتمام الأبيات وليست فيه صنعة :

فسَبَتْ فؤادي إذ عرضْتُ لها يومَ الرَّحيلِ بساحةِ القصْرِ
بِزَيَّنٍ رَدْعُ العَبيرِ بهِ حَسَنِ التَّرائبِ(٥) واضِحِ النَّحْرِ
وبجيدِ(٦) آدمَ(٧) شادِنٍ(٨) خَرِقٍ(٩)
يرعى الرِّياضَ ببلدةٍ قَفْرِ
لما رأيتُ مطيَّها حِزَقاً خَفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صبرِ
وتبادرت(١٠) عيناي بعدهم وانهلَّ دمعُهما على الصدرِ
ولقد عَصَيْتُ ذوي القرابة فيكمُ طُرًّا وأهلَ الوُدِّ والصِّهرِ
حتى لقد قالوا وما كَذَبوا أجُنِنْتَ أم بك داخلُ السِّحْرِ ؟

ليتني مت !..

اخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني اسحاق عن محمد بن ابان قال حدثني الوليد بن هشام القحذمي عن ابي معاذ القرشي قال:

---

(١) الممكورة : الحسناء المرتوية الساقين المدمجة الخلق .
(٢) الردع : اثر الخلوق والطيب في الجسد . والعبير : نوع من الطيب ذو لون يجمع من اخلاط
(٣) جم العظام : دقيقتها مكتنزة اللحم .
(٤) في الديوان : « بعد ما رقدت » .
(٥) الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .
(٦) في الديوان : «وبعين» .
(٧) الادمة : السمرة ، وقيل : في الانسان السمرة ، وفي الظباء لون مشرب بياضاً .
(٨) شدن الظبي : شب وترعرع .
(٩) الخرق : الخائف المتحير .
(١٠) تبادرت عيناي : سالت دموعها .

لما قدمت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكة جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكرها باسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحجاج ، لأنه كان كتب اليه يتوعده إن ذكرها او عرّض باسمها ، فلما قضت حجّها وارتحلت أنشأ يقول :

صوت

كِدتُ يوم الرحيل أقضي حياتي ليتني متُّ قبل يوم الرحيل
لا أُطيقُ الكلامَ من شدّة الخو فِ ودمعي يسيلُ كلَّ مسيلِ
ذرَفت عينُها وفاضت دموعي وكِلانا يلقى بلُبٍّ أصيل
لو خلَتْ خلّتي أصبتُ نوالاً وحديثاً يشفي مع التنويل (١)
وَلظَلّ الخلخالُ فوق الحشايا مثلَ أثناءِ (٢) حيّةٍ مقتول
فلقدْ قالتِ الحبيبةُ لولا كثرةُ الناس جُدتُ بالتقبيل

غنى فيه ابن محرز ولحنه ثقيل اول من اصوات قليلة الاشباه عن اسحاق . وفيه لعبدان خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ، ويقال انه للهذلي . وفيه لعُبيد الله بن ابي غسان ثاني ثقيل عن الهشامي .

اخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال اخبرني ابن علي الحسن بن الصباح عن محمد بن حبيب ، انه اخبره ان عمر بن ابي ربيعة قال في فاطمة بنت عبد الملك ابن مروان :

صوت

يا خليلي شفّني الذكَرُ وحمُولُ الحيّ إذ صدَروا
ضرَبوا حمرَ القِبابِ لها وأُديرت حولها الحُجَرُ

(١) التنويل ، اعطاء النوال ، وقد يراد به هنا التقبيل .
(٢) اثناء الحية ، مطاويها وتضاعيفها اذا تثنت ، والحية يقال للذكر والانثى .

سَلَكُوا شِعْبَ النِّقابِ(١) بها   زُمَراً تَحْتَثُّهَا (٢) زُمَرُ
وطَرَقْتُ الحيَّ مُكْتَتِماً   ومَعِي عَضْبٌ (٣) به أُثُرُ (٤)
وأخٌ لم أخشَ نَبْوَتَهُ   بِنَواحي أمرِهِمْ خَبِرُ (٥)
فإذا رِيمٌ على فُرُشٍ   في حِجالِ (٦) الخَزِّ مُخْتَدِرُ (٧)
حَوْلَهُ الأحراسُ تَرقُبُهُ   نُوَّمٌ من طولِ ما سَهِرُوا
شَبَهُ(٨) القَتْلَى وما قُتِلُوا   ذاكَ إلّا أنهم سَمَرُوا
فدَعَتْ بالوَيْلِ ، ثم دَعَتْ   حُرَّةٌ من شأنِها الخَفَرُ
ثم قالتْ للتي معَها   ويحَ نفسي قد أتى عمرُ
مَا لَهُ قد جاءَ يَطرُقُنا   ويَرى الأعداءَ قد حَضَرُوا
لِشَقائي كانَ عُلِّقَنا   ولِحَيْنِي ساقَه القَدَرُ
قلتُ عِرضي (٩) دُونَ عِرضِكُمُ   ولِمَن ناوَاكُمُ الحَجَرُ (١٠)

---

(١) النقاب : موضع من اعمال المدينة يتشعب منه طريقان الى وادي القرى ووادي المياه وفي ديوانــه :

سلكوا خل الصفاح لهم   زجل احــداجهم زمر

والصفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل الى مكة ؛ والخل بفتح الخاء ، الطريق في الرمل ، والزجل ، الجلبة ورفع الصوت .

(٢) تحتثها : تستعجلها وتحضها على السير .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) اثر السيف : فرنده .

(٥) خبر : خبير .

(٦) الحجال : جمع حجلة وهي قبة تزين بالستور والثياب .

(٧) في ديوانــه :

فاذا ريم عــلى مهد   في حجال الخز مستتر

(٨) في ديوانه :

فدعت بالويــل آونة   حين ادناني لها النظر
ودعت حوراء آنسة   حرة من شأنها الخفر

(٩) العرض هنا : النفس والجسد .

(١٠) في ديوانه : « ولمن عاداكم جزر » ، والجزر ، كل شيء مباح للذبح ، يريد ، ابذل نفسي لمن عاداكم فداء لكم .

هذا البيت الأخير مما فيـــه غناء مع :

وطرَقتُ الحــيّ مكتتما

للغريض

وفي : يا خليلي شفّني الذّكرُ
وفي : قلتُ عِرْضي دونَ عِرْضكمُ
وفي : ثمّ قالتْ للتي معها
وفي : ماله قد جاء يطرُقنا

ثاني ثقيل بالوسطى من عمرو

وفي : ضربوا حُمْرَ القِباب لها

وما بعده أربعة متوالية خفيف رمل بالوسطى للهذلي

وفي ، « وطرقت » وبعده ، « فاذا ريم » وبعده : « حوله الاحراس » والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيها بعينها ثقيل اول يقال انه للابجر ، وينسب الى غيره عن الهشامي .

شعر عمر في عائشة بنت طلحة

اخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال اخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال :

بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فبُهِتَ لما رآها ، ورأته وعلمت أنها قد وقعتْ في نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها وقالت : قولي له : اتق الله ولا تَقُلْ هُجْراً ، فإن هذا مقام لا بد فيه مما رأيت ؛ فقال للجارية : أقرئيها السلام وقولي لها : ابن عمك لا يقول إلا خيرا ؛ وقال فيها :

صوت

لعائشةَ ابنةِ التَّيْميِّ عندي ... حِمىً في القلبِ ،لا يُرْعَى حِماها[(١)]
يُذَكّرُني ابنةَ التَّيْميِّ ظبيٌ ... يَرُودُ بروْضةٍ سَهْلٍ رُباها
فقلتُ له ، وكاد يُراع قلبي ... فلم أرَ قطُّ كاليوم اشتِباها
سِوى حَمْش[(٢)] بِساقِكَ مستبينٍ ... وأن شَواك[(٣)] لم يُشْبِهْ شَواها
وأنك عاطلٌ عارٍ وليست ... بعارية ولا عُطُلٍ يَداها
وأنكَ غيرُ أفرَعَ[(٤)] وهي تُدْلي ... على المَتْنَيْنِ أسْحَمَ[(٥)] قد كساها
ولو قعدَتْ ولم تَكْلَفْ بوُدٍّ ... سِوى ما قد كَلِفتُ به كَفاها
أظلُّ إذا أكلّمها كأنّي ... أكلّم حيّةً غلبَتْ رُقاها
تَبيتُ إليَّ بعد النوم تَسْري ... وقد أمسيتُ لا أخشى سُراها

الغناء في البيتين الأولين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقيل اول . وفيها لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف ثقيل جيعاً عن الهشامي . وذكر إسحاق ان هذا الصوت مما ينسب الى معبد ، وهو يشبه غناءه الا انه لم يروه عن ثبت (٦) ولم يذكر طريقته . قال ، وقال فيها اشعاراً كثيرة فبلغ ذلك فتيان بني تيم ، أبلغهم اياه فتى منهم وقال لهم : يا بني تيم بن مرة ، هاللهِ ليقذفنَّ بنو مَخْزُومٍ بناتِنا بالعَظائم وتَغْفُلون ! فمشى ولد أبي بكر وولد طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم ؛ فقال لهم : والله لا أذكرها في شعر أبدا ، ثم قال بعد ذلك فيها — وكنى عن اسمها — قصيدته التي أولها :

(١) الديوان : « ما يرعى حماها » .
(٢) الحمش : دقة الساقين .
(٣) الشوى : الاطراف .
(٤) الأفرع : طويل شعر الرأس .
(٥) الأسحم : الأسود ، يريد به الشعر .
(٦) الثبت ، الراوي الحجة الثقة .

صوت

يا أمَّ طلحة إنَّ البينَ قد أفِدا(١) قلَّ الثواءُ لئن كان الرحيلُ غدا
أمسى العراقيُّ لا يدري إذا برزت مَنْ ذا تطوَّفَ بالأركان أو سجدا

الغناء لمعبد ثقيل اول بالبنصر عن عمرو ويونس . قال ولم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة فنظر اليها فقالت : أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق ! فقال :

صوت

إني وأوَّل ما كلفتُ بحبّها عجبٌ وهل في الحب(٢) من متعجَّبِ ؟
نعتَ النساءُ فقلتُ لستُ بمُبصرٍ شِبهاً لها ابداً ولا بمُقرَّبِ
فمكثنَ حيناً ثم قلنَ توجَّهتْ للحجِّ ، موعِدُها لِقاء الأخشبِ(٣)
أقبلتُ أنظر ما زعمنَ وقلنَ لي والقلبُ بين مُصدِّقٍ ومُكذِّبِ
فلقيتُها تمشي بها بَغلاتُها ترمي الجمارَ عشيَّةً في موكبِ
غرَّاءُ يعشي الناظرين بياضُها حوراءُ في غلواءِ(٤) عيشٍ مُعجِبِ
إن التي من ارضها وسمائها جُلبت لحينك ليتها لم تُجلَبِ

الغناء لمعبد في الاول والثاني والرابع والسابع ثقيل اول بالوسطى عن عمرو . وفيها للغريض خفيف ثقيل عن الهشامي يُبدأ فيه بالثالث .

---

(١) افد : دنا واسرع .
(٢) في ديوانه : « وما بالدهر » .
(٣) الأخشب : مفرد الأخشبين وهما جبلان بمكة احدهما ابو قبيس والآخر قيقعان ، ويقال هما ابو قبيس والجبل الاحمر المشرف هنالك ، وقد تفرد هذه التثنية فيقال لكل واحد منها الأخشب .
(٤) في غلواء عيش : في انفره وارغده .

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن اسحاق قال :

أخبرني مصعب الزبيري أن عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها فقال لها : قفي حتى أُسْمِعَكِ ما قلتُ فيكِ ؛ قالت : أوَقد فعلت يا فاسق ! قال : نعمْ ، فوقفت فأنشدها :

صوت

يا ربّةَ البغلةِ الشّهْبـاءِ هل لكِ في
أن تُنشِري ميتًا لا تُرْهِقي[1] حرَجا
ويروَى : هـل لـكُمْ في عاشقٍ دَنِـفٍ[2]
قالتْ بدائك مُتْ أو عِشْ تُعالِجُهُ
فإن تُقِدْنا[3] فقد عنّيْتَنا حِججا
حتّى لو اُسْطِيعُ مما قد فعلتَ بنا أكلتُ لحمَكَ من غيظٍ وما نَضِجا

— الغناء لابن سريج ثقيل اول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثلاثة الحان ذكرها إسحاق ولم يجنس منها إلا واحداً . وذكر الهشامي ان احدها خفيف رمل بالوسطى ، وذكر عمرو ان الثالث هزج بالوسطى . ولاسحاق فيها هزج بمجموع صنعته —

فقالت : لا ورب هذه البَنِيَّة ما عنّيتنا طَرْفَةَ عينٍ قطُّ ، ثم قالت لبغلتها : عَدَسْ[4] ، وسارتْ . وتمام هذه الأبيات :

(١) لا ترهقي حرجا : لا تحمليه حرجا ولا تكلفيه اكثر مما هو به .
(٢) رواية الديوان المطبوع :

« ... هـل لكـم ان ترحمي عمرا ... »

(٣) القود : القصاص ، والمراد : فان ترد القصاص منا على هذا الهجر ، فقـد عنيتنا وجشمتنا أعواماً طوالا .
(٤) عدس : كلمة تزجر بها البغال .

فقلتُ لا والذي حجَّ الحجيجُ له ما مجَّ حبُّكِ من قلبي ولا نهجا[١]
ولا رأى القلبُ من شيءٍ يُسرُّ به مذْ بانَ منزلُكم منّا ولا ثلجا
ضنَّتْ بنائلها عنه فقد تركتْ في غير ذنبٍ أبا الخطّاب مختلجا[٢]

قال : فلم تزل عائشة تداريه وترفق به خوفاً من ان يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت الى المدينة ؛ فقال في ذلك :

إنّ من تهوى مع الفجر ظعنْ للهوى والقلبُ متباعُ الوطنْ
بانتِ الشمسُ وكانت كلّما ذكرتْ للقلبِ عاودتُ الددنْ

صوت

يا أبا الحارثِ[٣] قلبي طائرٌ[٤] فأتمرْ أمرَ رشيدٍ مؤتمنْ
نظرتْ عيني إليها نظرةً تركتْ قلبي لديها مرتهنْ
ليس حبٌّ فوقَ ما أحببتُها غيرَ أن أقتلَ نفسي أو أجنْ

فيها ثاني ثقيل بالوسطى نسبه عمرو بن بانةَ إلى ابن سريج ، ونسبه ابن المكي الى الغريض . وفيها رمل لأهل مكة .

ومما يغنى فيه من اشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أولها :

صوت

منْ لقلبٍ أمسى رهيناً[٥] معنّى مستكيناً قد شفّه[٦] ما أجنّا
إثرَ شخصٍ نفسي فدتْ ذاكَ شخصاً نازحِ الدار بالمدينة عنّا

---

(١) يقال : مجَّ الثوبُ يمجُّ ونهجُ إذا أخلق وبلي .
(٢) مختلج : مضطرب .
(٣) في الديوان : « يا ابا الخطاب » .
(٤) في الديوان : « هائم » .
(٥) في الديوان : « حزينا » .
(٦) شفّه يشفّه : هزله وأسقمه .

ليتَ حظّي كطَرْفةِ العينِ منها وكثيرٌ منها القليلُ المهنّا

الغناء لابراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق .

بعد ان فضحتني ؟

أخبرني الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن خلف قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن التيمي عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال :

كان عمر بن ابي ربيعة يهوى كَلْثَمَ بنتَ سَعْدٍ المَخْزُومِيّة ، فأرسلَ اليها رسولا [١] فضربتْها وحلقتْها [٢] وأحلفتها ألا تُعاود ؛ ثم أعادها ثانيةً ففعلت بها مثل ذلك ، فتحاماها رُسلُه ؛ فابتاع أمةً سوداءَ لطيفة رقيقة وأتى بها منزله فاحسن اليها وكساها وآنسها وعرّفها خبرَه وقال لها : إن أوْصلتِ لي رُقْعةً إلى كَلْثَمَ فقرأتها فأنتِ حرة ولك معيشتك ما بَقيتِ ؛ فقالت : اكتب لي مُكاتبةً [٣] وأكتب حاجتك في آخرها ، ففعل ذلك ، فأخذتها ومضت الى باب كلثمَ فأستأذنت فخرجت اليها أمةٌ لها فسألتها عن أمرها ؛ فقالت : مكاتبة لبعض أهل مولاتك جئت أستعينها في مكاتبتي ، وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها، فدخلت إلى كلثمَ وقالت : ان بالباب مكاتبة لم أر قطُّ أجمل منها ولا أكمل ولا آدبَ ؛ فقالت : ائذني لها ، فدخلت ، فقالت : من كاتَبكِ ؟ قالت : عمرُ بن أبي ربيعة الفاسقُ ! فاقرئي مكاتَبتي ، فمدت يدها لتأخذها فقالت لها : لي عليك عهدُ الله ان تقرئيها ، فإن كان منكِ إلي شيءٌ مما أحِبُّه وإلا لم يلحقني منكِ مكروهٌ ؛ فعاهدتها وفطنت وأعطتها الكتاب فاذا اوله :

(١) رسول : فعول بمعنى مفعول ، يجوز استعماله للمذكر والمؤنث والمثنى والجمع .

(٢) يقال : حلقه : أوجعه في حلقه ، ولهذه المادة معان أخرى لا تناسب السياق .

(٣) المكاتبة : ان يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه اليه منجماً « مقسطاً » فاذا أداه صار حراً ، وسميت كذلك لأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ، ومولاه يكتب له عليه عتقه .

من عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهوى قد شَفَّهُ الوجدُ إلى كَلْثَمِ
رآتْكِ عَيْني فدعاني الهوى إليكِ للحَيْنِ ولم أعْلَمِ
قَتَلْتِنا ، يا حبَّذا أنتمُ في غيرِ ما جُرْمٍ ولا مأثَمِ
واللهُ قد أنزلَ في وَحْيِهِ مُبيَّنًا في آيةِ المُحْكَمِ
من يقتُلِ النفسَ كذا ظالماً ولم يُقِدْها ، نفسَه يَظْلِمِ
وأنتِ ثأري فتَلافَيْ دَمي ثم أجعليه نعمةً تُنْعِمي
وحَكِّمِي عدلاً يَكُنْ بيننا أو أنتِ فيما بيننا فاحْكُمِي
وجالِسيني مجلساً واحداً من غيرِ ما عارٍ ولا مَحْرَمِ (١)
وخبِّريني ما الذي عندكم باللهِ في قتلِ أمرىءٍ مُسلمِ

قال : فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خدّاعٌ مَلِقٌ وليس لما شكاه أصلٌ ، قالت يا مولاتي ، فما عليك من امتحانه ؟ قالت : قد أذنت له ، وما زال حتى ظَفِرَ ببُغْيَتِه ! فقولي له : إذا كان المساءُ فليَجلِسْ في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي ؛ فأنصرفت الجارية فأخبرته فتأهب لها ، فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل اليها وقد تهيأت أجمل هيئة ، وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء سِترْ فسلّم وجلس ، فتركته حتى سكن ثم قالت له : اخبرني عنك يا فاسق ! ألست القائل :

هلاّ أرْعَوَيْتِ فترْحَمِي صبًّا صَدْيانَ (٢) لم تَدَعِي له قلبًا ؟
جَشِمَ الزيارةَ في مودّتكم وأراد ألاّ تُوهِقي ذنبا (٣)
ورَجا مُصالحةً فكان لكم سَلْماً وكنتِ تَرَيْنَه حَرْبا
يا أيّها المُصْفِي مودّته مَنْ لا يَراكَ مُسامِياً خِطبا (٤)

(١) المحرم : الحرام .
(٢) في الديوان : هذيان لم تذري له قلبا
(٣) في ديوانه : فأراد ألاّ تحقدي ذنبا
(٤) الخطب : الخاطب .

لا تجعلَنْ أحداً عليك إذا   أحببتَه وهَوِيتَه ربَّا
وصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفتَ(١) به   واطوِ الزيارةَ دونَه غِبّا
فلذاكَ أحسنُ من مُواظبةٍ(٢)   ليستْ تَزيدُكَ عنده قُرْبا
لا بل يَمَلُّكَ عند دَعْوته   فيقولُ هاه وطالما لَبّى

فقال لها : جُعِلتُ فداكِ ، إن القلب اذا هوى نطق اللسان بما يهوى ، فمكث عندها شهراً لا يدري أهله أين هو ، ثم استأذنها في الخروج ، فقالت له : بعد ان فضحتني ! لا والله لا تخرج إلا بعد ان تتزوجني ! ففعل وتزوجها ، فولدت منه ابنين أحدهما جُوانٌ ، وماتت عنده .

ودّع لبابة :

اخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد قال حدثني ابراهيم بن يعقوب بن ابي عبد الله عن ابيه عن جده :

أن عمر رأى لُبابَة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت فرأى أحسن خلق الله ، فكاد عقله يذهب ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ، فنسب بها وقال فيها :

صوت

ودّع لبابة قبل ان تترحّلا   واسأل فإنّ قُلاله(٣) ان تسألا
البثْ بِعَمْرِك ساعةً وتأنّها   فلعلَّ ما بَخِلَتْ به ان يُبذلا
قالأئتمِرْ(٤) ما شئتَ غيرَ مُخالفٍ   فيما هويتَ فإننا لن نَعْجَلا

(١) في ديوانه : « كلفت » .
(٢) في الديوان : فلذاك خير من مواصلة
(٣) القلال : القليل . وفي ديوانه : « قليله » .
(٤) ائتمر ما شئت : إفعل ما شئت فاننا لا نعصي لك امراً .

لسنا نُبالي حين نقضي[1] حاجة ... ما باتَ أو ظلَّ المطيّ مُعقَّلا
حتى إذا ما الليل جنَّ ظلامُه ... ورقبتُ غفلةَ كاشحٍ أن يَحملا
خرجت تأطّرُ[2] في الثياب كأنها ... أيمٌ[3] يسيبُ على كثيبٍ أهيلا
رحّبتُ حين رأيتها فتبسّمت[4] ... لتحيّتي لمّا رأتني مُقبِلا
وجلا القناعُ سحابةً مشهورة ... غرّاءَ تُعشي الطرفَ أن يتأملا
فلبثتُ أرقيها بما لو عاقلٌ[5] ... يُرقى به ما اسطاعَ ألا ينزلا

غنى في هذه الابيات معبد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن اسحاق ، ابتداؤه نشيد . وفيها لابن سريج ثقيل اول بالوسطى في مجراها عن اسحاق ايضاً . وفيها لابن سريج في الاول والرابع من الابيات رمل عن ابن المكي . ولأبي دلف القاسم بن عيسى في هذين البيتين خفيف ثقيل بالسبابة والبنصر ، وابتداؤه نشيد من رواية ابن المكي . وفيه لمحمد بن الحسن بن مصعب هزج .

اخبرني محمد بن مزيد بن ابي الازهر قال حدثنا حماد بن اسحاق عن ابيه قال :

لما حجّ الغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل اليه معبد فغنّاه :

* ودّع لبابةَ قبل أن تترحّلا *

فلم يزل يردده عليه ثم أخرجه معه لما رحل عن المدينة ، فغناه في المنزل به حتى أراد الرحيل ، فحمله على بغلة له وذهب غلام له يتبعه فقال : إلى أين ؟ فقال : امضي معه حتى أجيء بالبغلة ، فقال : هيهات ! إرجع يا بني ، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك . وقد روي هذا الخبر لغير الغمر بن يزيد .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار وهو :

* تشكّى الكُميتُ الجريَ لما جَهدتُه *

(١) في ديوانه : « تدرك » .
(٢) تأطر عذوقة إحدى تاءيه اي تثنى .
(٣) الأيم : الحية .
(٤) في ديوانه : « سلمت حين لقيتها فتهلت » .
(٥) يقال : عقل الوعل يعقل عقولا : امتنع في الجبل .

عمر والثريا :

يقولها عمر بن ابي ربيعة في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن امية الاصغر ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهم الذين يقال لهم العبلات ، سموا بذلك لجدة لهم يقال لها عبلة بنت عبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهي من بطن من تميم يقال لهم البراجم ، غير براجم بني اسد .

اخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال :

كانت عبلة بنت عُبيد بن خالد بن خازل بن قيس بن مالك بن حنظلة عند رجل من بني جُشَمَ بن معاوية ، فبعثها بأنحاء[1] سَمْنٍ تبيعها له بعكاظ فباعت السمن وراحلتين كان عليهما وشربت بثمنها الخمر ، فلما نفد ثمنها رهنت ابن اخيه وهربت نطلقها . وقالت في شربها الخمر :

شربتُ براحلتي مِحجَنٍ فيا ويلتي ، محجَنٌ قاتلي
وبابن أخيه على لذَّةٍ ولم أحتَفِل عَذلَ العاذلِ

قال فتزوجها عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أمية الأصغر وعبد أميّةَ ونوفلا وهم العَبَلاتُ .

وقد ذكر الزبير بن بكار عن عمه ان الثريا : بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الاصغر ، وانها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جِرابٍ العبليّ الذي قتله داود بن علي ، وهو الذي يقول فيه ابن زياد المكي :

ثلاث حوائج وَلَهُنَّ جئنا فقُمْ فيهنَّ يا ابن أبي جِرابِ
فإنك ماجدٌ في بيت مجدٍ بقيّةُ مَعشَرٍ تحت الترابِ

قال : وله يقول ابن زياد المكي ايضاً :

إذا مُتَّ لم توصَلْ بعُرفٍ قرابةٌ ولم يَبْقَ في الدنيا رجاءٌ لسائلِ

---

(١) انحاء : جمع نحى وهو الزق او ما كان للسمن خاصة .

قال الزبير : وهذا أشبه من ان تكون بنت عبد الله بن الحارث ، وعبد الله انما أدرك سلطان معاوية وهو شيخ كبير ، وورث بقُعْدُدِهِ (١) في النسب دارَ عبدِ شمس بن عبد مناف وحج معاوية في خلافته فجعل ينظر الى الدار ، فخرج إليه عبد الله بن الحارث بِمِحْجَنٍ (٢) ليضربَه به وقال : لا أشْبَعَ الله بطنَك ! أما تكفيكَ الخلافةُ حتى تطلب هذه الدار ! فخرج معاوية يضحك .

ابو الفرج يغربل الروايات :

قال مُؤلّف هذا الكتاب : وهذا غلطٌ من الزبير عندي ، والثريا أن تكون بنت عبد الله بن الحارث أشبه من أن تكون أُخت الذي قتله داود بن عليّ ، لأنها رَبّت الغريض المغني وعلمته النوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحَرّة ، وإذا كانت قد ربت الغريض حتى كبر وتعلم النوح على قتلى الحرة – وهي وقعةٌ كانت بعَقِب موتِ معاوية – فقد كانت في حياة معاوية أُمرأةٌ كبيرةٌ ، وبين ذلك وبين من قتله داود بن علي من بني امية نحو ثمانين سنة ، وقد شبب بها عمر بن ابي ربيعة في حياة معاوية ، وأنشد عبدَ الله بنَ عباس شِعرَه فيها ، فكيف تكون اختَ الذي قتله داود بن علي وقد أدركت عبد الله بن عباس وهي أمرأةٌ كبيرةٌ . وقد اعترف الزبير ايضاً في خبره بان عبد الله بن الحارث أدرك خلافة معاوية وهو شيخ كبير ؛ فيقول من قال : انها بنته ، أصوبُ من قول من قرنها بمن قتله داود ابن علي . وهذا القول الذي قلته قول ابن الكلبي وابي اليقظان ، أخبرني به الحسن بن علي عن احمد بن الحارث عن المدائني عن ابي اليقظان ، قال وحدثني به جماعة من اهل العلم بنسب قريش .

---

(١) بقعدده : بتمكنه من القرابة من الميت اي بكونه اقرب الطبقات اليه .

(٢) المحجن : عصا معقفة منحنية الرأس كالصولجان .

حبُّه الثريا :

اخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مسلمة بن ابراهيم بن هشام المخزومي عن ايوب بن مسلمة : أنه أخبره أن عمر بن ابي ربيعة كان مُسْهِباً (١) بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت عُرْضَةَ (٢) ذلك جمالاً وتماماً ، وكانت تصيف بالطائف ، وكان عمر يغدو عليها كل غداة إذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسائل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار قِبَلَهم ، فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ؛ فقال : ما استَطْرَفْنا (٣) خبراً ، إلا أنني سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم في السماء وقد سقَط (٤) عليّ اسمه ، فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم ؛ وقد كان بلغ عمر قبل ذلك انها عليلة ، فوجه فرسه على وجهه الى الطائف يركضه مِلءَ (٥) فُروجِه ، وسلك طريق كَداء (٦) — وهي أخشن الطرق وأقربها — حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهي تتشوّف له وتشرف ، فوجدها سليمة عميمة (٧) ومعها أختاها رُضَيّا وأمُّ عثمان ، فأخبرها الخبر ، فضحكت وقالت : أنا والله أمرتهم لأختبر ما لي عندك ؛ فقال عمر في ذلك هذا الشعر :

---

(١) المسهب : من اسقمه الحب واذهب عقله . اي مولعاً .

(٢) عرضة ذلك الخ اي اهلاً لأن يشغف بها لجمالها وتمامها ، كأنها متصدية للناس بجمالها توقعهم في شركها فيهيمون بها وان لم يريدوا .

(٣) ما استطرفنا خبراً ، اي ليس عندنا شيء طريف حادث نحدثك به .

(٤) سقط علي اسمه : ذهب وغاب عني فلا اذكره .

(٥) يركضه ملء فروجه : يحمله على اشد العدو ، يقال : ملأ فلان فروج فرسه اذا حمله على العدو والإسراع .

(٦) كداء : جبل بأعلى مكة عند المحصّب دار اليه النبي صلى الله عليه وسلم من ذي طوى . وقد دخل النبي — صلى الله عليه وسلم — مكة عام الفتح منه وخرج من كدى (مضموم مقصور) ، وهو جبل بأسفل مكة . واما كدي بالتصغير فانما هو لمن خرج من مكة الى اليمن وليس من هذين الطريقين في شيء .

(٧) يقال : جارية عميمة وعماء : طويلة تامة القوام والخلق .

درة بكر :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمَّا جَهَدْتُهُ
وبَيَّن لو يَسْتَطِيعُ أن يَتَكلَّما
فقلتُ له إن أَلْقَ للعين قُرَّةً فهانَ عليَّ (١) أن تَكِلَّ وتَسْأما
لذلك أُدْنِي دونَ خَيْلي رِباطَه وأُوصِي به ألا يُهانَ ويُكْرَما
عَدِمتُ إذاً وَفْرِي وفارقتُ مُهْجَتي
لَئِنْ لم أَقِلْ قَرْناً (٢) إنِ اللهُ سَلَّما

قال مَسْلَمةُ بن ابراهيم : قلت لأيوب بن مَسْلَمَةَ : أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصِّفَة ، كانت والله كما قال عبد الله بن قيس :

حَبَّذا الحجُّ والثُّرَيَّا ومَنْ بالخَيْفِ من أجلها ومُلْقَى الرِّحالِ
يا سليمانُ إن تُلاقِ الثريّا تَلْقَ عَيْشَ الخُلُودِ قبلَ الهِلالِ
دُرَّةٌ من عقائلِ (٣) البحر بِكْرٌ لم تَنَلْها مَناقِبُ اللاَّلِ (٤)
تَعقِدُ المِئْزَرَ السُّخامَ (٥) من الخزِّ على حَقْوٍ (٦) بادنٍ مِكْسالِ

عمر بن أبي ربيعة ورملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية :

قال إسحاق في خبره عمن اسند اليه اخبار عمر بن ابي ربيعة ، وذكر مثله الزبير ابن بكار فيا حدثنا به عند الحرمي بن ابي العلاء قال حدثني مؤمن بن عمر بن افلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال

(١) في الديوان : « علينا » .
(٢) أقل : من القيلولة . والقرن : قرن المنازل ، وكثيراً ما يذكره في شعره ، يريد : ائن لم أقل فيه .
(٣) العقائل : جمع عقيلة وهي في الأصل : المرأة الكريمة المخدرة ، ثم استعمل في الكريم من كل شيء ، ومنه عقائل البحر وهي درره الكبيرة الصافية .
(٤) اللآل : بالتشديد : بائع اللؤلؤ او ثقابه .
(٥) السخام : كل شيء لين من قطن او صوف او غيرهما
(٦) الحقو بالفتح والكسر : معقد الإزار وهو الخاصرة .

حدثني بلال مولى ابن ابي عتيق :

أن الحارث بن عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة قدم للحج فأتاه ابن أبي عتيق يسلم عليه وأنا معه ، فلما قضى سلامه ومساءلته عن حجه وسفره ، قال له : كيف تركت أبا الخطاب عمر بن أبي ربيعة ؟ قال : تركته في بُلَهْنِيَةٍ[1] من العيش ؛ قال : وأنى ذلك ؟ قال : حجت رَمْلَةُ بنتُ عبد الله بن خَلَفٍ الخُزاعيّةُ فقال فيها :

صوت

أصْبَحَ القلبُ في الجبال[2] رَهِينا ... مُقْصَداً يومَ فارَقَ الظاعِنِينا

قلتُ مَنْ أنتُمْ فصَدَّت وقالتْ ... أمُبِدٌّ[3] سؤالَكَ العالَمِينا[4]

نحن من ساكني العِراقِ وكُنّا ... قبلَهُ قاطنين مكةَ حِينا[5]

قد صدَقْناكَ إذ سألتَ فمن أنـ ... ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا

ونَرَى أننا عَرَفْناكَ بالنَّعْتِ بظَنٍّ وما قَتَلْنا يقينا

---

(١) البلهنية ومثله الرفهنية والرفغنية : سعة العيش ، يقال هو في بلهنية من العيش ، وهو في عيش ابله ، كأن صاحبه في غفلة عن الطوارق لا يحسب لها حسابا .

(٢) في ديوانه : « الجمال » .

(٣) امبد : « معناه أمقسم انت سؤالك على الناس واحداً واحداً حتى تعمهم ». من البداد وهو ان يبد المال القوم فيقسم بينهم ، وابدّ هم المال والعطاء : فرقه فيهم ، والمراد : لماذا تسألنا ! ألك حق السؤال على جميع الناس ! . او معناه : « انت ملزم سؤالك الناس ، من قولهم : مالك منه بد» والمراد : انت ملزمنا الاجابة على سؤالك ! انا لانجيبك .

(٤) بين هذا البيت والذي قبله هذه الابيات وقد نقلناها عن ديوانه لترتب البيت الثاني عليها وهي

عجلت حمة الفراق علينا ... برحيل ولم نخف ان تبينا

لم يرعني الا الفتاة والا ... دمعها في الرداء سحا سنينا

ولقد قلت يوم مكة سرا ... قبل وشك من بينكم نوّلينا

انت اهوى العباد قربا ودلا ... لو تنيلين عاشقاً محزونا

قاده الطرف يوم مر الى الحـ ... ـين جهاراً ولم يخف ان يحينا

فاذا نعجة تراعي نعاجا ... ومها يرتج المناظر عينا

(٥) بين هذا البيت والذي في ديوانه بيتان هما :

قلت بالله ذي الجلالة لما ... ان تبلتِ الفؤاد ان تصدقينا

اي من تجمع المواسم قولي ... وابيني لنا ولا تكتمينا

بسوادِ الثنيتين ونعتٍ قد نراه لناظرٍ مستبينا

– غنى معبد في البيتين الاولين خفيف ثقيل اول بالوسطى في مجراها عن اسحاق . وغنى في الثاني وما بعده ابن سريج خفيف ثقيل اول بالسبابة في مجرى البنصر عنه ايضاً . وذكر حبش ان فيه للغريض ايضاً لحناً من الثقيل الاول بالبنصر –

قال : فبلغ ذلك الثريا بلغتها أباه أم نوفل ، وكانت غضبى عليه ، وقد كان انتشر خبره عن الثريا حتى بلغها من جهة أم نوفل وأنشدتها قوله :

أصبح القلبُ في الحبال رهينا مقصداً يوم فارق الظاعنينا

فقالت : إنه لوقاح[1] صنع[2] بلسانه ، ولئن سلمتُ له لأردّن من شأوه[3] ، ولاثنين من عنانه ولأعرّفنّه نفسه ، فلما بلغت إلى قوله :

قلتُ مَن أنتمُ فصدّت وقالتْ أمبيدٌ سؤالكَ العالمينا

فقالت : إنه لسآلٌ ملحٌ قبحاً له ولقد أجابته إن وفتْ ، فلما بلغتْ الى قوله :

نحن من ساكني العراقِ وكنّا قبلهَ قاطنين مكةَ حينا

قالت : غمزته الجهمةُ[4] ، فلما بلغت الى قوله :

قد صدقناكَ إذ سألتَ فمن انتَ عسى أن يجُرّ شانٌ شؤونا ؟

قالت : رمته الورهاء[5] بآخر ما عندها في مقامٍ واحد . وهجرت عمرَ .

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب : ان رملة بنت عبد الله بن خلف حجت فتعرض لها عمر بن ابي ربيعة فقال فيها :

---

(١) الوقاح : القليل الحياء .
(٢) الصنع : الحاذق .
(٣) الشأو : الزمام .
(٤) الجهمة : الضعيفة العاجزة ، تكني به عن انها لضعفها لانت له بعد استعصائها .
(٥) الورهاء : الحمقاء ، تريد انها رمت بنفسها بين يديه وأسلمت نفسها له .

أصبح القلب في الحبال رهيناً ... مُقصَدا يوم فارق الظاعنينـا

وقال في هذه القصيدة :

فرأتْ حِرْصي الفتـاةُ فقالت ... خَبِّريهِ من أجلِ مَن تكتُمينا ؟
نحن من ساكني العراق وكنّا ... قبلـه قاطنين مكة حينـا
قد صدقناكِ إذ سألت فمن أنـ ... ـت عسى أن يجرّ شأنٌ شؤونا ؟

قال الزبير : ورملة هذه أم طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، وهي أخت طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي .

سيجرُ شأن شؤونا :

قال : فبلغت هذه الابيات كُثيِّراً ، فغضب لذلك وقـال : وأنا والله لا أتمـارى أن سيجرُّ شأنٌ شؤونا ؛ ثم ذكر نسوة من قريش فساقهن في شعره من الحج حتى بلغ بهن الى مَلَلٍ [١] ثم أشفق فجاز [٢] ولم يزد على ذلك ، وهو قوله في قصيدته التي أولها :

مـا عَناكَ الغداةَ من أطلالِ ... دارساتِ المُقامِ مُذْ أحوال

صوت

قُمْ تأمّلْ فأنـتَ أبصرُ منّي ... هل ترى بالغَميم [٣] من أجمالِ
قاضياتٍ لُبانَةً من مُنـاخٍ ... وطَوافٍ وموقفٍ بالجبالِ [٤]
قلنَ «عُسفانَ» [٥] ثم رُحنَ سِراعاً ... هابطاتٍ عَشيّةً من «غزالٍ» [٦]

(١) ملل – ويقال له املال – : موضع على طريق المدينـة الى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة .
(٢) اي مر تاركاً التعرض لهن .
(٣) الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .
(٤) « الجبال » وهي ارض لبني تغلب .
(٥) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة في طريق المدينة والجحفة .
(٦) غزال ويقـال له قرن غزال : احد الأودية الثلاثة بين ثنية هرشي وبين الجحفة ، وهو لخزاعة خاصة .

وارداتٍ «الكَدِيد» [١] مُجترِعاتٍ [٢]
جُزْنَ «وادي الحَجون» [٣] بالأثقالِ
قَصْدَ لِفْتٍ [٤] وهنّ مُتَّسِقاتٍ [٥]
كالعَدَوْليّ [٦] اللاحقاتِ [٧] التوالي
طالعاتٍ «الغَمِيس» [٨] من «عَبُّودٍ» [٩]
سالكاتٍ الخَوِيّ [١٠] من أَمْلالِ
فسقى الله مُنْتَوى [١١] أمّ عمروٍ حيث أمّتْ [١٢] بها صدورُ الرّحالِ
حبّذا هنّ من لُبانةِ قلبي وجديدُ الشباب من سِربالي
رُبّ يومٍ أتيتُهنّ جميعاً عند بيضاءَ رَخْصةٍ مِكسالِ [١٣]
غيرَ أني امرؤٌ تعمّمتُ حِلماً يكره الجهلَ [١٤] والصِّبا [١٥] أمثالي

غنى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأول خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ويونس .
وذكر الهشامي ان فيها للحجي رملاً بالبنصر .

---

(١) الكديد: ماء بين الحرمين او موضع على اثنين واربعين ميلاً من مكة بين عسفان ورابغ.
(٢) اجترع الماء : ابتلعه .
(٣) الحجون : جبل بمعلاة مكة عنده مدافن اهلها .
(٤) لفت بالكسر : واد قريب من هرشي عقبة بالحجاز بين مكة والمدينة .
(٥) متسقات : منتظمات يسير بعضها وراء بعض .
(٦) العدولي : جمع عدولية وهي السفينة منسوبة الى عدولي : قرية بالبحرين .
(٧) لاحقات التوالي : يسير بعضها وراء بعض ويلحق تاليها الذي بعده .
(٨) الغميس بفتح أوله وكسر ثانيه، قال ابن اسحاق في غزاة بدر: مر النبي صلى الله عليه وسلم على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام ، كذا في ياقوت .
(٩) عبود : جبل بين السيالة وملل . والسيالة ارض في طريق الحاج قيل : هي اول مرحلة لأهل المدينة اذا ارادوا مكة .
(١٠) الخوي : واد بناحية الحمى .
(١١) المنتوى : المكان الذي تنوي ان تصل اليه .
(١٢) أمت : قصدت .
(١٣) رخصة : ناعمة البشرة رقيقتها .
(١٤) الجهل : الحمق .
(١٥) الصبا : جبلة الفتوة .

مَن رسولي إلى الثريا ؟

قالوا : فلما هجرت الثريا عمر قال في ذلك :

مَنْ رَسُولي إلى الثُريّا بأني ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرها والكتاب (١)

فبلغ ابن أبي عتيق قوله فمضى حتى أصلح بينهما . وهذه الأبيات تذكر مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيق بينهما بعد انقضاء خبر رَمْلَةَ التي ذكرها عمر في شعره .

قال مصعب بن عبد الله في خبره : وكانت رَمْلَةُ جَهْمَةَ (٢) الوجه ، عظيمة الأنف ، حسنة الجسم ، وتزوجها عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ، وتزوج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وجمع بينهما ، فقال يوماً لعائشة : فعلت في محاربة الخوارج مع أبي فُدَيْك (٣) كذا ، وصنعت كذا ، يذكر لها شجاعته وإقدامه ، فقالت له عائشة : أنا أعلم أنك أشجع الناس ! وأعرف لك يوماً هو أعظم من هذا اليوم الذي ذكرته ، قال : وما هو ؟ قالت : يوم اجتليت (٤) رملة وأقدمت على وجهها وأنفها .

قال مصعب وحدثني يعقوب بن إسحاق قال : لما بلغ الثريا قول عمر ابن أبي ربيعة في رملة :

وَجلا بُرْدُها وقد حَسَرَتْه نورَ بدرٍ يُضِيء للناظرينا

قالت : أف له ما أكذبه ! أو ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة ! .

بِمَ عرفتني ؟

وذكر ابن أبي حسان عن الرياشي عن العباس بن بكار عن ابن دأب :

(١) لعله يريد : ضقت ذرعاً بهجرها ومراسلتها كتابة ، او ان الواو هنا للقسم .

(٢) الوجه الجهم : الغليظ في سماجة .

(٣) هو رأس من رؤوس الخوارج ، واسمه عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب ، غلب على البحرين في سنة اثنتين وسبعين من الهجرة وقتل نجدة بن عامر الحنفي .

(٤) اجتلى عروسه : نظر اليها مجلوة ليلة زفافها وكانت قبيحة .

أن هذا الشعر قاله عمر في أمرأة من بني جُمَح كان أبوها من أهل مكة ، فولدت له جارية لم يولد مثلها بالحجاز حُسناً ، فقال أبوها : كأني بهـا وقد كبرت ، فشبب بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوّه باسمها كما فعل بنساء قريش ، والله لا أقمت بمكة ، فباع ضيعة له بالطائف ومكة ورحل بابنته الى البصرة ، فأقام بها وابتاع هناك ضيعة ونشأت ابنته من أجمل نساء زمانها ، ومات أبوها فلم تر أحداً من بني جُمَح حضَر جنازته ، ولا وجدت لها مُسعداً [١] ولا عليها داخلا ، فقالت لداية [٢] لها سوداء : من نحن ؟ ومن أيّ البلاد نحن ؟ فخبّرتها ، فقالت : لا جرم ، والله لا أقمتُ في هذا البلد الذي انا فيه غريبة ! فباعت الضيعة والدار وخرجت في أيام الحج ، وكان عمرُ يَقدمُ فيعتمر [٣] في ذي القعدة ويُحِل [٤] ، ويَلبس تلك الحُللَ والوَشيَ ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القُطُوعُ [٥] والديباج ويسبل لمته ، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدنيات الى مر ، ويتلقى الشاميات الى الكديد ، فخرج يوماً للعراقيات فإذا قبة مكشوفة فيها جارية كأنها القمرُ تعادلها [٦] جارية سوداء كالسَّبَجة [٧] ، فقال للسوداء : من أنت ؟ ومن أين أنتِ يا خالة ؟ فقالت : لقد أطال الله تعبك ، إن كنت تسأل هذا العالَمَ مَنْ هم ومن أين هم ، قال : فأخبريني عسى ان يكون لذلك شأن ، قالت : نحن من أهل العراق ، فأما الأصل والمنشأ فمكة ، وقد رجعنا الى الأصل

(١) المسعد : من تساعد المرأة في النوح على فقيدها من جاراتها او ذوات قرابتها .

(٢) الداية : المرضع وقد تظل مع الطفلة تربيها حتى تشب .

(٣) اصل معنى الاعتمار الزيارة في موضع عامر . وهي في الشرع زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة المعروفة وهي الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة . والعمرة تكون في السنة كلها بخلاف الحج فانه لا يكون الا في اشهره المعلومة ولا يصح الا مع الوقوف بعرفة .

(٤) يحل : يخرج من احرامه في العمرة .

(٥) القطوع : جمع قطع وهو الطنفسة يجعلها الراكب تحته وتغطي كتفي البعير .

(٦) تعادلها : تركب معها في احد شقي المحمل .

(٧) السبجة : كساء اسود .

ورحلنا إلى بلدنا ، فضحك . فلما نظرت الى سواد ثَنِيَّتَيْه قالت : قد عرفناك ، قال : ومن أنا ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة ! قال : وبم عرفتني ؟ قالت : بسواد ثنيتيك وبهيئتك التي ليست إلا لقريش ، فأنشأ يقول :

قلت من أنتمُ فصدَّت وقالت أَمُبِدٌ سؤالَكَ العالمينا ؟

وذكر الابيات ، فلم يزل عمر بها حتى تزوجها وولدت له .

ابن أبي عتيق يصلح بين عمر والثريا :

قال : فلما صرمت الثريا عمر قال فيها :

صوت

مَنْ رَسُولي إلى الثريا فــإني ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرِها والكتابِ ؟
سلبتْني مَجَّاجَةُ (١) المِسْكِ عقلي فسَلُوها ماذا أحَلَّ اغتصابي ؟
وهي مكنونةٌ تحيّرَ منها في أديم الخدَّين ماءُ الشبابِ
أبرزوها مثلَ المهاةِ تهادَى (٢) بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ
ثم قالوا تحبُّها قلتُ بَهْــراً عددَ القطْرِ والحصَى والترابِ

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل اول بالبنصر عن عمرو ، وذكر حبش أنه لمالك .
أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مؤمن بن عمر ابن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد قال أخبرني بلال مولى ابن ابي عتيق قال :
أنشد ابن ابي عتيق قول عمر :

مَنْ رسولي إلى الــثريا فإني ضقت ذَرْعاً بهجرها والكتابِ

فقال ابن أبي عتيق إيَّــايَ أراد وبي نوَّه ! لا جَرَمَ ، والله لا

(١) مجاجة المسك يريد بذلك وصفها بطيب ريقها وبانه كالمسك .
(٢) تهادى يريد يهدى بعضها بعضاً في مشيتها .

أذُوقُ أكلًا حتى أُشخصَ [١] فأُصلحَ بينهما ؛ ونهض ونهضتُ معه ، فجاء إلى قوم من بني الدِّيل بنِ بَكرٍ لم تكن تُفارقُهم نجائبُ لهم فُرهٌ [٢] يُكرُونها [٣] ، فاكترى منهم راحلتين وأغلى [٤] لهم ، فقلت له : استوضعهم أو دعني أماكسهم فقد اشتطُّوا [٥] عليك . فقال : ويحك ! أما علمت ان المِكاس ليس من أخلاق الكرام ! ثم ركب إحداهما وركبت الأخرى ، فسار سيراً شديداً ، فقلت : أبقِ على نفسك فان ما تريد ليس يفوتك ؛ فقال : ويحك !

* أبادِرُ حبلَ الودِّ أن يتقضّبا [٦] *

وما حلاوة الدنيا إن تمّ الصَّدْعُ [٧] بين عمر والثريا ، فقدمنا مكة ليلاً غير مُحرِمين ، فدق على عمر بابه ، فخرج اليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته ، فقال له : اركب أصلِحْ بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذي سألت عنه ، فركب معنا وقدمنا الطائف ، وقد كان عمر أرضى أمَّ نوفل فكانت تطلب له الحِيَل لأصلاحها فلا يمكنها ، فقال ابن أبي عتيق للثريا : هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليكِ ، فجئتكِ به معترفاً لكِ بذنب لم يجنه ، معتذراً اليك من إساءته اليك ، فدعيني من التعداد والترداد ، فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله ، وكرّنا الى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل ؛ وزاد عمر في أبياته :

أزهقَتْ أمُّ نوفلٍ إذ دعتها مُهجتي ، ما لِقاتلي من مَتابِ

---

(١) أشخص : أذهب ، والشخوص : السير من بلد الى بلد .
(٢) الفاره : الدابة النشيطة الحادة القوية .
(٣) يكرونها : يؤجرونها .
(٤) أغلى لهم : بذل لهم أجراً غالياً .
(٥) اي اسألهم ان يحطوا عنك بعض هذا الأجر ، أو دعني اشاحهم فقد جاوزوا القدر .
(٦) يتقضب : يتقطع .
(٧) اصل معنى الصدع الشق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما ، والمراد به هنا التفرق.

حين قالتْ لهـا أجيبي فقالت مَنْ دعاني ؟ قالت أبو الخطّابِ
فاستجابتْ عند الدعـاء كما لبّى رجالٌ يرجون حسنَ الثوابِ

قال الزبير : وما دعتها أم نوفل إلا لابن عتيق ولو دعتها لعمر ما أجابت . قال : وسألت عمّي عن ام نوفل فقال : هي أم ولدِ عبد الله ابن الحارث أبي الثريا ، وسألته عن قوله :

... ... كما لبّى رجال يرجون حسنَ الثوابِ

فقال : كرّرتْ في التلبية كما يفعل المُحْرِم ، فقالت : لبّيكَ لبيك !

واخبرنا حبيب بن نصر قال حدثنا الزبير بن بكار عن عمه ان بعض المكيين قال :

كانت الثريا تصب عليها جرة ماء وهي قائمة فلا يصيب ظاهر فخذيها منه شيء من عِظَم عَجيزتها .

واخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابو غسان محمد بن يحيى بخبر الثريا هذا مع عمر ، فذكر نحواً مما ذكره الزبير ، وقال فيه :

لما أناخ ابن أبي عتيق بباب الثريّا أرسلت اليه : ما حاجتك ؟ قال : أنا رسول عمر بن أبي ربيعة وأنشدها الشعر ، فقالت : ابن أبي ربيعة فارِغٌ[(١)] ونحن في شُغُلٍ وقد تعبْتَ فانزل بنا ؛ فقال : ما أنا إذاً برسول ، ثم كرّ راجعاً الى ابن أبي ربيعة بمكة فأخبره الخبر فأصلح بينهما .

حدثني احمد بن عبيد الله بن عمار قـال حدثني يعقوب بن نعيم قـال حدثني ابراهيم بن اسحاق العنزي قال حدثني عبد الله بن ابراهيم الجمحي واخبرني به الحسين ابن يحيى عن حماد عن ابيه عن ايوب بن عباية واخبرني به الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير عن مؤمن بن عمر بن افلح عن عبد العزيز بن عمران قالوا :

قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، فنزل على ابن أبي عتيق – وهـو عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر – فلما استلقى قال : أوّهْ !

مَنْ رسولي الى الثريا فإني ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرِها والكتابِ

(١) فارغ : ليس عنده ما يشغله .

فقال ابن أبي عتيق : كل مملوك لي حرٌ إن بلّغها ذاك غيري ، فخرج حتى إذا كان بالمُصَلّى مرَّ بنُصَيْبٍ وهو واقف فقال : يا أبا مِحْجَنٍ ؛ قال : لبيك ! قال : أتُودِعُ إلى سلمى شيئاً ؟ قال : نعم ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : تقول لها يابنَ الصِّدّيقِ : إنك مررت بي فقلت لي أتودع اليها شيئاً ؟ فقلت :

أتَصْبِرُ عن سلمى وأنت صَبورُ وأنت بحسنِ العَزْمِ منكَ جديرُ؟
وكِدْتُ ولم أُخلَقْ من الطيرِ إن بدا سَنا بارقٍ نحوَ الحجازِ أطيرُ

قال : فمر بسلمى وهي في قرية يقال لها « القَسْرِيَّةُ » ، فأبلغها الرسالة ، فزفرت زفرة كادت أن تُفرِّقَ أضلاعها ؛ فقال ابن أبي عتيق : كل مملوك لي حر إن لم يكن جوابُكِ أحسن من رسالته ، ولو سمعك الآن لَنَعَق وصار غراباً ؛ ثم مضى إلى الثريا فأبلغ الكتاب ، فقالت له : أما وجد رسولاً أصغر منك . انزِلْ فأرِحْ (١) ؛ فقال : لست إذاً برسول . وسألها أن ترضى عنه ، ففعلت . وقال الزبير في خبره : فقال لها : أنا رسول ابن أبي ربيعة اليك وأنشدها الأبيات وقال لها : خشيتُ أن تضيع هذه الرسالة ؛ قالت : أدى الله عنك أمانتك ؛ قال : فما جوابُ ما تجشَّمتُه اليكِ ؟ قالت : تنشده قوله في رَمْلَةَ :

وجَلا بُرْدُها وقد حَسَرَتْهُ ضوءَ بدرٍ أضاء للناظرينا

فقال : أُعِيذُكِ بالله يابنةَ أخي أن تغلبيني بالمثل السائر ؛ قالت : وما هو ؟ قال : « حريص لا يرى عمله (٢) » ؛ قالت : فما تشاء ؟ قال : تكتبين اليه بالرضا عنه كتاباً يصل على يدي ، ففعلت ، فأخذ الكتاب ورجع من فوره حتى قدم مكة ، فأتى عمر فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من حيث أرسلتني ؛ قال : وأنى ذلك ؟ قال : من عند الثريا ،

(١) فأرح اي استرح من عناء السفر .
(٢) يريد ان يقول لها : إنه لا يريد ان يحرم نتيجة عمله كما يحرم الحريص عادة .

أفْرِخْ (١) رَوْعَكَ ! هذا كتابها بالرضا عنك اليك .

مجلس غنـــاء

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه عن أيوب بن عباية قال :

اجتمع ابن عائشة ويُونس ومالـــك عند حسن بن حسن بن عليّ – عليهم السلام – فقال الحسن لابن عائشة : غَنّني « مَنْ رسولي الى الثريا.. » فسكت عنه فلم يجبه ، فقال له جليس له : أيقول لك غنني فلا تجيبه ! فسكت ؛ فقال له الحسن : مالَكَ ! ويحك ! أبك خبال ! كان والله ابن ابي عتيق أجودَ منك بما عنده ، فانه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة : أنا رسولك اليها ، فمضى نحو الثريا حتى أدى رسالته ، وأنت معنا في المجلس تبخل أن تغنيه لنا ، فقال له : لم أذهَبْ حيث ظننتُ إنما كنتُ أتخير لك أي الصوتين أغني أقوله :

مَنْ رسولي إلى الثريا فإنّني ضَافَني الهَمُّ واعتَرَتْني الهُمُومُ ؟
يعلمُ اللهُ أنني مُستَهامٌ بهَوَاكُمْ وأنـــني مرحومُ

أم قوله :

مَـنْ رسولي إلى الثريا فـأني ضِقْتُ ذَرْعاً بِهجْرها والكتابِ ؟

فقال له الحسنُ : أسأنا بك الظنّ أبا جعفر ، غَنّ بهما جميعـــاً ، فغناهما ؛ فقال له الحسن : لولا انك تغضب إذا قلنا لك : أحسنت ، لقلتُ لك : أحسنتَ والله ! قال : ولم يزل يرددهما بقية يومه .

أفّ للدّنيا بعدك !

أخبرنا الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن إسحاق الربعي عن ابيه قال :

أنْشَدَ عمرُ بنُ أبي ربيعة ابن أبي عَتيق قوله :

---

(١) أفرخ روعك : اي ليذهب رعبك وفزعك فان الأمر ايسر مما تظن .

لم تَرَ العينُ للثريا شَبيهاً بمَسِيلِ التِّلاعِ[١] يومَ التقينا

فلما بلغ الى قوله :

ثم قالتْ لأختها قد ظَلَمنا إن رددْناه[٢] خائباً واعتدينا

قال : أحسنتْ والهدايا[٣] وأجادت ، ثم أنشده ابن أبي عتيق متمثلاً قولَ الشاعر :

أريني جَوَاداً مات هُزْلاً لعلَّني أرَى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مُخَلَّدا

فلما بلغ عمر الى قوله في الشعر :

* في خَلاَءٍ من الأنِيسِ وأمْنِ *

قال ابن أبي عتيق : أمكنتْ للشارِبِ[٤] الغُدُر « مَنْ عالَ بعدها فلا[٥] انجبر » . فلما بلغ الى قوله :

فمكثنا كذاك عشراً تِباعاً فقضَينا ديونَنَا واقتضَينا

قال : أما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضة ولا اقتضيتها إياه ، فلا عرَّفكما الله قبيحاً ، فلما بلغ الى قوله :

كان ذا في مَسيرِنا إذ حَجَجْنا علِمَ اللهُ فيه ما قد نَوَيْنا

قال : ان ظاهر أمرك ليدل على باطنه ، فأرْوِد[٦] التفسير ، ولئن مُت ه

---

(١) التلاع : جمع تلعة وهي مجرى الماء من أعلى الوادي الى بطون الأرض .
(٢) في ديوانه : « رجعناه » .
(٣) الواو هنا للقسم . والهدايا : جمع هدية وهي ما يهدي الى البيت الحرام من النعم لتنحر .
(٤) الغدر : جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها وقد قيل : انه من الغدر لأنه يخون وُرّاده فينضب عنهم ويغدر بأهله فينقطع عند شدة الحاجة اليه . يريد ان يقول له : قد امكنتك الفرص فانتهزها وانت متمكن وإياها في خلاء من الناس وفي مأمن منهم .
(٥) هذا مثل اورده الميداني ولسان العرب يضرب في اغتنام الفرصة عند الإمكان .
(٦) ولعل المراد : قد بان لنا امرك ودل على باطنك ظاهرك فصرح بما كان . وأروِد بمعنى ترك وهو الذي يقتضيه سياق الكلام والمراد : ان ظاهر امرك ليدل على باطنه فدع التفسير فلا حاجة اليه .

لأموتَنّ معك ، أفٍّ للدنيا بعدك يا أبا الخطاب ! فقال له عمر : بل عليها بعدك العفاء يا أبا محمد !

قال : فلقي الحارث بن خالد ابن أبي عتيق فقال : قد بلغني ما دار بينك وبين ابن أبي ربيعة ، فكيف لم تتحللا مني (١) ؟ فقال له ابن أبي عتيق : يغفر الله لك يا أبا عمرو ، إن ابن أبي ربيعة يبريءُ القَرَحَ (٢) ويضع الهِناء مواضع النُّقَبِ (٣) ، وأنت جميل الخفض (٤) ، فضحك الحارث ابن خالد . وقال : « حبُّكَ الشيء يُعمي ويُصِمُّ (٥) » فقال : هيهات أنا بالحُسْن عالمٌ نظّار .

فضربته بظاهر كفها :

وأما خبر السواد في ثَنِيَّتَيْ عمر فان الزبير بن بكار ذكره عن عمه مصعب في خبره : ان امرأة غارت عليه فاعترضته بسواك كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودّتا .

وذكر إسحاق الموصلي عن أبي عبد الله (٦) المسيبي وأبي الحسن المدائني : انه أتى الثريا يوماً ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصّل بذكره في في الشعر ، فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروج اليه ، رأت صاحبه فرجعت ، فقال لها : إنه ليس ممّن أحْتَشِمُهُ (٧) ولا أخفي عنه شيئاً ، واستلقى فضحك - وكان النساء إذ ذاك يتختّمن في أصابعهن العشر - فخرجت اليه فضربته بظاهر كفها ، فأصابت الخواتمُ ثنيتيه العُلْييَيْنِ فَنَغَضَتا (٨) وكادتا تسقطان فقدم البصرة فعولجتا له ، فثبتتا

(١) لم تتحللا مني : لم تسألاني ان اجعلكما في حل .
(٢) القرح : جرب شديد يصيب الناقة والبعير .
(٣) النقْب والنقَب : القطع المتفرقة من الجرب ، الواحدة نقبة .
(٤) الخفض : الدعة .
(٥) اي يخفي عنك مساويه ويصمك عن سماع العذل فيه .
(٦) في احدى النسخ : عبيد الله .
(٧) يقال : احتشم منه وعنه بمنى استحى .
(٨) فنغضتا : قلقتا وتحركتا .

واسودتا ؛ فقال الحزين الكناني يعيره بذلك : – وكان عدوه وقد بلغه خبره –

ما بالُ سِنَّيْكَ أم ما بالُ كَسْرِهِما أهكذا كُسِرا في غيرِ ما باسِ
أم نفحةٌ من فتاةٍ كنتَ تألفها أم نالها وسْطَ شَرْبٍ صدمةُ الكاسِ

قال : ولقيه الحزين الكناني يوماً فأنشده هذين البيتين ، فقال له عمر : اذهب اذهب ، ويلك ! فإنك لا تحسن أن تقول .

صوت

ليتَ هنداً أنجزتنا ما تعِدْ وشَفَتْ أنفسَنا مما تَجِدْ
واستبدتْ مرةً واحدةً إنما العاجزُ مَنْ لا يَستبِدْ

لابن سريج في هذا الشعر رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وخفيف رمل في هذه الاصبع وهذا المجرى عن ابن المكي . ولمالك فيه ثقيل اول عن الهشامي . ولمتيم ثاني ثقيل عن ابن المعتز . وذكر احمد بن ابي العلاء عن مخارق ان خفيف الرمل ليحيى المكي صنعه وحكى فيه لحن هذا الصوت :

اسْلمي يا دارُ مِنْ هند

أخزاكما الله :

حدثني علي بن صالح قال حدثني ابو هفان عن إسحاق الموصلي عن رجاله المذكورين :

أن الثريا واعدت عمر بن أبي ربيعة أن تزوره ، فجاءت في الوقت الذي ذكرته ، فصادفت أخاه الحارث قد طرقه (١) وأقام عنده ، ووجه به في حاجة له ونام مكانه وغطى وجهه بثوبه ، فلم يشعر إلا بالثريا قد ألقت نفسها عليه تقبله ، فانتبه وجعل يقول : اعْزُبي عني فلست بالفاسق ،

(١) طرقه : اي جاءه ليلاً .

أخزاكما الله ! فلما علمت بالقصة انصرفت ، ورجع عمر فأخبره الحارث بخبرها ، فاغتم لما فاته منها ، وقال : أما واللهِ لا تَمَسُّكَ النارُ أبداً وقد ألقت نفسها عليك ، فقال له الحارث : عليك وعليها لعنة الله .

وأخبرني بهذه القصة الحرمي بن ابي العلاء عن الزبير بن بكار عن يعقوب بن إسحاق الربعي عن الثقة عنده عن ابن جريج عن عثمان بن حفص الثقفي .

أن الحارثَ بنَ عبد الله زار أخاه ، ثم ذكر نحواً من الذي ذكره إسحاقُ وقال فيه : فبلغ عمر خبرها فجاء الى اخيه الحارث وقال له : جُعلتُ فِداءَك ، مالَكَ ولأمَةِ الوهّاب ؟ أتتْكَ مُسلمةً عليكَ فلعنتها وزجرتها وتهددتها ، وها هي تبك باكيةٌ ؛ فقال : وإنها لَهِيَ ! قال : ومن تراها تكون ؟ قال : فانكسر [١] الحارث عنه وعن لومه .

أيها المنكحُ الثريّا ...

اخبرني علي بن صالح قال حدثني ابو هفان عن إسحق بن ابراهيم عن جعفر بن سعيد عن ابي سعيد مولى فائد ، هكذا قال إسحاق .

واخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن سعيد عن ابي عبيدة بن محمد بن عمار . ورواه ايضاً حماد بن اسحاق عن ابيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه : عن ابي عبيدة العماري ولم يذكر ابا سعيد مولى فائد ، قالوا :

تزوج سُهَيْلُ بن عبد العزيز بن مَرْوانَ الثريا ، وقال الزبير : بل تزوجها ابو الأبيض سُهَيل بن عبد الرحمن بن عوف ، فحملت اليه وهو بمصر ، والصواب قول من قال : سهيل بن عبد العزيز ، لانه كان هناك منزِلهُ ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضعٌ ، فقال عمر :

صوت

أيُّها المُنْكِحُ الثريّا سُهيلاً عَمْرَكَ اللهَ [٢] كيف يلتقيانِ

---

(١) انكسر : انكف وانصرف .

(٢) يريد سألت الله ان يطيل عمرك .

هي شاميّةٌ إذا ما استقلّتْ[١] وسهيلٌ إذا استقلَ يماني[٢]

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لعبد الله بن العباس ثاني ثقيل بالبنصر ، وأول هذه القصيدة :

أيها الطارق الذي قد عناني[٣] بعد ما نام سامرُ الركبانِ
زار من نازحٍ[٤] بغير دليلٍ يتخطّى اليّ حتى أتاني

وذكر الرياشي عن ابن زكريا الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن ابيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال :

كان عمر بن أبي ربيعة قد ألحّ على الثريا بالهوى فشق ذلك على أهلها ثم ان مَسْعَدَةَ بن عمرو أخرج عمر الى اليمن في أمر عرَض لـه ، وتزوجت الثريا وهو غائب ، فبلغه تزويجها وخروجها الى مصر فقال :

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرَكَ الله كيف يلتقيان ؟

وذكر الابيات ، وقال في خبره : ثم حمله الشوق على ان سار الى المدينة فكتب اليها :

كتبتُ اليكِ من بلدي كتابَ مُولَّهٍ كَمِدِ
كئيبٍ[٥] واكفِ العينين بالحسراتِ منفردِ

---

(١) استقلت : ارتفعت .

(٢) بين الثريا وسهيل تورية لطيفة فان الثريا يحتمل المرأة المذكورة وهي المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ، ويحتمل ثريا السماء وهي المعنى القريب المورى به . وسهيل يحتمل الرجل المذكور وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ، ويحتمل النجم المعروف بسهيل ، فتمكن الشاعر ان ورى بالنجمين عن الشخصين ليبلغ من الانكار على من جمع بينهما ما أراد ، وهذه أحسن تورية وقعت في شعر المتقدمين ، وقد كانت الثريا مشهورة في زمانها بالحسن والجمال وكان سهيل قبيح المنظر وهذا مراده بقوله :

عمرك الله كيف يلتقيان

أي كيف يلتقيان مع تفاوت ما بينهما في الحسن والقبح .

(٣) عناني : قصدني .

(٤) من نازح : من مكان بعيد .

(٥) يقال : وكفت العين : سالت دموعها .

يؤرِّقُه لهيبُ الشو ... قِ بين السَّحْرِ (١) والكبدِ
فيُمْسِكُ قلبه بيدٍ ... ويَمْسَحُ عينَهُ بيدِ

وكتبه في قوهيّةٍ (٢) وشنفه (٣) وحسَّنه وبعث به اليها فلما قرأته بكت بكاءً شديداً ثم تمثلت :

بنفسيَ مَنْ لا يستقلُّ بنفسِهِ ... ومَنْ هو إن لم يحفَظِ اللهُ ضائعُ

وكتبت اليه تقول :

أتاني كتابٌ لم يَرَ الناس مثلَه ... أُمِدَّ (٤) بكافورٍ ومِسكٍ وعنبرِ
وقِرطاسُه قُوهِيَّةٌ ورِباطُه ... بعقدٍ من الياقوت صافٍ وجوهرِ
وفي صدرِه منّي إليكِ تحيّةٌ ... لقد طال تهيامي بكم وتذكُّري
وعنوانُه مِنْ مُسْتَهامٍ فؤادُه ... الى هائمٍ صَبٍّ من الحزن مُسعَرِ

قال مؤلف هذا الكتاب : وهذا الخبر عندي مصنوعٌ ، وشعره مُضَعَّفٌ يدل على ذلك ، ولكني ذكرته كما وقع إليّ .

قال ابو سعيد مولى فائد ومن ذكر خبره مع الثريا : فمات عنها سهيل أو طلقها ، فخرجت الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق في دين عليها ، فبينا هي عند أمّ البنينَ بنت عبدالعزيز بن مروان ، إذ دخل عليها الوليد فقال : مَنْ هذه ؟ فقالت : الثريا جاءتني تطلب (٥) اليك في قضاء دين عليها وحوائجَ لها ، فأقبل عليها الوليد فقال : أتروينَ من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت : نعم ، أما إنه يرحمه الله كان

---

(١) السحر : الرئة .

(٢) يقال ثوب قوهي: منسوب الى قوهستان وهي كورة من كور فارس بين نيسابور وهراة وقصبتها قاين وهو ثوب ابيض ، وكل ثوب يشبهه يقال له قوهي وإن لم يكن منها .

(٣) وردت هذه الكلمة على عدة وجوه ومعنى شنف المرأة البسها الشنف وهو الذي يلبس في اعلى الأذن وهو القرط فيكون المراد انه حسن الكتاب كما تحسن المرأة بلبس الشنف .

(٤) اي جعل مداده من هذه الاخلاط الثلاثة .

(٥) المراد جاءتني ترغب اليك في قضاء دين عليها وحوائج لها .

عفيفاً عفيفَ الشعرِ ، أروي قوله :

صوت

ما على الرَّسْمِ «بالبُلَيَّيْنِ» لو بيَّن رَجْعَ السَّلام [١] أو لو أجابا
فإلى قَصْرِ «ذي العُشَيْرة» [٢] فالصَّا ئِفِ [٣] أمسى من الأنيس يَبابا [٤]
وبما قد أرى به حَيَّ صِدْقٍ [٥] ظاهريَ [٦] العيشِ نعمةً وشبابا
إذ فؤادي يَهوى الرَّبابَ وأنَّى [٧] الدَّهرَ حتى المماتِ أنسى الرَّبابا
وحِساناً جَوارِياً خَفِراتٍ حافظاتٍ عند الهوى الأحسابا
لا يُكثِّرْنَ في الحديثِ ولا يتبعن يَنْعِقْنَ [٨] بالبِهامِ [٩] الظِّرابا [١٠]

(١) في ديوانه : « التسليم » .

(٢) قال الأزهري : هو موضع بالصمان معروف نسب الى عشرة نابتة فيه ، والعشر : من كبار الشجر وله صمغ حلو يسمى العشر ، وغزا النبي صلى الله عليه وسلم ذا العشيرة وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة . وقال ابو زيد : حصن صغير بين ينبع وذي المروة يفضل تمره على سائر تمور الحجاز إلا الصيحاني بخيبر والبردي والعجوة بالمدينة .

(٣) الصائف كما في ياقوت : من نواحي المدينة . وفي ديوانه : « الصالف » باللام ، وهو كما في ياقوت جبل بين مكة والمدينـــة . وفي اللسان : « وفي حديث ضميرة قال : يا رسول الله إني احالف ما دام الصالفان مكانه قال : « بل ما دام احد مكانه » قيل : الصالف جبل كان يتحالف اهل الجاهلية عنده » .

(٤) يبابا : خرابا .

(٥) يريد انه حي جامع لصفات الخير .

(٦) يريد ان اثر النعمة ظاهر فيهم . وفي ديوانه « كامل » بالإفراد .

(٧) في ديوانه المطبوع بليبزج :

« .. .. ويأبى الدهر حتى الممات ينسى الربابا »

(٨) النعيق : دعاء الراعي الشاء ، يقال : نعق الراعي بالغنم ينعق نعقاً ونعاقاً ونعيقاً ونعقاناً : صاح بها وزجرها ، يكون ذلك في الضأن والمعز .

(٩) البهام : جمع بهمة وهي الصغير من اولاد الغنم: الضأن والمعز والبقر من الوحش وغيرها، الذكر والأنثى في ذلك سواء .

(١٠) الظراب : الروابي الصغار واحدها ظرب. يريد انها ليست من الرعاة للغنم.

تثبت القصيدة كما هي في ديوانه لاختلاف ترتيب الأبيات في الأصول عما في الديوان ، وهي بعد

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه ، فلما خلا الوليد بأم البنين قال لها : لله دَرُّ الثريا ! أتدرين ما ارادت بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمرَ ؟ قالت : لا ، قال : اني لما عرّضتُ لي بان أمي أعرابية[(١)] وأم الوليد وسليمان ولادة بنت العباس بن جزيّ بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسي :

الغناء في الأبيات التي انشدتها الثريا الوليد بن عبد الملك لمالك بن ابي السمح خفيف ثقيل باطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيها لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البنصر . وفيها لابراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن اسحاق . وذكر حبش ايضاً ان فيها لابن مسجح خفيف رمل بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة ان لابن محرز فيها خفيف ثقيل بالوسطى .

ومما يغنى فيه أشعار بن ابي ربيعة التي قالها في الثريا من القصيدة التي أولها « من رسولي » :

البيتين الأولين .

موحشاً بعد ما اراه انيسا من اناس يبنون فيه القبابا
اصبح الربع قد تغير منهم واجالت به الرياح الترابا
فتعفى من الرباب فأمسى القلب في إثرها عميداً مصابا
وبما قد اوى به حي صدق كامل العيش نعمة وشبابا
وحساناً جوارياً خفرات حافظات عند الهوى الأحسابا
لا يكثرن في الحديث ولا يتبعن ينعقن بالبهام الظرابا
طيبات الأردان والنشر عيناً كمها الرمــل بدنا اترابا
إذ فؤادي يهوى الرباب ويأبى الدهر حتى المات ينسى الربابا
ضربت دوني الحجاب وقالت في خفاء فما عيت جوابا
قد تنكرت للصديق واظهر ت لنا اليوم هجرة واجتنابا
قلت لا بل عداك واش فأصبحت نواراً ما تقبلين عتابا

(١) الاعرابي : واحد الأعراب وهم سكان البادية ينجعون الكلأ ويتتبعون مساقط الغيث سواء ا كانوا من العرب ام من مواليهم ، واما العربي فهو خلاف العجمي سواء ا كان من سكان البادية ام الحاضرة . والاعرابي إذا قيل له : يا عربي فرح لذلك وهش له ، والعربي إذا قيل له : يا اعرابي غضب له .

صوت

وتبدَّتْ حتى إذا جُنَّ قلبي ... حالَ دوني ولائدٌ(١) بالثيابِ(٢)
يا خليليَّ فاعلَما أن قلبي ... مستهامٌ بربَّةِ المِحْرابِ(٣)

الغناء لابن سُرَيْجٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. ومنها:

صوت

اقتُليه قتلًا سريعاً(٤) مُريحاً ... لا تكوني عليَّ سَوْطَ عذابِ(٥)
شفَّ عنها مُحقَّقٌ(٦) جَنَدِيٌّ(٧) ... فهي كالشمسِ من خلالِ السَّحابِ

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. ومنها:

---

(١) الولائد هنا: الاماء واحدتها وليدة.

(٢) في ديوانه:

فتراءت حتى إذا جن قلبي ... سترتها ولائد بالثياب

(٣) المحراب: الغرفة قال وضاح اليمن:

ربة محراب إذا جئتها ... لم القها او ارتقي سلما

والغرفة لا تكون في الطبقة الاولى من الدار بل فيا بعد.

(٤) مريحاً: سريعاً.

(٥) في ديوانه:

اقتليه قتلاً سريحاً مريحاً ... لا تكوني عليه سوط عذاب

(٦) محقق: ثوب عليه وشي على صورة الحقق كما يقال: ثوب مرحل: عليه تصاوير رحل، وثوب مرجل: عليه تصاوير رجل وثوب ممرجل: فيه صور المراجل. او هو الثوب المحكم النسيج، قال الشاعر:

تسربل جلد وجه ابيك انا ... كفيناك المحققة الرقاقا

(٧) جندي: نسبة الى الجند وهو احد مخاليف اليمن.

صوت

قـال لي صـاحبي ليَعلم بي أتُحِبُّ البَتولَ أختَ الرَّبابِ
قلتُ وَجْدي بها كوَجدِكَ بالما ءِ إذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرابِ

الغناء لمالك رَمَلٌ مُطلَقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها :

صوت

أذْكَرَتْني من بَهجةِ الشمسِ لمّا بَرَزَتْ من دُجُنَّةٍ وسَحـابِ
أزْهَقَتْ أمُّ نوفَلٍ إذ دعتهـا مُهجَتي ، ما لقاتلي مِنْ مَتابِ
حين قالت لهـا أجيبي فقالتْ مَنْ دعاني ، قالت أبو الخَطّابِ

الغناء للغريض خفيف رمل عن الهشامي وحمّاد بن إسحاق .

ومنهـا :

صوت

مَرحَبـاً ثم مرحبـاً بالتي قا لتْ غَداةَ الوَداعِ عند الرَّحيلِ
للثُّرَيّا قُولي لـه أنتَ هَمّي ومُنى النفسِ خاليـاً وخليـلي

الغناء لابن محرز ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

ومنهـا :

صوت

زَعموا بأن البَينَ بعدَ غدٍ فالقلب مما أزْمَعوا يَجِفُ[١]
تَشكو وأشكو ما أجدُّ بنا كلٌ لِوَشْك[٢] البينِ يعترف[٣]
حَلَفوا لقد قَطَعوا بَبينِهِم وحلَفْتُ ألفاً مثل ما حلفوا

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى .

ومنهـا :

صوت

فلوت رأسهـا ضِراراً وقالتْ لا وعَيْشي ولو رأيتُك مُتّا
حِينَ آثرْتَ بالمودّة غيري وتناسيت وَصْلنا ومَلِلتا
فوَجَدْناكَ إذ خَبَرْنا مَلولاً طَرِفاً[٤] لم تكن كما كنتَ قُلتا

الغناء لمالك رمل ثقيل اول بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي ، وكذا رواه دنانير عن فليح ، وقد نسب قوم لحن مالك الى الغريض .

ومنهـا :

صوت

يا خليليّ سائلا الأطـلالا وَمحلّاً بالرَّوْضَتَيْنِ أحالا

(١) وجف القلب : خفق واضطرب .
(٢) وشك البين : قربه .
(٣) يعترف : يصطبر . يقال : عرف للأمر واعترف : صبر .
(٤) الطرف : من لا يثبت على امرأة ولا صاحب .

Aghani vol 1 part 3+4

الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

اشرف على مراجعته وطبعه

العلامة الشيخ عبد الله العلايلي

موسى سليمان ، احمد أبو سعد

المجلد الاول - القسم ٣-٤

منشورات دار الثقافة ودار مكتبة الأندلس

ويُروَى :

بالبُلَيَّيْنِ إن أحَرْنَ [١] سُؤالا

وسَفاهٌ لولا الصَّبابَةُ حبْسِي في رُسُومِ الدِّيارِ رَكْباً عِجالا

بعدَ ما أقْفَرتْ مِنَ آلِ الثريّا وأجدَّتْ فيها النِّعاجُ ظِلالا

الغناء لابن سريج هزج خفيف مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحكم الوادي ثقيل اول من جامع اغانيه . وذكر ابن دينار ان فيه لابن عائشة لحناً لم يذكر طريقته . وذكر إبراهيم ان فيه لدحمان لحناً ولم يجنسه . وقال حبش : فيه لاسحاق ثقيل اول بالوسطى .

عمر والثريا :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا ابو عبد الله التميمي عن القحذمي عن ابي صالح السعدي قال :

لما تزوج سهيل بن عبد العزيز الثريا ونقلها الى الشام ، بلغ عمر بن أبي ربيعة الخبر ، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله ، فوجدها قد رحلت منه يومئذ ، فخرج في أثرِها فلحقها على مرحلتين ، وكانت قبل ذلك مُهاجِرَتَه لأمر أنكرتْه عليه ، فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشى متنكراً حتى مرَّ بالخيمة ، فعرفته الثريا وأثْبتتْ [٢] حركته ومشيته ، فقالت لحاضنتها [٣] : كلميه ، فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه ، فاعتذر وبكى ، فبكت الثريا ، فقالت : ليس هذا وقت العتاب مع وَشْك الرحيل ، فحادثها الى وقت طلوع الفجر ثم ودعها وبكيا طويلاً ، وقام فركب فرسه ووقف ينظر اليهم وهم يرحلون [٤] ، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا ، وأنشأ يقول :

(١) يقال حاورته : راجعته الكلام ، والتحاور : التجاوب ، وكلمته فما احار الي جواباً اي ما رد جواباً ، وكلمته فما احار سؤالا مثله ، قال الأخطل :

هلا ربعت فتسأل الأطلالا ولقد سألت فما احرن سؤالا

(٢) اثبتت حركته ومشيته : أي عرفتها حق المعرفة .
(٣) لحاضنتها : لمربيتها .
(٤) يرحلون : يشدون على إبلهم الرحال .

يا صاحبيَّ قفا نستخبرِ الطَّلَلا عن حالِ[١] مَن حلَّه بالأمس ما فعلا

فقال لي الرَّبعُ لمـا أن وقفتُ بـه
إنَّ الخليطَ أجدَّ[٢] البَينَ فاحتملا[٣]

وخادعتك النَّوى[٤] حتى رأيتهـمُ
في الفجرِ يحتثُّ[٥] حادي عيسهم زَجِلا[٦]

لما وقفنـا نحييهم وقد صرخت
هواتفُ البينِ واستولت بهم أُصُلا[٧]

صدَّت بعاداً وقالت للتي معها بالله لوميه في بعضِ الذي فعلا

وحدّثيه بما حُدِّثتِ واستمعي ماذا يقول ولا تعيَي به[٨] جدلا

حتى يرى أنَّ ما قال الوُشاةُ له فينا لديه إلينـا ، كلُّه نُقِلا

وعرِّفيه به كالهزلِ واحتفظي في بعضِ معتبةٍ أن تُغضبي الرجُلا

فإنَّ عهدي به ، واللهُ يحفظه ، وإن أتى الذنبَ ممن يكره العذلا

لو عندنا اغتيبَ أو نيلت نقيصتُه ما آبَ مغتابُه من عندِنا جذِلا

قلتُ اسمعي فلقد أبلغتِ في لطفٍ[٩]
وليس يخفى على ذي اللبِّ من هزلا

هذا أرادتْ به بُخلاً لأعذرَها وقد أرى أنها لن تعدَم العِلَلا

ما سُمِّي القلبُ إلاَّ من تقلُّبِه ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلا[١٠]

---

(١) في ديوانه : « عن بعض » .
(٢) أجد البين : اعتزمه .
(٣) احتمل : ارتحل .
(٤) النوى : الفراق والبعد .
(٥) يحتث : يسوق .
(٦) زجلا : رافعاً صوته في حداء الابل لتسرع في السير ، وأصل الزجل الجلبة ورفع الصوت وخص به التطريب .
(٧) الاصل : جمع أصيل وهي العشي وقيل هو مفرده .
(٨) لا تعيي به جدلا : لا تعجزي في مجادلته .
(٩) اللطف لغة في اللطف .
(١٠) التفؤد : التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب . لان عقل الفؤاد المعلومات نتيجة اشتغاله وتوقده وتحركه وجولته فيها حتى يمحصها ويميز الصحيح من الفاسد والحق من الباطل .

أما الحديث الذي قالت أُتيتَ به فما عَبَأْتُ به إذ جاءني حِوَلا (١)
ما إن أطعتُ بها بالغَيْبِ قد عَلِمتْ
مقالةَ الكاشح الواشي إذا مَحَلا (٢)
إني لأَزْجعه فيها بسَخْطَته وقد يَرَى أنه قد غرّني زللا (٣)

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره .

وفاة الثريا

أخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر ومحمد بن خلف بن المرزبان قالوا : حدثنا عمر بن شبة قال اخبرنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال حدثني كثير بن كثير السهمي قال :

لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي : قل أبيات شعرٍ أَنُحْ بها على الثريا فقلت :

صوت

ألا يا عينُ مالكِ تدْمَعينا أمِن رَمَدٍ بكَيْتِ فتكْحَلينا
أمَ أنت حَزينةٌ تبْكينَ شَجْواً فشَجْوُكِ مثلُه أبْكَى العيونا

غنى الغريض في هذين البيتين لحناً من خفيف الثقيل الاول بالوسطى عن عمرو ويحيى المكي والهشامي وغيرهم .

وفاة عمر

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن ابي عبد الله عن ابيه عن جده عن ثعلبة بن عبد الله بن صعير :

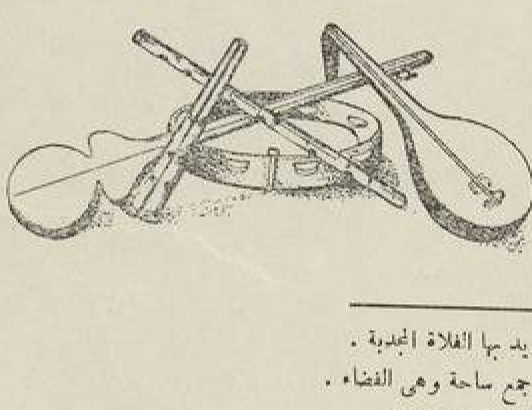
---

(١) كذا في ديوانه والحول : الحيلة يريد ان الحديث الذي اوصله إليّ الوشاة لم أعبأ به لانه ليس إلا حيلة لصرف القلب عن حبها . وفي بعض النسخ : « تبلا » .
(٢) يقال محل به يمحل عند السلطان او ذي جاه : كاده وسعى به عنده .
(٣) أي يرى انه قد اوقعني في الخطيئة والزلل .

أن عمر بن أبي ربيعة نظر في الطّواف الى امرأة شريفة فرأى أحسن خلق الله صورة ، فذهب عقله عليها وكلمها فلم تجبه ؛ فقال فيها :

الرّيحُ تَسْحَبُ أذيالاً وتنشُرها ... يا ليتني كنتُ ممّن تَسحبُ الريحُ
كيما تجرُّ بنا ذيلاً فتطرحَنا ... على التي دونَها مُغبرَّةٌ(١) سُوحُ(٢)
أنّى بقربِكمُ أم كيفَ لي بكمُ ... هيهاتَ ذلكَ ما أمسَتْ لنا رُوحُ
فليتَ ضِعفَ الذي ألقى يكونُ بها ... بل ليتَ ضِعفَ الذي ألقى تباريحُ(٣)
إحدى بُنيّاتِ عمّي دونَ منزلها ... أرضٌ بقيعانها القَيْصومُ(٤) والشّيحُ

فبلغها شعره فجزعت منه ، فقيل لها : اذكريه لزوجك فإنه سينكر عليه قوله ، فقالت : كلا والله لا أشكوه إلا الى الله ، ثم قالت : اللهم إن كان نوّه باسمي ظالماً فاجعله طعامــاً للريح ، فضرب الدهر من ضَرْبه(٥) ، ثم إنه غدا يوماً على فرس فهبت ريح فنزل فاستتر بسلمة(٦) ، فعصفت الريح فخدشه غصن منها فدمي وورم به ومات من ذلك .



(١) مغبرة يريد بها الفلاة المجدبة .
(٢) سوح : جمع ساحة وهي الفضاء .
(٣) تباريح الشوق : توهجه .
(٤) قال في اللسان : القيصوم : ما طال من العشب ، ثم قال : والقيصوم من نبات السهل قال ابو حنيفة : القيصوم من الذكور ومن الأمرار وهو طيب الرائحة من رياحين البر وورقه هدب وله نورة صفراء وهي تنهض على ساق وتطول .
(٥) يقال : ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه اي أحدث حوادثه وضرب الدهر من ضربه اي مر من مروره وذهب بعضه ، والمراد انه مرت مدة من الدهر وقع فيها بعض حوادثه .
(٦) السلمة : واحدة السلم وهو شجر من العضاه وورقها القرظ الذي يدبغ به الأديم .

أخبار ابن سريج ونسبه

نسبه وأوصافه :

هو عُبَيد [١] بن سُرَيج ، ويُكنى أبا يحيي مولى بني نوفل بن عبد مناف . وذكر ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين أنه مولى لبني الحارث ابن عبد المطلب .

وأخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى ابو غسان قال : ابن سريج مولى لبني ليث ومنزله مكة .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن ابيه قال : سألت الحسن بن عُتْبَةَ اللهبي عن ابن سريج فقال : هو مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وفي بني عائذ يقول الشاعر :

وإن تَصلُحْ فإنكَ عائذيٌّ وصُلحُ العائذيِّ إلى فَسادِ

قال إسحاق : وقال سَلَمَةُ بن نوفل بن عُمارَةَ : ابن سريج مولى عبد الرحمن بن ابي حُسين بن الحارث بن نوفل ، او ابن عامر بن الحارث ابن نوفل بن عبد مناف .

أخبرني احمد بن عبد العزيز عن ابي ايوب المديني قال : ذكر ابراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص :

أن بن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدم سِناطاً [٢] في عينيه قَبلٌ [٣]

(١) في بعض النسخ : عبيدالله .
(٢) السناط : الذي لا لحية له او الخفيف العارض أو من لحيته بالذقن وليس بالعارضين شيء .
(٣) القبل في العين : اقبال احدى الحدقتين على الاخرى .

بلغ خمساً وثمانين سنة ، وصَلِعَ فكان يلبس جُمَّةً (١) مركَّبة ، وكان أكثر ما يُرَى مقنَّعا (٢) ، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر .

وقال ابن الكلبي عن أبيه قال : كان ابن سريج مخنثاً أحول أعمش يُلقَّب « وجه الباب » ، وصَلِع فكان يلبس جُمَّة ؛ وكان لا يغني إلا مقنَّعا يُسْبِلُ القناع على وجهه .

وقال ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين : كان ابنُ سُرَيج أحسنَ الناس غناءً وكان يُغني مُرتجلاً ويُوقِّع بقضيبٍ ، وغنى في زمن عثمان ابن عفان ، رضي الله عنه ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك .

قال إسحاق : وكان الحسن بن عتبة اللهبي يروي مثل ذلك فيه ، وذكر ان قبره بنخلة (٣) قريباً من بستان ابن عامر (٤) .

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال : كان عبيد بن سريج من أهل مكة وكان أحسن الناس غناءً . قال إسحاق قال عُمارَةُ بن أبي طَرَفَة الهذلي : سمعت ابن جُرَيْج يقول : عبيد بن سريج من أهل مكة مولى آل خالد ابن أسِيدٍ .

قال إسحاق وحدثني ابراهيم بن زياد عن أيوب بن سلمة المخزومي قال : كان في عين ابن سريج قَبَلٌ حلوٌ لا يبلغ ان يكون حَولا ، وغنى في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد ، وكان له صَلَعٌ في جبهته ، وكان يلبَس جُمَّة مركبة فيكون فيها أحسنَ شيء ، وكان يُلقَّب « وجه الباب » ولا يغضب من ذلك ، وكان أبوه تركياً .

وقال أبو أيوب المديني : كان ابن سريج فيما روينا عن جماعة من

---

(١) الجمة : مجتمع شعر الرأس ، والمراد أنه كان يلبس شعراً مصطنعاً . وفي بعض النسخ « كمة » والكمة : القلنسوة المدورة .

(٢) مقنعاً : لابساً القناع وهو ما يوضع على الرأس .

(٣) المراد بها نخلة اليانية وهي واد يصب فيه بدعان وبه مسجد لرسول الله — صلى الله عليه وسلم وبه عسكرت هوازن يوم حنين .

(٤) بستان ابن عامر : هو مجتمع النخلتين ، وكذلك يسميه العامة ، والصواب فيه بستان ابن معمر ، لأنه كان لعمر بن عبيد الله بن معمر .

المكيين مولى بني جندع بن ليث بن بكر ، وكان إذا غنى سدل قناعه على وجهه حتى لا يرى حوله ، وكان يُوقّع بقضيبٍ ، وقيل : إنه كان يضرب بالعود ، وكانت عِلَّتُه التي مات منها الجُذامَ .

أول من ضرب بالعود

قال إسحاق وحدثني أبي قال : أخبرني من رای عود ابن سريج وكان على صَنْعةِ عيدان الفرس ، وكان ابن سريج اول من ضرب به على الغناء العربي بمكة ، وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم ، فقال ابن سريج : انا أضرب به على غنائي ، فضرب به فكان احذق الناس .

قال إسحاق وذكر الزبيري : أن أم ابن سريج مولاة لآل المُطلِب يقال لها « رائقة » وقيل : بل أمُّه هند أخت رائقة ، فمِنْ ثَمَّ قيل : انه مولى بني المطلب بن حنطب . وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع الى الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب أحد بني مخزوم ، وكان من سادة قريش ووجوهها . وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مِسْجَحٍ .

أقطاب الغناء :

قال إسحاق : وأصل الغناء أربعة نفر : مكيّان ومدنيّان ، فالمكيّان : ابن سريج وابن محرز . والمدنيان : معبد ومالك .

أول شهرته :

قال إسحاق وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : أخبرني بذلك من شِئْتَ من مشيختنا : أن يوماً شُهِرَ فيه ابن سريج بالغناء في خِتانِ ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين . قال لأم الغلام : خَفِّضي عليك بعض الغُرْم والكلفة ، فوالله لأُلْهِيَنَّ نساءك حتى لا يدرين ما جئت به ولا ما عزمتِ عليه .

شهادة فيه :

قال إسحاق : وسألت هشام بن المُرِّيَّة ، وكان قد عُمِّر ، وكان عالماً بالغناء فلا يُبارى فيه ، فقلت له : من أحذق الناس بالغناء ؟ فقال لي : أتحب الاطالة أم الاختصار ؟ فقلت : أحب الاختصار الذي يأتي على سؤالي ، قال : ما خلق الله تعالى بعد داود النبي ، عليه الصلاة والسلام ، أحسن صوتاً من ابن سريج ، ولا صاغ الله عز وجل أحداً أحذق منه بالغناء ، ويدلك على ذلك أن معبداً كان إذا أعجبه غناؤه قال : أنا اليوم سريجي .

خلق من كل قلب :

قال وأخبرني إبراهيم – يعني أباه – قال : أدركت يونس بن محمد الكاتب فحدثني عن الأربعة : ابن سريج وابن محرز والغريض ومعبد ، فقلت له : من أحسن الناس غناء ؟ فقال : أبو يحيى ، قلت : عبيد بن سريج ؟ قال : نعم ، قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إن شئت فسرت لك ، وإن شئت أجملت ، قلت : أجْمِلْ ، قال : كأنه خُلِقَ من كل قلب ، فهو يغني لكل إنسان ما يشتهي .

شهادة إبراهيم الموصلي :

أخبرني احمد بن جعفر جحظة قال قال حماد بن إسحاق : اخبرني ابي عن الفضل ابن يحيى بن خالد بن برمك قال : سألت إبراهيم الموصلي ليلة وقد أخذ منه النبيذ : من أحسن الناس غناء ؟ فقال لي : من الرجال أم من النساء؟ فقلت : من الرجال ، فقال : ابن محرز ، قلت : ومن النساء ؟ قال : ابن سريج ، ثم قال لي : إن كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي ! .

شهادة إسحاق الموصلي :

أخبرني جحظة قال : حدثني علي بن يحيى المنجم قال : أرسلني محمد بن

الحسين بن مصعب الى إسحاق أسأله عن لحنه ولحن ابن سريج في :

تَشكّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه

أيهما أحسن ؟ فصرت إليه فسألته عن ذلك ، فقال لي : يا أبا الحسن ، والله لقد أخذت بخِطام راحلته فذَعَرْتُها [١] وأنختها وقمت بهـــا فما بلغْتُه [٢] ، فرجعت الى محمد بن الحسين فأخبرته ، فقال : والله إنه ليعلم أن لحنه أحسن من لحن ابن سريج ، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه ، ولكن لا يَدَعُ تعصبه للقدماء . وقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى هذا الخبر عن أبيه ، فذكر نحو ما ذكره جحظة في خبره ولم يقل : أرسلني محمد بن الحسين الى إسحاق . وقال جحظة في خبره : قال علي بن يحيى : وقد صدق محمد بن الحسين لأنه قَلّما غُنّيَ في صوت واحد لحنان فسقط خيرهما ، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحن إسحاق ، وقـــد ترك لحن ابن سريج فقَلَّ من يسمعه إلا من العجائز المتقدمات ومشايخ المغنين . هذا او نحوه .

لحن الابجر :

واخبرني يحيى بن علي قال حدثنا ابو أيوب المديني عن ابراهـــيم بن علي بن هشام قال : يقولون : ان ابتداء غناء إسحاق الذي في :

* تشكى الكُمَيتُ الجري لما جَهَدْتُه *

إنما أخذه من صوت الابجر :

* يقولون ما أبكاكَ [٣] والمالُ غامِرٌ [٤] *

---

(١) معناه سقتها سوقاً عنيفاً . الذعر : الخوف ، والمراد أني حثثتها وأخفتها فسارت سيراً شديداً .

(٢) يكنى بذلك عن أنه لم يبلغ شأوه في صنعة الغناء .

(٣) وفي بعض النسخ : « أبلاك » اي ما الذي اصابك بهذا الشر وأوقعك في هذا البلاء .

(٤) غامر : كثير ، وأصله من غمره الماء اذا غطاه .

نسبة هذا الصوت

صوت

يقولون ما أبكاكَ والمـالُ غامرٌ
عليكَ وضاحي (١) الجلدِ منكَ كَنينُ (٢)
فقلتُ لهـم لا تسألوني وانظُروا
إلى الطَّرب النَّزّاعِ (٣) كيفَ يكون

غنّاه الأبجرُ ثقيلاً أوّلَ بالبِنصَر عن عمرٍو ودنانيرَ . وذكر الهشامي أن فيه لعزّةَ المرزُوقيّة ثاني ثقيل بالوسطى .

مولده واشتغاله بالغناء :

اخبرني رضوان بن احمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن ابراهيم قال حدثني ابراهيم ابن المهدي قال حدثني اسماعيل بن جامع عن سياط قال :

كان ابن سريج أول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طُوَيْسٍ ، وكان مولده في خلافة عمر بن الخطاب ، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه ، ومات في خلافة هشام . قال : وكان قبل ان يُغنّي نائحاً ولم يكن مذكوراً ، حتى ورد الخبر مكة بما فعله مُسْرِفُ (٤) بن عُقبةَ بالمدينة ، فعَلا على أبي قُبَيسٍ وناح بشعر هو اليوم داخل في أغانيه ، وهو :

(١) ضاحي الجلد : عاريه الذي يتعرض للشمس .
(٢) كنين : مكنون مستور .
(٣) يقال : نزعت نفسه الى الشيء نزاعا ونزوعا : حنّ اليه واشتاق .
(٤) هو لقب مسلم بن عقبة المرّي صاحب وقعة الحرّة الذي وجهه يزيد بن معاوية في جيش عظيم لقتال ابن الزبير بالمدينة فقاتل اهلها وهزمهم وأباح المدينة ثلاثة ايام ، وقد لقب مسرفاً لأنه أسرف في القتل في هذه الوقعة .

يا عينُ جودي بالدُّموع السِّفاح(١) وابكي على قتلى قُرَيْشِ البِطاح(٢)

فاستحسن الناسُ ذلك منه وكان اول ما ندب به .

قال ابن جامع : وحدثني جماعة من شيوخ أهل مكة أنهم حدَّثوا : ان سُكَيْنة بنت الحسين ، عليهما السلام ، بعثت الى ابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحناً يُناح به ، فصاغ فيه ، وهو الآن داخلٌ في غنائه والشعر :

يا أرضُ وَيحكِ أكرِمِي أمواتِي
فلقد ظَفِرْتِ بسادتِي وحماتِي

فقدمه ذلك عند أهل الحرَمَيْن على جميع ناحَةِ مكة والمدينة والطائف.

قال وحدثني ابن جامع وابن أبي الكنّاتِ جميعاً : ان سكينة بعثت اليه بمملوكٍ لها يقال له عبد الملك ، وأمرته ان يعلمه النّياحةَ ، فلم يزل يعلمه مدة طويلة ، ثم توفي عمها ابو القاسم محمد بن الحَنَفِيّة عليه السلام ، وكان ابن سريج عليلاً عِلّةً صعبة فلم يقدر على النياحة ، فقال لها عبدها عبد الملك : أنا أنوحُ لكِ نَوْحاً أنسيك به نوح ابن سريج ، قالت : أوَتُحسِنُ ذاك ؟ قال : نعمْ ، فأمرته فناح فكان نَوحُهُ في الغاية من الجودة ، وقال النساء : هذا نَوحٌ غَرِيضٌ ، فلُقِّب عبد الملك الغريض . وافاق ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية ، فقال لهم : فمن ناح عليه ؟ قالوا : عبد الملك غلامُ سُكينة ، قال : فهل جوّز الناسُ(٣) نوحَه : قالوا : نعمْ وقدّمه بعضهم عليك ، فحلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوح وعدَل الى

(١) السفاح : لعله جمع سافح او سفوح ، يقال : سفح الدمعَ : أرسله ، وسفح الدمعُ : انصب.

(٢) البطاح : جمع بطحاء ، والبطحاء : مسيل فيه دقاق الحصى . وقريش البطاح كما قال ابن الاعرابي : الذين ينزلون الشعب بين اخشبي مكة ، وقريش الظواهر : الذين ينزلون خارج الشعب، وأكرمها قريش البطاح .

(٣) أي أساغوا له ذلك وأرتضوه .

الغناء فلم يَنُحْ حتى ماتت حَبابَة ، وكانت اخذت عنه وأحسنت اليه فناح عليها ، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك ، ثم لم يَنُحْ بعدَه حتى هلك . قال : ولما عدل ابن سريج عن النوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه ، فكان لا يغني صوتاً إلا عارضه فيه .

ابن سريج وعطاء ابن أبي رباح :

أخبرني رضوان بن احمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن ابراهيم قال :

حدث إسحاق بن ابراهيم الموصلي أبا اسحاق إبراهيم بن المهدي وأنا حاضرٌ أن يحيى المكي حدثه ان عطاء بن ابي رباح لَقِيَ ابن سريج بذي طُوى (١) ، وعليه ثيابٌ مُصبَّغة وفي يده جَرَادَةٌ مشدودةُ الرجل بخيط يُطَيِّرها ويجذبها به كلما تخلفت ، فقال له عطاء : يا فَتَّانُ ، ألا تَكُفُّ عما أنت عليه ! كفى الله الناس مؤونتك ، فقال ابن سريج وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي ؟ فقال له : تفتنهم أغانيك الخبيثة ، فقال له ابن سريج : سألتك بحق من تَبِعْتَه من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وبحق رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – عليك ، إلا ما سمعتَ مني بيتاً من الشعر ، فإن سمعت مُنْكَرا أمرتني بالامساك عما أنا عليه ، وأنا أقسم بالله وبحق هذه البَنِيَّة لئن أمرتني بعد استماعك مني بالامساك عما أنا عليه لأفعلنَّ ذلك ، فأطمع ذلك ابن عطاء في ابن سريج ، وقال : قُلْ ، فاندفع يغني بشعر جرير :

صوت

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا وَشَلاً (٢) بعينِكَ لا يزال مَعِينا (٣)
غَيَّضْنَ (٤) من عَبَراتهنّ وقُلْنَ لي ماذا لقِيتَ من الهوى ولقِينا

(١) ذو طوى : موضع عند مكة .
(٢) الوشل : الماء والدمع القليل والكثير ، والمراد هنا الدمع الكثير .
(٣) المعين : الجاري السائل على وجه الأرض .
(٤) غيضن من عبراتهن : أرسلن دموعهن حتى نزفنها .

– لحن ابن سريج هذا ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكي والهشامي ، وله ايضاً فيه رمل ولإسحاق فيه رمل آخر بالوسطى . وفيه هزج بالوسطى ينسب الى ابن سريج والغريض – .

قال : فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أرْيَحِيَّةٌ ، فحلف ألاّ يكلم أحداً بقية يومه إلا بهذا الشعر ، وسار الى مكانه من المسجد الحرام ، فكان كل من يأتيه سائلاً عن حلال أو حرام أو خبر من الاخبار ، لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى وينشد هذا الشعر حتى صَلّى المغرب ، ولم يعـــاودِ ابن سريج بعد هذا ولا تعرّض له .

ابن سريج ويزيد :

اخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن ابيه واخبرني الحسن بن علي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني إسحاق عن ابن جامع عن سياط عن يونس الكاتب قال :

لما قال عمر بن ابي ربيعة :

نظرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنًى ولي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ(١)

غنى فيه ابن سريج .

قال : وحجّ يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس ، وخرج عمر بن ابي ربيعـــة ومعه ابن سريج على نَجِيبين ، ورِحالتاهما (٢) مُلبَّستان بالديبـــاج ، وقد خضبا النجيبين ولبسا حُلّتين ، فجعلا يتلقيان الحاجّ ويتعرضان للنساء الى أن أظلم الليل ، فعدلا إلى كثيبٍ مُشرفٍ ، والقمر طالع يضيء ، فجلسا على الكثيب ، وقال عمر لابن سريج : غنني صوتك الجديد ، فاندفع يغنيه ، فلم يَستَتِمّه إلا وقد طلع عليه رجل راكب على فرس عتيق ، فسلم ثم قـــال : أيمكنك – أعزك الله – أن تَرُدّ

(١) عرم : اشتد وخرج عن الحد .

(٢) الرحالة: سرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد يكون للخيل والنجائب من الإبل.

هذا الصوت ؟ قال : نعم ونعمةَ عينٍ (١) ، على ان تنزل وتجلس معنا ، قال : أنا أعجل من ذلك ، فإن أجملْتَ وأنعمتَ أعدْته ! وليس عليك من وقوفي شيء ولا مؤونة ، فأعاده ، فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال : نعم ، قال : حياكَ الله ! وهذا عمر بن ابي ربيعة ؟ قال : نعم ، قال : حياكَ الله يا أبا الخطاب ! فقال له : وأنت فحيَّاكَ الله ! قد عرفتنا فعرِّفنا نفسك ، قال : لا يمكنني ذلك ، فغضب ابن سريج وقال : والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد ، فقال له : أنا يزيد بن عبد الملك ، فوثب اليه عمرُ فأعظمَه ، ونزل ابن سريج اليه فقبّل ركابه ، فنزع حُلَّتَه وخاتَمه فدفعهما اليه ، ومضى يركض حتى لحق ثَقَلَه (٢) ، فجاء بهما ابن سريج الى عمر فأعطاه إياهما وقال له : إن هذين بك أشبهُ منهما بي ، فأعطاه عمر ثلثمائة دينار وغدا فيهما الى المسجد ، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون : كأنهما والله حلّةُ يزيد بن عبد الملك وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة ايضاً قال وحدثني به عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال :

يوم غنى في الحج :

حج عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام على نجيب له مخضوب بالحنّاء مشهّر الرّحْل بقرابٍ (٣) مُذهَبٍ (٤) ، ومعه عبيد بن سريج على بغلة له شقراء ، ومعه غلامه جنّادٌ يقود فرساً له أدهم أغرّ محجّلا ،

(١) نعمة عين : أي افعل ذلك كرامة لك وإنعاماً لعينك (أي قرّة لها) .
(٢) الثقل : متاع المسافر وحشمه .
(٣) قال الأزهري : قراب السيف: شبه جراب من أدم يضع الراكب فيه سيفه بجفنه وسوطه وعصاه وأداته . وقال ابن الاثير : هو شبه الجراب يطرح فيه الراكب سيفه بغمده وسوطه وقد يطرح فيه زاده من تمر وغيره .
(٤) الاذهاب والتذهيب واحد وهو الطلاء بالذهب .

وكان عمر بن أبي ربيعة يسميه « الكوكب » ، في عنقه طوق ذهب ، وجنّادٌ هذا هو الذي يقول فيه :

صوت

فقلتُ لجنّادٍ خُذِ السيفَ واشتمِلْ
عليه برفقٍ وارْقبِ الشمسَ تَغرُبِ
وأسْرِجْ لِيَ الدَّهْماءَ واعجَلْ بِمِمْطَرِي[1]
ولا تُعلِمَنْ خَلْقاً مِنَ الناس مَذْهَبي

الغناء لزُرْزُرٍ ، غلام المارقي ، خفيف ثقيل وهو أجود صوت صنعه . قال : ومع عمر جماعة من حشمه وغلمانه ومواليه وعليه حلة مَوْشِيَّةٌ يمانِيَةٌ ، وعلى ابن سريج ثوبان هَرَوِيَّانِ[2] مرتفعان ، فلم يمروا بأحد إلا عجب من حسن هيئتهم ، وكان عمر من أعْطَرِ الناس وأحسنهم هيئة ، فخرجوا من مكة يوم التَّرْوِيَة بعد العصر يريدون منى ، فمروا بمنزل رجل من بني عبد مناف بمنى قد ضُرِبَتْ عليه فساطيطه وخيمه ، ووافى الموضع عمر فأبصر بنتاً للرجل قد خرجت من قُبّتها ، وسترَ جواريها دون القبة لئلا يراها مَنْ مَرَّ ، فأشرف عمر على النجيب فنظر اليها وكانت من أحسن النساء وأجملهن ، فقال لها جواريها : هذا عمر بن أبي ربيعة ، فرفعت رأسها فنظرت اليه ، ثم سترتها الجواري وولائدها عنه وبطنّ دونها بسَجْفِ القبة حتى دخلت ، ومضى عمر الى منزله وفساطيطه بمنى ، وقد نظر من الجارية الى ما تَيَّمَهُ ومن جمالها الى ما حيره ، فقال فيها :

(١) المطر والممطرة : ثوب يتخذ لتوقي المطر .

(٢) يقال ثوب هروي منسوب الى هراة وشرحه في القاموس : هرى ثوبه تهرية : اتخذه هروياً او صبغه وصفره ، ثم قال : وكانت سادة العرب تلبس العمائم الصفر وكانت تحمل من هراة مصبوغة ويقال لمن لبسها : قد هرى عمامته .

نظَرتُ اليها بالمُحَصَّبِ من مِنى ... ولي نَظَرٌ لولا التَحَرُّجِ عارِمُ
فقلتُ أشمسٌ أم مَصابيحُ بِيعَةٍ ... بدتْ لكَ خلفَ السِّجْفِ أم أنتَ حالِمُ
بَعيدةُ مَهْوى القُرْطِ إمّا لنَوْفَلٍ ... أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ
ومَدَّ عليها السجفَ يومَ لقِيتُها ... على عَجَلٍ تُبّاعُها والخوادِمُ
فلم أستطِعها غيرَ أنْ قد بدا لنا ... على الرَّغْمِ منها كَفُّها والمَعاصِمُ
مَعاصِمُ لم تضرِبْ على البَهْمِ بالضُّحى ... عَصاها ووجهٌ لم تَلُحْهُ السَّمائمُ
نَضيرٌ تَرَى فيه أساريعَ مائه ... صَبيحٌ تُغادِيه الأكُفُّ النَّواعِمُ
إذا ما دعتْ أترابَها فاكتَنَفْنَها ... تَمايَلْنَ أو مالتْ بِهِنَّ المآكِمُ
طَلبْنَ الصِّبا حتى إذا ما أصَبْنَه ... نَزَعْنَ وهنَّ المُسْلِماتُ الظَّوالِمُ

ثم قال عمر لابن سريج ؟ يا أبا يحيى ، اني تفكرت في رجوعنا مع العشية الى مكة مع كثرة الزحام والغبار وجَلَبَةِ الحاج فثقل عليَّ ، فهل لك ان نروح رواحاً طيباً معتزلاً ، فنرى فيه من راح صادراً الى المدينة من أهلها ونرى أهل العراق وأهل الشام ونتعلَّلَ [1] في عشيتنا وليلتنا ونستريح ، قال : وأنّى ذلك يا أبا الخطاب : قال على كثيب أبي شحوة المشرف على بطن يَأجَجَ [2] بين منى وسَرِف ، فنبصر مرور الحاج بنا ونراهم ولا يرونا . قال ابن سريج : طَيِّبٌ والله ياسيّدي ، فدعا بعض خدمه فقال : اذهبوا الى الدار بمكة ، فاعملوا لنا سُفْرةً [3] واحملوها مع شراب الى الكثيب ، حتى إذا أبْرَدْنا [4] ورمينا الجَمْرة [5] صرنا

(١) نتعال : نتلهى ونتسلى .

(٢) يأجج كيسمع وينصر ويضرب : موضع من مكة على ثمانية أميال ، وكان من منازل عبد الله بن الزبير .

(٣) السفرة بالضم : طعام يتخذ للمسافر (كاللهنة للطعام الذي يؤكل بكرة) واكثر مـا يحمل في جلد مستدير فنقل اسم الطعام اليه وسمي به كما سميت المزادة راوية .

(٤) أبردنا : دخلنا في آخر النهار .

(٥) الجمرة : واحدة جمرات المناسك وهي ثلاث جمرات ترمي بها الجمار ، بين كل واحدة والاخرى (رمية) سهم . وسمي موضع رمي الجمار بمنى جمرة لانه يرمي بالجمار (جمع جمرة وهي الحصاة) أو أنه سمي جمرة لانه يجمع الحصى التي ترمي بها ، من الجمرة وهي اجتماع القبيلة على من ناوأها .

اليكم . قال – والكثيب على خمسة اميال من مكة مُشرفٌ على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق ، وهو كثيب شامخٌ مُستدِقٌ أعلاه منفردٌ عن الكثبان – فصارا اليه فأكلا وشربا ، فلما انتشيا أخذ ابن سريج الدُّفَّ (١) فنقره وجعل يغني وهم ينظرون الى الحاجّ ، فلما أمسيا رفع ابن سريج صوته يُغني في الشعر الذي قاله عمرُ ، فسمعه الرُّكبانُ فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت أما تتقي الله ! قد حبست الناس عن مناسكهم ! فيسكت قليلاً ، حتى إذا مضوا رفع صوته وقد اخذ فيه الشراب فيقف آخرون ، الى أن مرت (٢) قطعةٌ من الليل ، فوقف عليه في الليل رجلٌ على فرسٍ عتيقٍ (٣) عربي مَرِحٍ مُستَنٍّ (٤) ، فهو كأنه تَمِلٌ ، حتى وقف بأصل الكثيب وثنى رجله على قَرَبُوسِ (٥) سَرْجِه ، ثم نادى يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن ترد شيئاً مما سمعتُه ؟ قال : نعمْ ونِعمَةَ عين ، فايها تريد ؟ قال : تُعيد عليّ :

ألا يا غُرابَ البَينِ مالك كلما ... نَعَبْتَ بفِقْدانٍ عليّ تَحُومُ
أبالبينِ من عَفْراءَ أنت مُخبّري ... عَدِمتُكَ مِنْ طيرٍ فأنت مَشُومُ

– قال : والغناء لابن سريج – فأعاده ، ثم قال له ابن سريج : ازدد إن شئتَ ، فقال غنّي :

أمَسلَمَ (٦) إنّني يابنَ كل خليفةٍ ... ويا فارسَ الهيجا ويا قمرَ الأرضِ
شكرتُكَ إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقى ... وما كلُّ مَنْ أقرضتَه نعمةً يَقضِي

(١) الدف بالضم وبفتح ، قال في القاموس: وبالضم أعلى، وحكى الجوهري ان الفتح فيه لغة.
(٢) وفي بعض النسخ « سرت » .
(٣) العتيق : الفرس الرائع الكريم الاصل .
(٤) يقال استن الفرس : جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة .
(٥) القربوس بفتح الراء ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر وحكى ابو زيد ان السكون فيه لغة ، وهو مقدم السرج ومؤخره (ويقال لهما حنوا السرج) كل منهما قربوس .
(٦) يريد مسلمة بن عبد الملك .

وَنَوَّهْتَ لي باسمي وما كان خاملاً ولكنّ بعضَ الذكر أنْبَهُ من بعضِ

فغنّاه ، فقال له : الثالثَ ولا أستزيدك ، فقال : قل ما شئت : فقال : تغنيني

يا دارُ أقْوَتْ بالجِزْعِ (١) فالكُثُبِ (٢)
بين مَسِيل العُذَيْبِ (٣) فالرُّحَبِ (٤)
لم تتقنّع (٥) بفَضْلِ مِئْزَرِها دَعْدٌ ولم تُسْقَ دَعْدُ في العُلَبِ (٦)

فغنّاه ، فقال له ابن سريج : أبقِيتْ لك حاجة ؟ قال : نعم ، تنزل إليّ لأخاطبك شفاهاً بما أريد ، فقال له عمر : انزل اليه ، فنزل ، فقال له : لولا أني أريد وداع الكعبة وقد تقدمني ثَقَلي وغلماني لأطلت المقام معك ولنزلت عندكم ، ولكني أخاف أن يفضحني الصبح ، ولو كان ثَقَلي معي لما رضيت لك بالهُوَيْنى ، ولكن خذ حُلتي هذه وخاتمي ولا تُخْدَع عنهما ، فإن شراءهما الف وخمسمائة دينار ، وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره حماد بن إسحاق .

---

(١) الجزع : منعطف الوادي ولعله يريد به جزع الدواهي وهو موضع بأرض طيء .

(٢) الكثب بالتحريك ويسكن : واد في ديار طيء .

(٣) العذيب : قال الأزهري : العذيب : ماء معروف بين القادسية والمغيثة .

(٤) الرحب بضم الراء وفتح الحاء المهملتين : موضع ولم يذكره ابو عبيد ولا ياقوت وقد ورد في هذا الشعر

يا دار اسماء بين السفح فالرحب أقوت وعف عليها ذاهب الحقب

(٥) اي لم تجعل فضل مئزرها قناعاً لها ، والقناع والمقنع والمقنعة : ما تغطي به المرأة رأسها ومحاسنها

(٦) العلب : جمع علبة وهي كما قال الأزهري جلدة تؤخذ من جنب جلد البعير إذا سلخ وهو فطير فتسوى مستديرة ثم تملأ رملاً سهلاً ثم تضم اطرافها وتخل بخلال ويوكى عليها مقبوضة بحبل وتترك حتى تجف وتيبس ثم يقطع رأسها وقد قامت قائمة لجفافها تشبه قصعة مدورة كأنها نحتت نحتاً او خرطت خرطاً ويعلقها الراعي والراكب فيحلب فيها ويشرب بها وللبدوي فيها رفق خفتها وانها لا تتكسر إذا حركها البعير او طاحت الى الارض . يريد انها ليست من البدويات الفقيرات التي تشتمل بفضل مئزرها ترفعه على رأسها ولا ممن يشرب ألبان الإبل في هذه العلب ولكنها ممن نشأ في نعمة وكسي احسن كسوة .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

نظَرتُ اليها بالمحصَّب مِنْ مِنىً ... ولي نظرٌ لولا التحرُّجُ عارِمُ
فقلت أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ ... بدتْ لك خلفَ السَّجْفِ أم أنت حالم
بعيدةُ مَهْوِي القُرط إمّا لنوفلٍ ... أبوها وإمّا عبدُ شمس وهاشمُ

الشعر لعمر بن ابي ربيعة . والغناء لمعبد ثقيل اول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عنه . وقد نسب في مواضع من هذا الكتاب .

صوت

ألا يا غُرابَ البَيْنِ مالكَ كأنّما ... نَعَبْتَ بِفقْدانٍ عليَّ تَحُومُ
أبالبَيْنِ من عَفْراءَ أنتَ مُخبّري ... عَدِمتُكَ من طيرٍ فأنتَ مَشُومُ

الشعر لقيس بن ذريح ، وقيل : إنه لغيره . والغناء لابن سريج رمل؟ بالوسطى عن الهشامي .

صوت

أمَسْلَمَ إنّي يابنَ كلِّ خليفةٍ ... ويا فارس الهيجا ويا قمرَ الأرضِ
شكرتُك إن الشكر حبلٌ من التقى ... وما كلُّ من أوليتَه نعمةً يَقضي
ونوّهتَ لي باسمي وما كان خاملا ... ولكن بعضَ الذكر أنبهُ من بعضِ

الشعر لأبي نُخَيْلة (١) الحِمَّاني (٢) . والغنـاء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى ، وقد أخرج هذا الصوت مع سائر أخبار أبي نخيلة في موضع آخر .

علو كعبه في الصنعة :

حدثني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن سلام الجمحي قال حدثني عمر بن ابي خليفة قال :

كان أبي نازلاً في عُلوٍ ، فكان المغنون يأتونه ، قال فقلت : فأيهم كان أحسن غناء ؟ قال : لا أدري ، إلا أنني كنت أراهم إذا جـاء ابن سريج سكتوا .

أخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق ابن إبراهيم الموصلي قال حدثني الزبيري – يعني عبد الله بن مصعب – عن عمرو بن الحارث قال إسحاق : وحدثنيه المدائني ومحمد بن سلام عن المحرز بن جعفر عن عمر ابن سعد مولى الحارث بن هشام قال :

خرج ابن الزبير ليلةً الى أبي قبيس فسمع غناء ، فلما انصرف رآه أصحابه وقد حال لونه ، فقالوا : إن بك لشرًّا ، قال : انه ذاك ، قالوا : ما هو ؟ قال : لقد سمعت صوتاً إن كان من الجن إنه لعَجَبٌ وإن كان من الانس فما انتهى منتهـاه شيء ! قال : فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنى :

صوت

أمِنْ رَسْمِ دارٍ بوادي غُدَرْ (٣) لجاريةٍ مِـن جواري مُضَرْ

(١) ابو نخيلة اسمه لا كنيته ، وقال ابن قتيبـة : اسمه يعمر و كني أبا نخيلة لأن امه ولدته الى جنب نخلة .

(٢) الحماني : نسبة الى بني حمان وهي قبيلة نزلت الكوفة .

(٣) غدر بوزن زفر : من مخاليف اليمن وبه حصن ناعط – وهو حصن في رأس جبل بناحية اليمن قرب عدن – قيل هو مأخوذ من الغـدر وهو الموضع الكثير الحجارة الصعب المسلك ، ويصحف بعذر .

خَدَلَّجةٍ (١) الساقِ مَمْكورةٍ (٢) سَلوسِ (٣) الوِشاحِ كَمِثلِ القمرْ
تَزِينُ (٤) النساءَ إذا ما بَدَتْ ويُبْهَتُ (٥) في وجهِها مَن نظرْ

الشعر ليزيد بن معاوية ، والغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن يونس وحبش .

قال اسحاق : وذكر المدائني في خبره ان عمر بن عبد العزيز مرّ أيضاً فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنى :

* بتَّ الخليطُ قُوَى الحَبْلِ الذي قطعوا *

فقال عمرُ : لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن . قال المدائني : وبلغني من وجه آخر أنه سمعه يغني :

قَرَّبَ جِيرانُنا جِمالَهُمُ ليلاً فأضحَوْا معاً قد ارتفعوا
ما كنتُ أدري بوَشْكِ بَيْنِهِمُ حتى رأيتُ الحُداةَ قد طَلَعوا

فقال هذه المقالة .

نسبة هذين الصوتين

صوت

بَتَّ الخليطُ قُوَى (٦) الحَبْلِ الذي قَطَعُوا
إذ وَدَّعُوكَ فَوَلَّوْا ثم ما رجَعُوا

---

(١) الخدلجة : الريا الممتلئة الذراعين والساقين .
(٢) الممكورة : المطوية الخلق المكتنزة اللحم .
(٣) سلوس الوشاح : قلقة الوشاح لينته .
(٤) تزين وتزون : لغتان ، وكلاهما متعد بنفسه. قال في اللسان : قالت أعرابية لابن الاعرابي : إنك تزوننا إذا طلعت كأنك هلال ...
(٥) بهت : دهش وتحير وانبهر .
(٦) القوى : جمع قوة وهي الطاقة الواحدة من طاقات الحبل .

وآذَنُـوكَ (١) بِبَيْنٍ من وِصالِهِمُ
فما سَلَوْتَ ولا يُسْلِيكَ ما صنعُوا

يا بنَ الطُّويلِ وكم آثَرْتَ من حَسَنٍ
فينا وأنت بما حُمِّلْتَ مُضْطَلِـعُ (٢)

نحْظَى ونبقَى بخيرٍ ما بَقِيتَ لنـا
فإن هلَكْتَ فما في مَلْجَاٍ طَمَـعُ

الشعر للاحوص . والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش ان فيه رملاً بالوسطى عن الهشامي .

نسبة الصوت الآخر

صوت

قرُبَ جِيرانُنـا جِمَالَهُمُ ليلاً فأضحَوْا معاً قد ارتفعُوا
ما كنتُ أدري بوَشْكِ بَيْنِهِمِ حتى رأيتُ الحُدَاةَ قد طلَعوا

على مِصَكَّيْنِ (٣) من جِمالِهِمُ
وعَنْتَرِيسَيْنِ (٤) فيهما خَضَعُ (٥)

يا قلبُ صبْراً فإنه سَفَـهٌ بالحُرِّ ان يَسْتَفِزَّهُ الجزَعُ

الغناء لابن سريج ثقيل اول من اصوات قليلة الاشباه عن إسحاق . وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه الى احد ، وذكر ايضاً فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه . وذكر الهشامي ان الرمل للغريض وخفيف الرمل

---

(١) آذنوك : أعلموك .

(٢) يقال أضطلع بالامر : نهض به وقوي عليه .

(٣) المصك كمجن : القوي .

(٤) العنتريس : الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة وقد يوصف به الفرس ، قال سيبويه : هو من العترسة التي هي الشدة ، لم يحك ذلك غيره .

(٥) الخضع : تطامن في العنق ودنو الرأس الى الارض ، والمراد انها جدت في السير ، وذلك ان الابل إذا جد بها السير خضعت أعناقها .

لابن المكي . وذكرت دنانير والهشامي ان فيه لمعبد ثاني ثقيل . وذكر عمرو بن بانـة ان الثقيل الاول للغريض . وذكر عبد الله بن موسى ان لحن ابن سريج خفيف ثقيل .

عدد الاصوات التي غنى فيها ابن سريج

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثني يوسف بن ابراهيم قال : حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي ، فقـال إسحاق : غنى ابن سريج ثمانية وستين صوتاً ، فقال له أبو إسحاق : ما تَجاوَزَ قط ثلاثة وستين صوتاً ، فقال : بلى ، ثم جعلا ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستين صوتاً وهمـا يتفقان على ذلك ، ثم أنشد إسحاق بعـد ذلك أشعار خمسة أصوات أيضاً ، فقـال له أبو إسحاق : صدقت ، هذا من غنائه ، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني ، ولحن الثاني من لحنه الفلاني ، حتى عَدّ له الخمسة الاصوات ، فقال له إسحاق : صدقت . ثم قال له ابراهيم : ان ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً وكان يغني الناس بما يشتهون ، فلا يغنيهم صوتاً مُدِحَ به اعداؤهم ولا صوتاً عليهم فيه عار أو غضاضة ، ولكنـه يعْدِل بتلك الالحان الى أشعار في اوزانها ، فالصوتان واحـد لا ينبغي أن نعدهما اثنين عند التحصيل منا لغنائه ، فصدَّقه إسحاق ، فقـال له إبراهيم : فأيها اولى عندك بالتقدمة ؟ فقال :

وإذا ما عَثَـرتْ في مِرْطها[1] نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمرْ

فقال له إبراهيم : أحسبك يا أبا محمد - مُتِّعتُ بكَ - مـا أردت إلا مساعدتي ، فقال : لا ، والله ما إلى هـذا قصدت ، وان كنت أهوى كل ما قربني من محبتك ، فقال له : هذا أحب أغانيه إلي ، وما احسبه في مكان أحسن منه عندي ، ولا كان ابن سريج يتغنّاه أحسن

(١) المرط بالكسر : كساء من خز او صوف او كتان .

مما يتغنّاه جواريّ . ولئن كان كذلك فما هو عندي في حسن التجزئة والقسمة وصحتهما مِثْلُ لحنه في :

صوت من المائة المختارة من رواية جحظه

حَيِّيَا أمّ يَعْمَرَا قبلَ شَحْطٍ من النوى
أجمعَ الحيُّ رِحْلَةً ففؤادي كَذي الأسى
قلتُ لا تُعجِلُوا الرَّوَا حَ فقالُوا ألا بَلَى

الغناء لابن سريج من القدر الاوسط من الثقيل الاول مطلق في مجرى الوسطى وفيه للهذلي خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكي . وفيه لمالك ثقيل اول بالبنصر عن عمرو. وفيه لحنان من الثقيل الثاني أحدهما لاسحاق والآخر لأبيه ، ونسبه قوم الى ابن محرز ولم يصح ذلك

– قال : «أجتمعا معاً على أنه اول أغانيه وأحقها بالتقديم ، وأمرني أبو إسحاق بتدوين ما يجري بينهما ويتفقان عليه ، فكتبت هذا الشعر ، ثم اتفقا على ان الذي يليه :

وإذا ما عثرَتْ في مِرْطِها نَهَضَتْ بأسمِي وقالتْ يا عُمَرْ

فأثبته ايضاً ، ثم تناظرا في الثالث فاجتمعا على أنه :

فتركتُهُ جَزَرَ(١) السِّباع يَنُشْنَهُ(٢)
ما بين قُلَّةِ(٣) رأسه والمِعْصَمِ(٤)

---

(١) جزر السباع : اللحم الذي تأكله ، يقال : تركوهم جزراً – بالتحريك – إذا قتلوهم وقطعوهم إرباً إرباً وجعلوهم معرضين للسباع والطير.

(٢) ينشنه : يتناولنه .

(٣) قلة كل شيء : اعلاه .

(٤) في ديوانه : يقضمن حسن بنانه والمعصم
والقضم : الأكل بمقدم الاسنان .

فقال إسحاق : لو قدمناه على الاغاني التي تقدمته كلها لكان يستحق ذلك . فقال ابو إسحاق : ما سمعته منذ عرفته إلا ابكاني ، لأني إذا سمعته او ترنمت به وجدت غمزاً على فؤادي لا يسكن حتى أبكي ، فقال إسحاق : ان مذهبه فيه ليوجب ذلك ، فدوّنته ثالثاً ثم اتفقا على الرابع وانه :

فلم أرَ كالتَّجْميرِ (١) مَنْظَرَ ناظِرٍ
ولا كَلَيالي الحجّ أفْتَنَّ ذا هَوَى

وتحدثا بأحاديث لهذا الصوت مشهورةٍ ، ثم تناظرا في الخامس ، فاتفقا على أنه :

عُوجي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ إنَّكِ إلاّ تَفْعَلي تَحْرَجِي (٢)

فأثبتُّه . ثم تناظرا في السادس ، واتفقا على أنه :

ألا هلْ هاجَكَ الأظعا نُ إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحا (٣)

فأثبتُّه . ثم تناظرا في السابع فاتفقا على انه :

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لي ماذا لقِيتَ من الهوى ولَقِينا

فأثبته . وتناظرا في الثامن فاتفقا على انه :

تُنكِرُ الإثْمِدَ لا تَعرِفهُ غيرَ أن تسمَعَ منهُ بخَبَرْ

فأثبته . وتناظرا في التاسع فاتفقا على أنه :

ومِن أجْلِ ذاتِ الخالِ أعملْتُ ناقتي
أُكلّفُها سَيْرَ الكَلالِ مع الظّلْعِ (٤)

(١) التجمير : رمي الجمار .
(٢) تحرجي : تأثمي .
(٣) مطلح : قال ياقوت : هو موضع في قوله : « وقد جاوزن مطلحا » ولم يبينه .
(٤) ظلع البعير : غمز في مشيه .

نسبة هذه الاصوات وأجناسها

منهـا :

صوت

وإذا ما عَثَرَتْ في مِرْطِها نَهِضَتْ باسمي وقالَتْ يا عُمَرْ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغنـاء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي .

ومنهـا :

صوت

فتركتُه جَزَرَ السّباع يَنُشْنَه ما بين قُلّة رأسه والمِعصَمِ

الشعر لعنترة بن شداد العبسي ، والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .

ومنهـا :

صوت

فلم أرَ كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحجّ أفتَنّ ذا هوى

الشعر لعمر بن ابي ربيعة . والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو .

ومنهـا :

صوت

عُوجي علينا ربّةَ الهَوْدجِ إنكِ إلّا تفعلي تَحْرَجي

الشعر للعَرْجي . والغناء لابن سريج ثقيل بالوسطى عن عمرو .

ومنهـا :

صوت

ألا هَلْ هاجك الأظعا نُ إذ جاوَزْنَ مُطّلَحا

الشعر لعمر والغناء لابن سريج ثقيل اول مطلق في مجرى البنصر عن اسحاق . وفيه للغريض لحنان ثقيل اول بالوسطى في مجراها عن اسحاق ، وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه لمعبد ثقيل اول ثالث بالخنصر في مجرى الوسطى عن اسحاق .

ومنهـا :

صوت

غَيَّضْنَ من عبراتهنَّ وقلن لي ماذا لقِيت من الهوى ولقِينـا

الشعر لجرير . والغنـاء لابنْ سريج رمل بالبنصر . وفيه لاسحاقِ رمل بالوسطى . وفيه للهذلي ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي .

ومنها :

صوت

تُنكِرُ الاثْمِدَ لا تعرفُه غيرَ أن تَسْمَعَ منه بخَبَرْ

الشعر لعبد الرحمن بن حسان . والغناء لابن سريج رمل بالوسطى .

ومنها :

صوت

يومِنْ أجلِ ذاتِ الخالِ أعملتُ ناقتي

أُكـلّـفُها سَيْرَ الكَلالِ مـع الظَّلْعِ

الشعر لعمر بن ابي ربيعة . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر . وفيه لاسحاق رمل بالوسطى .

معبد ومالك وابن سريج :

اخبرني رضوان بن احمد قال حدثنا يوسف بن ابراهيم قال حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن المهدي قال حدثني الزبير بن دحمان :

أن أباه حدثه أن معبداً تَغَنَّى :

آب لَيْلي بِهُمُومٍ وفِكَرْ من حَبيبٍ هاج حُزْني والسَّهَرْ
يوم أبصرتُ غراباً واقعاً شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ

فعارضه مالك فغنى في أبيات من هذا الشعر وهي :

وجَرَتْ لي ظَبيةٌ يتبعها
لَيِّنُ الأظلافِ (١) من حُورِ (٢) البَقَرْ
كلَّما كَفْكَفْتُ (٣) منّي عَبْرَةً فاضت العينُ بمُنْهَلٍّ دِرَرْ (٤)

قال : فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصوتين ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أجود صنعة منك ، فتنافرا (٥) الى ابن سريج فمضيا اليه بمكة ، فلما قدماها سألا عنه ، فأخبرا أنه خرج يَتَطَرَّفُ (٦) بالحِنّاء في بعض بساتينها ، فاقتفيا أثره ، حتى وقفا عليه وفي يده الحناء ، فقالا له : إنا خرجنا اليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما ، فقال لِيُغَنِّ كل واحد منكما صوته ، فابتدأ معبد يغني لحنه ، فقال له :

---

(١) الظلف للبقرة والشاة والظبي وشبهها : بمنزلة القدم للانسان .
(٢) حور : جمع حوراء ، والحور : اشتداد بياض العين واشتداد سوادها .
(٣) كفكف دمع العين : رده .
(٤) درر : جمع درة ، والدرة في الامطار : ان يتبع بعضها بعضاً .
(١) تنافرا . تحاكما ، قال ابو عبيد : المنافرة : ان يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكما بينهما رجلا .
(٢) يتطوف بالحناء : يخضب اطراف اصابعه به .

أحسنت والله على سوء اختيارك للشعر ! يا ويحك ! ما حملك على أن ضيعت هذه الصنعة الجيدة في حزن وسهر وهموم وفِكَر ! أربعة ألوان من الحزن في بيت واحد ، وفي البيت الثاني شَرَّان في مصراع واحد ! وهو قولك :

شَرُّ ما طار على شَرِّ الشَّجَرْ

ثم قال لمالك : هات ما عندك ، فغناه مالك ، فقال له : أحسنت والله ما شئت ! فقال له مالك : هذا وإنما هو ابن شَهْرِه ، فكيف تراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحَوْلُ ! قال دَحْمانُ : فحدثني معبد أن ابن سريج غضب عند ذلك غضباً شديداً ثم رمى بالحِنَّاء من يديه وأصابعه وقال له : يا مالك ، إلي تقول ابن شهره ! اسمع مني ابن ساعته ، ثم قال : يا أبا عبَّاد ، أنشدني القصيدة التي تغنيتما فيها ، فأنشدته القصيدة حتى انتهيت الى قوله :

تُنْكِرُ الإثْمِدَ لا تعرفُه غيرَ أن تَسْمَعَ منه بخَبَرْ

فصاح بأعلى صوته : هذا خليلي وهذا صاحبي ، ثم تغنى فيه ، فانصرفنا مَفْلُولِيْنِ مفضوحين من غير أن نقيم بمكة ساعة واحدة .

نسبة هذه الاغاني كلها

صوت

آبَ لَيْلِي بِهُمُومٍ وفِكَرْ من حَبيبٍ هاج حُزْني والسَّهَرْ
يوم أبصرْتُ غراباً واقعاً شَرُّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ

يَنْتِفُ الرِّيشَ على عُبْرِيَّةٍ (١) مُرَّةِ المَقْضَمِ من دَوْحِ العُشَرْ (٢)

الشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يقوله في رَمْلَةَ بنتِ معاوية بن ابي سفيان ، وله معها ومع أبيها وأخيها في تشبيبه بها أخبارٌ كثيرة ستذكر في موضعها ان شاء الله . ومن الناس من ينسب هذا الشعر الى عمر بن أبي ربيعة وهو غَلَطٌ ، وقد بُيِّن ذلك مع اخبار عبد الرحمن في موضعه .

والغناء لمعبد خفيف ثقيل اول بالوسطى عن يحيى المكي ، وذكر عمرو بن بانة انه للغريض وله لحن آخر في هذه الطريقة :

صوت

وَجرتْ لي ظَبْيَــةٌ يتبعها لَيِّنُ الأظلاف من حُورِ البَقَرْ
خلفَها أطلسُ (٣) عسَّالُ (٤) الضُّحَى صادفتْــه يوم طَــلٍّ وخَصَرْ (٥)

الغناء لمالك خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن اسحاق .

صوت

إنَّ عينَيْهـا لعينَا جُؤْذُرٍ أهْدَبِ الأشفارِ من حُورِ البَقَرْ
تُنْكِرُ الاثْمِدَ لا تعرفُــه غيرَ أن تسمعَ منــه بخَبَرْ

---

(١) العبرية واحدة العبري وهو من السدر (شجر النبق) ما نبت على عبر النهر . يريد هنا : على عبرية أي على شجرة من شجر العشر نابتة على عبر النهر .

(٢) العشر من العضاه وهو من كبار الشجر له صمغ حلو وهو عريض الورق ينبت صعداً في السماء وله سكر يخرج من شعبه ومواضع زهره يقال له سكر العشر . وفي سكره شيء من مرارة ويخرج له نفاخ كأنها شقاشق الجمال التي تهدر فيها وله نور مثل نور الدفلى مشرب مشرق حسن المنظر وله ثمر .

(٣) الأطلس من الذئاب : ما في لونه غبرة الى السواد .

(٤) يقال : عسل الذئب يعسل عسلاً وعسلانا : مضى مسرعاً واضطرب في عدوه وهز رأسه

(٥) الخصر : البرد .

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة عن عمرو ويحيى المكي .

عداوة للغريض

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال ابي قال محمد بن سعيد .

لما ضاد ابن سريج الغريض وناوأه ، جعل ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه فيه الغريض فغنى فيه لحناً غيره ، وكانت ببعض أطراف مكة دار يأتيانها في كل جمعة ويجتمع لهما ناسٌ كثيرٌ ، فيوضع لكل واحدٍ منهما كرسي يجلس عليه ثم يتناقضان [١] الغناء ويترادّانه . قال : فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغناءه من الناس لقربه من النوح وشبهه به ، مال الى الأرمال والأهزاج فاستخفّها الناسُ ، فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قصّرتَ الغناء وحذفته وأفسدته ، فقال له : نعم يا مخنّث ، جعلت تنوح على أبيك وأمك ، ألي تقول هذا !? والله لأغنّينّ غناء ما غنى أحدٌ أثقل منه ولا أجود ، ثم تغنى :

تشكّى الكُميتُ الجَرْيَ لما جهدْتُه

تقدير ابن ابي عتيق له

قال حماد : وقرأت على ابي عن هشام بن المرية قال : كان ابن ابي عتيق يسوق في كل عام عن ابن سريج بَدَنَةً وينحرها عنه ويقول : هذا أقلُّ حقه علينا .

معبد يعترف له

قال حماد : قال ابي وقال مَخْلَد بن خداش المهلبي : كنا بالمدينة في مجلس لنا ومعنا معبد ، فقدم قادم من مكة الى المدينة فدخل علينا ليلاً ، فجلس معبد يسائله عن الاخبار وهو يخبره ولا نسمع ما يقول ، فالتفت الينا معبد فقال : أصبحت أحسن الناس غناءً ، فقيل له : أو لم تكن

(١) يتناقضان الغناء : ينقض كل منهما غناء الآخر .

كذلك ؟ قال : لا ، حيث كان ابن سريج حياً ، إن هذا أخبرني ان ابن سريج قد مات . ثم كان بعد ذلك إذا غنى صوتاً فأعجبه غناؤه قال : اصبحت اليوم سريجياً .

مبكياته :

قال حماد : حدثني ابي قال حدثني ابو الحسن المدائني قال : قال معبد :

أتيتُ أبا السائب المخزومي – وكان يصلي في كل يوم وليلة الف ركعة – فلما رآني تجوّز (١) وقال : ما معك من مبكيات ابن سريج ؟ قلت : قوله :

ولهنّ بالبيتِ العتيق لُبانةٌ والبيتُ يعرفهنّ لو يتكلّمُ
لو كان حيًّا قبلهن ظعائناً حيّا الحطيمُ وجوههن وزمزمُ
لبثوا ثلاثَ (٢) مِنىً بمنزلِ غِبطةٍ وهُمُ على سفرٍ لعَمْرُكَ ما هُمُ
مُتجاورين بغير دار إقامةٍ لو قد أجدّ (٣) تفرّق لم يندموا

فقال لي : غنه ، فغنيته ، ثم قام يصلي فأطال ، ثم تجوّز إليّ فقال : ما معك من مطرباته ومشجياته ؟ فقلت : قوله :

لسنا نُبالي حين نُدرِكُ حاجةً ما بات او ظلّ المطيُّ مُعقّلا

فقال لي : غنه ، فغنيته ، ثم صلى وتجوّز إليّ وقال : ما معك من مرقصاته ؟ فقلت :

فلم أرَ كالتجميرِ منظرَ ناظرٍ ولا كليالي الحج أفتنّ ذا هوى

فقال : كما أنت حتى أتحرّمَ لهذا بركعتين .

---

(١) يقال : تجوّز في صلاته : خفف فيها .
(٢) يريد ثلاث ليالي التشريق وهي التي يبيت فيها الحاج بمنى .
(٣) اجدّ يستعمل لازما ومتعديا ، يقال : أجدّ الرجل في الأمر اذا كان فيه ذا جد ، واجد الرجل السير او الرحيل : اعتزمه .

تغنيه بمسمع من عطاء :

قال حماد : واخبرني أبي عن ابراهيم بن المنذر الحزامي . وذكر ابو ايوب المدائني عن الحزامي قال : حدثني عبد الرحمن بن ابراهيم المخزومي قال :

أرسلتني أمي وأنا غلام أسأل عطاء بن أبي رباح عن مسألة ، فوجدته في دار يقال لها دار المُعَلّى - وقال أبو أيوب في خبره : دار المُقِلّ - وعليه مِلحفة مُعَصْفَرَة ، وهو جالس على منبر وقد خَتَنَ ابنه ، والطعام يوضع بين يديه وهو يأمر به أن يُفرَّق في الخلق ، فلهوت مع الصبيان ألعب بالجوز حتى أكل القوم وتفرقوا وبقي مع عطاء خاصته ، فقالوا : يا أبا محمد لو أذنت لنا فارسلنا الى الغريض وابن سريج ! فقال :

ما شئتم ، فأرسلوا اليهما ، فلما أتيا قاموا معهما وثبت عطاء في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما بيتاً في الدار فتغنيا وأنا أسمع ، فبدأ ابن سريج فنقر بالدف وتغنى بشعر كُثَيِّر :

بليلى وجارات لِليلى كأنها نِعاجُ المَلا (١) تُحدَى بهن الأباعرُ
أمُنقطِعٌ يا عَزّ ما كان بيننا وشاجَرني يا عَزّ فيكِ الشَّواجِرُ (٢)
إذا قيل هذا بيت عزّةَ قادني إليه الهوى واستعجلَتْني البوادِرُ (٣)
أصُدُّ وبي مثل الجنون لكي يرى رُواةُ الخَنا أني لِبيتكِ هاجر

فكأنّ القوم قد نزل عليهم السُّبات (٤) وأدركهم الغَشْيُ فكانوا كالأموات ، ثم أصغوا إليه بآذانهم وشخصت اليه أعينهم وطالت أعناقهم . ثم غنى الغريض بصوت أنسيتُه بلحن آخر . ثم غنى ابن سريج ووقّع بالقضيب ، وأخذ الغريض الدف فغنى بشعر الاخطل :

(١) الملا : الصحراء .

(٢) الشواجر : جمع شاجرة يقال : شجره عن الأمر : صرفه عنه ، يريد : أينقطع ما بيننا وقد نازعتني فيك الصوارف .

(٣) البوادر : الدموع .

(٤) السبات : نوم خفي كالغشية .

فقلتُ اصبَحُونا[١] لا أبا لأبيكُمُ ... وما وَضَعُوا الأثقالَ إلا ليفعلُوا
وقلتُ اُقتلوها عنكُمُ بمِزاجها ... فأكرِمْ بها مقتولةً حين تُقتَلُ
أناخُوا فجرُّوا شاصياتٍ[٢] كأنها ... رِجالٌ من السُّودانِ لم يتسربَلُوا

فوالله ما رأيتهم تحركوا ولا نطقوا إلا مستمعين لما يقول . ثم غنى الغريض بشعر آخر وهو :

هل تعرف الرَّسْمَ والأَطلالَ والدِّمَنا
زِدْنَ الفؤادَ على ما عندَه[٣] حَزَنا
دارٌ لأسماءَ[٤] إذ كانت تَحُلُّ بها
وإذ تَرَى الوَصْلَ فيما بيننا حَسَنا
إذ تستَبِيكَ بمَصقولٍ عوارضُه[٥]
ومُقْلَتَيْ جُؤْذُرٍ لم يعدُ أن شَدَنا

ثم غنيا جميعاً بلحن واحد ، فلقد خيل لي أن الأرض تميدُ ، وتبيَّنتُ ذلك في عطاء أيضاً . وغنى الغريض في شعر عمر بن ابي ربيعة وهو قوله :

كفَى حزَناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنا
وأمْسِي قريباً لا أزُورُكِ كَلْثَما
دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الذي
به منكِ أو دَاوِي جَواهُ المُكَتَّما
ومن كان لا يَعْدُو هواه لسانَه
فقد حَلَّ في قلبي هواكِ وخَيَّما

(١) اصبحونا : إيتونا بالصبوح وهو ما يشرب في الغداة إلى القائلة .
(٢) الشاصيات : الزقاق المملوءة الشائلة القوائم ، والقرب إذا كانت مملوءة أو نفخ فيها فارتفعت قوائمها .
(٣) في ديوانه : « على علاته » .
(٤) كذا في ديوان عمر بن أبي ربيعة وفي جميع النسخ : « لصفراء » .
(٥) العوارض : الثنايا وسميت بذلك لأنها في عرض الفم ، وقيل : هي الاسنان التي تبدو من الفم عند الضحك .

وليس بتزويق (١) اللسانِ وصَوْغِهِ
ولكنّهُ قد خالطَ اللحمَ والدّما

وغنى ابن سريج ايضاً :

خليليَّ عوجا نسألِ اليومَ منزلا
أبى بالبراقِ (٢) العُفْرِ أن (٣) يتحوّلا
ففرْعِ النّبيتِ (٤) فالشّرى (٥) خَفَّ أهلهُ
وبدّلَ أرْواحاً جنوباً وشمألا
أرادتْ فلم تستطعْ كلاماً فأومأتْ
إلينا ولم تأمنْ رسولاً فترسلا
بأنْ ليتَ عسى أن يسترَ الليلُ مجلساً
لنا أو تنامَ العينُ عنّا فتقبلا

وغنى الغريض أيضاً :

يا صاحبيَّ قفا نقضِ لبانةً
وعلى الظعائنِ (٦) قبلَ بينِكما اعرضا
لا تعجلاني أن أقول بحاجةٍ رفقاً فقد زوّدتُ زاداً محرضا (٧)

---

(١) التزويق : التحسين والتزيين ، وأصله من الزاووق وهو الزئبق (وكذلك يسميه اهل المدينة) وهو يدخل في التصاوير ولذلك قيل لكل مزين مزوق ، ثم استعمل في كل مزين وان لم يكن فيه زئبق .

(٢) البراق : جمع برقة ، والبرقة هي الأرض الغليظة مختلطة بحجارة ورمل فاذا اتسعت البرقة فهي الأبرق وجمعه أبارق وانما سميت كذلك لبرقة رملها .

(٣) العفر : جمع عفراء ، والعفرة بياض ليس بالناصع الشديد .

(٤) الفرع بضم فسكون كما في ياقوت قرية على طريق مكة .

(٥) الشرى : موضع عند مكة .

(٦) الظعائن هنا : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج ، يريد : اعرضا حاجتكما على الظعائن قبل فراقكما .

(٧) جاء في بعض النسخ مجرضا من اجرضه بريقه : أي اغصه . وجاء « محرضا » يقال : احرضه المرض إذا أشفى منه على الموت . وفي سائر النسخ : « ممرضا » .

ومقالَها بالنَّعْفِ نعفِ مُحَسِّرٍ(١) لِفَتاتِها هل تعرفين المُعرِضا
هذا الذي أعطى مواثِقَ عهدِه حتى رَضِيتُ وقلتِ لِي لن يَنقُضا

وأغانِيَّ أنسيتُها ، وعطاء يسمع على منبره ومكانه ، وربما رأيت رأسه قد مال وشفتيه تتحركان حتى بلغته الشمسُ ، فقام يريد منزله ، فما سمع السامعون شيئاً أحسن منهما وقد رفعا أصواتهما وتغنيا بهذا . ولما بلغت الشمس عطاءً قام وهُم على طريقة واحدة في الغناء ، فاطَّلع في كوة البيت ، فلما رأوه قالوا : يا أبا محمد ، أيهما احسن غناء ؟ قال : الرقيق الصوت ، يعني ابن سريج .

نسبة ما في هذه الأخبار من الاصوات

صوت

وكَفَنْ بالبيت العتيق لُبانةً والبيتُ يعرفهنّ لو يتكلّمُ
لو كان حياً قبلهن ظعائنـــاً حيَّا الحَطيمُ وجوهَهن وزمزمُ
وكأنهنّ وقد حَسَرْنَ(٢) لواغباً(٣) بَيْضٌ بأكناف الحَطيمِ مُرَكَّمُ
لبثوا ثلاثَ مِنىً بمنزلِ غبطةٍ وهُم على سَفَرٍ لعمرُكَ ما هُمُ
مُتجاورين بغير دارِ إقامةٍ لو قد أجدَّ رحيلهم لم يندموا

عروضه من الكامل . الشعر لابن اذينة . والغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبار ابن اذينة تأتي بعد هذا في موضعها إن شاء الله .

ومنها الصوت الذي أوّله في الخبر :

لسنا نُبالي حين نُدرِكُ حاجةً

(١) محسر : موضع بين مكة وعرفة . والنعف : ما انحدر عن السفح وغلظ وكان له صعود وهبوط .
(٢) حسر كضرب : كشف .
(٣) لواغبا : جمع لاغبة ، واللغوب : التعب والإعياء .

صوت

ودّع لُبابةَ قبل ان تترحّلا ... واسألْ فإن قليلَه أن تسألا
وانظر بعينكَ ليلةً وتأنّها ... فلعلّ ما بَخِلَتْ به أن يُبذَلا
لسنا نُبالي حين نُدركُ حاجةً ... ما راح او ظلَّ المطيُّ مُعقّلا
حتى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامُه ... ورَجَوْتُ غفلةَ حارسٍ أن يَعقِلا
خرَجتْ تأطّرُ في الثياب كأنها ... أيمٌ يسيبُ على كثيبٍ أهيَلا (١)

الشعر لعمر بن ابي ربيعة . والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى في مجراها . وفيه لمعبد لحن من خفيف الثقيل الأول بأطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، وهو من مختار اغانيه ونادرها وصدور صنعته وما يقدم على كثير منها .

ذهبت لبابة ببغلة مولاك

اخبرني احمد بن محمد بن اسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن ابي فروة قال :

كنت أسير مع الغمر بن يزيد ، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة :

ودّع لبابة قبل أن تترحّلا ... واسأل فإن قليله ان تسألا
قال ائتمرْ ماشئتَ غيرَ مخالفٍ ... فيما هويتَ فإنّنا لن نعجَلا
نَجزي أياديَ كنتَ تبذُلها لنا ... حقٌّ علينا واجبٌ أن نفعَلا
حتى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامُه ... ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يَعقِلا
خرجتْ تأطّرُ في الثيابِ كأنّها ... أيمٌ يسيبُ على كثيبٍ أهيلا
سلَّمتُ حين لقيتُها فتهلّلتْ (٢) ... اتحيّتي لمّا رأتني مُقبِلا
فجلا القِناعُ سحابةً مشهورةً ... غرّاءَ تعشِي الطَّرفَ أن يتأمّلا

(١) تقدمت هذه القصيدة مع شرحها .
(٢) كذا في الديوان . وفي الأصول : رحبت لما اقبلت فتعلت

فظَلِلتُ أرْقيها بما لو عاقِلٌ   يُرْقَى به ما أسطَاعَ ألاّ يَنزِلا
تدنُو فأطْمعُ ثم تمنعُ بَذْلَها   نفسٌ أبتْ للجُودِ أن تتبخَّلا

قال : فأمر غلامَه فحملني على بغلتِه التي كانت تحتَه ، فلمّا أراد الأنصرافَ طلب الغلام منّي البغلةَ ، فقلتُ : لا أعطِيكَها ، هو أكرمُ وأشرفُ مِنْ أن يحمِلَني عليها ثم ينتزعُها منّي ، فقال الغلام : دَعْه يا بُنيّ ذهبتْ واللهِ لُبابَة ببغلةِ مولاكَ .

متى يطرب القرشي ؟

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه وأخبرنيه الحسن بن علي عن هارون بن الزيات عن حماد عن ابيه ، قال حدثني عثمان بن حفص الثقفي عن ابراهيم بن عبد السلام بن ابي الحارث عن ابن تيزن المغني قال :

قال أبو نافع الأسود — وكان آخرَ مَنْ بَقِيَ من غِلمانِ ابنِ سُرَيج — : إذا أعجزكَ أن تُطرِبَ القُرَشيَّ فغنّه غناءَ ابنِ سُرَيجٍ في شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة فإنك تُرقِصه . قال : وأبو نافع هذا أحذقُ غِلمانِ ابنِ سُرَيج ومَنْ أخذَ عنه ، وكان أحسنَ رُواتِه صوتاً .

ومنها :

صوت

بليلَى وجاراتٍ لِليلَى كأنّها   نِعاجُ المَلا تُحدَى بهنَّ الأباعِرُ
أمُنقطِعٌ يا عزّ ما كانَ بيننا   وشاجرَني يا عزّ فيكِ الشّواجِرُ
إذا قيل هذا بيتُ عزّة قادني   إليه الهوى واستعجلتني البَوادِرُ
أصدّ وبي مثلُ الجنون لكي يُرى   رُواةُ الخنا أنّي لبيتكِ هاجِرُ
ألا ليتَ حظّي منكِ يا عزّ أنني   إذا بِنْتِ باعَ الصبرَ لي عنكِ تاجِرُ

عروضه من الطويل . الشعر لكثير . والغناء لمعبد ثقيل اول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو . وفيه لابن سريج لحن اوله : « أصدُّوني مثل الجنون » خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنهـــا :

صوت

أناخُوا فجرّوا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودان لم يتسربلُوا
فقلتُ اصبحُوني لا أبا لأبيكُمُ وما وضعُوا الاثقالَ إلا ليفعلُوا
تمرّ بها الأيدي سنيحاً وبارحاً[(١)] وتُرفعَ باللهمّ حيّ وتُنزَلُ[(٢)]

عَرُوضُه من الطويل . الشاصياتُ : الشائلاتُ قوائمها من امتلائها ، يعني الزّقاقَ ، يقال : شصا يشصو . وشصا ببصره إذا رفعه كالشاخص ، وأنشد :

ورَبْرَبٍ خِمَـــاص يطْعَنُ بالصّيَاصِي[(٣)]
ينظُرُ من خَصَاصِ[(٤)] بأعـــينٍ شَوَاصِي
كفِلَقِ[(٥)] الرّصَاصِ تسْمُو إلى القنّاصِ

الشعر للأخطل ، وذكره يأتي في غير هذا الموضع من قصيدة يمدح بها خالد بن

(١) السنيح : ما جاء عن يمينك يريد شمالك والبارح بعكسه ، شبه دور الكأس واختلافها بينهم بالسوانح والبوارح .

(٢) اي يذكر عليها إسم الله في رفعها وإنزالها .

(٣) الربرب : القطيع من بقر الوحش . وخماص : جمع خمصان أو خمصانة ، والخمصة : خلاء البطن من الطعام جوعاً . والصياصي : قرون البقر جمع صيصة بتخفيف الياء.

(٤) الخصاص واحدته خصاصة وهي شبه كوة من قبة أو نحوها إذا كان واسعاً قدر الوجه ، وبعضهم يجعل الخصاص للواسع والضيق حتى قالوا لخروق المصفاة والمنخل والباب والبرقع : خصاص.

(٥) فلق : جمع فلقة .

عبد الله بن أسيد بن أبي العيص بن أمية . والغناء لمالك وله فيه لحنان : احدهما في الأول والثاني رمل بالبنصر في مجراها عن اسحاق ، والآخر في الثالث والأول والثاني خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها . وفيه رمل آخر لابراهيم عن عمرو أيضاً .

ومنها :

صوت

هل تعرف الرسم والأطلال والدمنا

وذكر الأبيات الثلاثة وقد تقدمت . عروضه من البسيط . الشعرُ لذي الاصبع العدواني . والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبِنصر .

ومنها :

صوت

كفى حزَناً أن تجمع الدار شملنا

صوت

وهو من المائة المختارة في رواية جحظة عن اصحابه

دعي القلبَ لا يزدَدْ خبالاً مع الذي
به منك أو داوي جواه المكتما
ومن كان لا يَعدُو هواه لِسانَه فقد حلَّ في قلبي هواكِ وخيما
وليس بتزويقِ اللسانِ وصوغِه ولكنّه قد خالط اللحمَ والدَّما

عروضه من الطويل . الشعر للأحوص ، وقيل : إنه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . والغناء لمعبد ثقيل أول باطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر يونس ان لمالك لحناً فيه :

أكاتِمَ فُكّي عانيًا بكِ مُغرَما ... وشُدّي قُوى حَبلٍ لنا قد تَصرَّما
فإن تُسعِفيه مرةً بنوالكم ... فقد طالما لم يَنجُ منك مُسلَّما
كفى حَزناً أن تجمع الدارُ شملنا ... وأمسي قريبًا لا أزورُكِ كاتما

وبعده هذه الأبيات التي مضت .

تفضيل لحنه باتفاق المغنين

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد وذكر الثقفي عن دحمان قال :

تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيُّه أحسن ، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء ، فقلت : اذهب بنا إلى مالك ابن أبي السَّمح ، فذهبنا اليه فوجدناه في المسجد فقال : ما جاء بكما ؟ فأخبرناه ، فقال : قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقلت : فجاءني معبد يوما وأنا في المسجد وقال : قد جئتك بشيء لا تَرُدُّه ، فقلت : وما هو ؟ قال : لحنُ ابن سريج :

وليس بتزويقِ اللسانِ وصَوْغِهِ ... ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدَّما

ثم قال لي معبد : أسمعكه ؟ قلت : نعم ، وأريته اني لم أسمعه قبل فقال : اسمعه مني فغنى فيه ونحن في المسجد ، فما سمعت شيئاً قطُّ أحسن منه ، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه .

وقرأت في فصل لابراهيم بن المهدي الى إسحاق الموصلي « وكتبتُ رُقعتي هذه وأنا في غمرة [١] من الحمّى تَصْدِف عن المفترضات ، ولولا خوفي من تشنيعك وتجنيك لم يكن فيّ للاجابة فضل ، غير أني قد تكلفت الجواب على ما اللهُ به عالم من صعوبة علتي وما أقاسيه من

(١) غمرة : شدة .

الحرارة الحادثة بي :

وليس بتزويقِ اللسانِ وصَوغِهِ ولكنّه قد خالطَ اللحمَ والدّما

وقال إسحاق حدّثني شيخٌ من مَوالي المنصورِ قال : قدم علينا فتيان من بني أمية يريدون مكة فسمعوا معبداً ومالكاً فأعجبوا بهما ، ثم قدموا مكة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً ، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يسمعهم غناءه ، فخرج معهم حتى دخلوا عليه ، فقالوا : نحن فتيان من قريش أتيناك مُسلّمين عليك وأحببنا أن نسمع منك ، فقال : أنا مريض كما ترون ، فقالوا : ان الذي نكتفي منك به يسير ، — وكان ابن سريج أديباً طاهر الخُلُق عارفاً باقدار الناس — فقال : يا جارية ، هاتي جِلبابي[1] وعودي ، فأتته خادمه بخامة فسدلها على وجهه وكان يفعل ذلك إذا تغنى لقبح وجهه ، ثم أخذ العود فغناهم ، فأرخى ثوبه على عينيه وهو يغني ، حتى إذا أكتفوا ألقى عوده وقال : معذرة ، فقالوا : نعم ، قد قبل الله عذرك فأحسن الله اليك ومسح ما بك ، وانصرفوا يتعجبون مما سمعوا ، فمروا بالمدينة منصرفين فسمعوا من معبد ومالك ، فجعلوا لا يطربون لهما ولا يعجبون بهما كما كانوا يطربون ، فقال أهل المدينة : نحلف بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج ! قالوا : أجل لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قط ، ولقد نغّص علينا ما بعده :

تغني رقطاء الحبطية برمل ابن سريج

وذكر العتابي ان زكريا بن يحيى حدثه قال حدثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثماني عن بعض اهل الحجاز قال :

التقى قنديل الجصّاص وأبو الجديد بشعب الصَّفراءِ[2] ، فقال قنديل

(١) الجلباب : الرداء والازار .

(٢) الصفراء : واد بناحية المدينة كثير النخل والزرع والخير في طريق الحج : وسلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ، وبينه وبين بدر مرحلة . والشعب : مسيل الماء في بطن الارض .

لأبي الجديد : من أين وإلى أين ؟ قال : مررت برقطاء الحَبَطِيَّة [١] رائحة تترنم برَمَلِ ابن سريج في شعر ابن عُمَارة السلمي :

صوت

سَقَى مَأْزِمَيْ [٢] نَجْدٍ إلى بئرِ خالدٍ
غوادي نِصاع [٣] فالقُرُونِ [٤] الى عَمْدِ [٥]
وجادتْ بُروقُ الرائحاتِ بمُزْنَةٍ تسحُّ شآبيباً [٦] بمرتجزِ [٧] الرَّعْدِ
منازلَ هِنْدٍ إذ تُواصِلُني بها ليالي تَسْبِيني بمُسْتَطْرَفِ [٨] الوُدِّ
يُنيرُ ظلامُ الليلِ من حسنِ وجهِها
وتَهْدِي بِطيبِ الرِّيحِ مَنْ جاء مِنْ نَجْدِ

— الغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن الهشامي — فزَفَفَتْ [٩] خلفها زفيف النعامة ، فما انجلت غشاوتي إلا وأنا بالمُشاشِ [١٠] حسيرٌ [١١] ،

---

(١) الحبطية : نسبة الى الحبط ككتف وسبب ، وهو الحارث بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وسمي الحبط لأنه كان في سفر فأصابه مثل الحبط (انتفاخ البطن) الذي يصيب الماشية . وقال ابن الكلبي : كان أكل طعاماً فأصابته منه هيضة . وقال ابن دريد : كان أكل صمغاً فحبط عنه وتسمى بنوه الحبطات .

(٢) المأزم : الطريق الضيق بين الجبال .

(٣) ذكر ياقوت انه اسم موضع ولم يبينه .

(٤) لا يوجد ما يسمى بالقرون إلا قرون البقر وهو موضع في ديار بني عامر وكان به يوم من ايام العرب .

(٥) قال في تاج العروس : وادي عمد بحضرموت اليمن .

(٦) الشآبيب : جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر .

(٧) يقال ارتجز الرعد : سمع له صوت متتابع .

(٨) مستطرف الود : مستحدثه .

(٩) زففت : أسرعت .

(١٠) في ياقوت : المشاش بالفم، قال عرام : ويتصل بجبال عرفات جبال الطائف وفيها مياه كثيرة أوشال وعظائم قني منها المشاش وهو الذي يجري بعرفات ويتصل الى مكة .

(١١) حسير : كالٌّ مُعيٍ.

فأودعتها قلبي وخلّفته لديها وأقبلت أهوي كالرَّخمة (١) بغير قلب ، فقال لي قنديل : ما دفع أحد من المزدلفة أسعدُ منك ، سمعتَ شعر ابن عُمارةَ في غناء ابن سريج من رقطاء الحبطية ، لقد أوتيت جزءاً من النبـوة . قال : وكانت رقطاء هذه من أضرب الناس ، فدخل رجل من أهـل المدينة منزلها فغنته صوتاً ، فقال له بعض من حضر : هـل رأيت قط أو ترى أفصح من وتر هذه ! فطرب المدني وقال : علي العهد إن لم يكن وترها من مِعَى بَشْكَسْتَ النحوي ، فكيف لا يكون فصيحا ! وبشكستُ هذا كان نحوياً بالمدينة وقتل مع الشُّراة (٢) الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبدالله بن يحيى الكندي الشاري المعروف بطالب الحق .

غناؤه مخلوق من قلوب الناس :

قال محمد بن الحسن وحدث عن إسحاق عن أبيه أنه كان يقول :

غناء كل مغن مخلوق من قلب رجل واحد ، وغناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعاً . وكان يقول : الغناء على ثلاثة أضْرُب ، فضربٌ ملْهٍ مطرب يحرك ويستخف ، وضرب ثان له شجاً ورقـة ، وضربٌ ثالث حكمة وإتقانُ صنعة . قال : وكل هذا مجموع في غناء ابن سريج .

عند بئر الفصح

قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد المثاني قال : ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال :

التقى ابن سلمة الزهري والأخضر الجدّيّ ببئر الفصح ، فقـال ابن سلمة : هل لك في الاجتماع نستمتع بك ؟ فقال له الأخضر : لقـد كنت الى ذلك مشتاقاً ، قال : فقعدا يتحدثان ، فمر بهما ابو السائب ، فقال : يا مطربَي الحجاز ، ألشيءٍ كان اجتماعكما ؟ فقالا : لغير موعد

(١) الرخمة : طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة ويقال له الأنوق .
(٢) الشراة : الخوارج سموا بذلك لقولهم : إنا شرينا انفسنا في طاعة الله اي بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة ، والواحد شار .

كان ذلك ، أتؤنسنا ؟ قال : فقعدوا يتحدثون ، فلما مضى بعض الليل قال الاخضر لابن سلمة : يا أبا الأزهر ، قد ابهارَّ [١] الليل وساعدك القمر ، فوَقِّع بقهقهة [٢] ابن سريج وأصِبْ مغناك ، فاندفع يغني :

صوت

تجنَّتْ بلا جُرْمٍ وصدّت تغضُّباً ... وقالت لتِرْبَيْهـا مقالةَ عاتبِ
سيَعلمُ هذا أنني بنتُ حُرَّةٍ ... سأمنع نفسي من ظُنونٍ كواذبِ
فقُولي له عنَّا تَنَحَّ فإننـا ... أبيّاتُ فُحْشٍ طاهرات المناسِبِ

الغنـاء لابن سريج ولم يذكر طريقته . قال : فجعل أبو السائب يَزْفِنُ [٣] ويقول : أبشِرْ حبيبي فلأنت افضل من شهداء قزوين ، قال : ثم قال ابن سلمة للأخضر : نِعْمَ المُساعد على هَمِّ الليل أنت ، فوقِّع بنَوْحِ ابن سريج ولا تَعْدُ مغناك ، فاندفع يغني :

صوت

فلمّا التقينا بالحَجُون [٤] تنفَّسَتْ ... تنفسَ محزونٍ الفؤادِ سَقيـمِ
وقالت وما يَرْقا [٥] من الخوف دمعها ... أقاطِنُها أم أنتَ غير مُقيـمِ
إذا غداً تَحدى بنا العِيسُ بالضُّحى ... وأنت بما نلقاه غيرُ عليـمِ

(١) يقال : ابهار الليل : انتصف وهو مأخوذ من بهرة الشيء وهو وسطه ، وقيل : ابهار : ذهبت عامته وأكثره وبقي نحو من ثلثه .
(٢) القهقهة : مد الصوت وترجيعه .
(٣) يزفن : يرقص .
(٤) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن اهلها .
(٥) وما يرقأ : ما يجف وما يسكن .

فقطّع قلبي قولها ثم أسبلت محاجر (١) عيني دمعها بسُجوم (٢)

قال : فجعل أبو السائب يتأفف ويقول : أعتِقُ ما أملك إن لم تكن فردوسية الطينة ، وإنها بعلمها لأفضل من آسِيَةَ أمرأة فرعون .

تغني الذلفاء بلحن ابن سريج :

اخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه عن الهيثم بن عدي قال :

بلغني ان أبا دهبَلٍ الجُمَحي قال : كنت أنا وأبو السائب المخزومي عند مغنية بالمدينة يقال لها : « الذَّلفاء » ، فغنتنا بشعر جميل بن معمر العذري واللحن لابن سُريج :

صوت

لهنّ الوَجا (٣) لِمْ كُنّ عوناً على النوى
ولا زالَ منها ظـالعٌ وكَسِيرُ
كأني سُقِيتُ السُّمَّ يومَ تحمّلوا وَجدّ بهم حادٍ وحانَ مَسيرُ

فقال ابو السائب : يا أبا دهبل ، نحن والله على خطر من هذا الغناء ، فنسأل الله السلامة وأن يكفينا كل محذور ، فما آمَنُ أن يهجم بي على أمر يهتكني ، قال : وجعل يبكي .

تأثير غنائه

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا الزبير بن بكار عن بكار بن رباح بن رباح عن إسحاق بن مقمة عن امه قالت :

(١) المحاجر : جمع محجر كمجلس وهو ما دار بالعين من جميع جوانبها .
(٢) يقال : سجمت العين الدمع سجماً وسجوماً : اسالته .
(٣) الوجا : الحفا ، يقال : وجيت الدابة توجى وجاً ، اذا حفيت .

سمعت ابن سريج على أخشب (١) منى غداة النفر (٢) وهو يغني :

جَدّدي الوصلَ يا قريب وجودي لمحبٍّ فِراقُه قد ألَمّا (٣)
ليسَ بينَ الحياةِ والموتِ إلاّ أن يَرُدّوا جِمالَهُم فتُزَمّا (٤)

- ونسبة هذا الصوت تأتي بعد هذه الاخبار - قالت : فما تشاء أن تسمع من خباءٍ ولا مِضْرَبٍ حنينا ولا أنيناً إلا سمعته .

تفضيله على معبد

وذكر يوسف بن ابراهيم أنه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ليلةً وهو يذاكر إبراهيم بن المهدي الى أن قال اسحاق في بعض مخاطبته إياه : هذا صوت قد تَمَعْبَدَ فيه ابن سريج ، فقال له إبراهيم : ما ظننت أنك يا أبا محمد مع علمك وتقدمك تقول مثل هذا في ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تمعبد ابن سريج ! وانما معبد إذا أحسن قال : أصبحت سريجياً ، قد أغنى الله ابن سريج عن هذا ورفع قدره عن مثله ، واعيذك بالله ان تستشعر مثله في ابن سريج ، قال : فما رأيت إسحاق دفع ذلك ولا أباه ولا زاد على أن قال : هي كلمة يقولها الناس ، لم أقلها أعتقاداً لها فيه ، وانما تكلمت بها على العادة .

اعتراف معبد له

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن اسماعيل قال حدثنا محمد بن سلام قال : قال لي شعيب بن صخر :

كان معبد إذا غنى فأجاد قال : انا اليوم سريجي .

---

(١) أخشب منى : أحد الاخشبين وهما جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى وهما واحد: أحدهما أبوقبيس والآخر قيقعان، ويقال : بل هما أبوقبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك.

(٢) يقال : نفر الحاج من منى : خرجوا وارتحلوا .

(٣) ألم : نزل .

(٤) يقال : زم الناقة يزمها زماً إذا وضع فيها الزمام . والزم ايضاً : الشد .

إذا جاء ابن سريج سكتوا

حدثني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن سلام قال حدثنا شعيب بن صخر قال :

كان نعمان المغني عندي نازلاً ، وكان يغني ، وكنت أراه يأتيه قوم ، قال أبو عبد الله : فقلت له : فأيُّهم كان أحذق ؟ قال : لاأدري، إلا انهم كانوا إذا جاء ابن سريج سكتوا .

الاحوص وابن سريج

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني الهيثم بن عياش قال حدثني عبد الرحمن بن عيينة قال :

بينما نحن بمنى ونحن نريد الغُدُوَّ إلى عرفات إذ أتانا الأحوص فقال : أبيتُ بكم الليلة ؟ قلنا : بالرَّحْبِ والسعة ، فلما جَنَّه الليل لم يلبث أن غاب عنا ثم عاد ورأسه يقطُر ماءً ، قلت : مالك ؟ قال :

صوت

تَعرَّضُ سَلْماكَ لمّا حَرَمْتَ(١) ضَلَّ ضَلالُكَ(٢) مِنْ مُحرِمِ!

تريدُ بـه البِرَّ يا ليْتَنَه كَفافاً من البِرِّ والمأثمِ

– الغناء لابن سريج ولم يُجنِّسْه – قـال قلت : زنَيْتَ وربِّ الكعبة ! قال : قل ما بدا لك ، ثم لقي ابن سريج فقال : إني قد قلت بيتين حسنين أحب أن تغنيني بهما ، قال : ما هما ؟ فأنشده إياهما ، فغنى بهما من ساعته ففُتِنَ من حضر بمن سمع صوته .

---

(١) يقال : حرم الحاج وأحرم : دخل الحرم .

(٢) يريد : ضللت ضلالا بعيداً .

(٣) يريد: يا ليتني تعادل اثمي وبري فاخرج لا أنا آثم ولا بار .

جرير وابن سريج :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه قال حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال :

قدم جرير بن الخَطَفَى المدينة ونحن يومئذ شباب نطلب الشعر فاحتشدنا له ومعنا أشعب ، فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأَقمنا لم نبرح ، وجاء الأحوص بن محمد الشاعر من قُباءَ على حمار فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام لحاجة ، فما حاجتك اليه ؟ قال : أريد والله أن أعلِمه أن الفرزدق أشعر منه وأشرف ، قلنا : ويحك ! لا تَعرِضْ له وانصرف ، فانصرف وخرج ، فجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبلَ الأحوص الشاعر فأقبل عليه ، فقال : السلام عليك يا جرير ، قال جرير : وعليك السلام ، فقال الأحوص : يابن الخَطَفَى ، الفرزدق أشرف منك وأشعر ، قال جرير : من هذا أخزاه الله ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلَح ، فقال : نعم ، هذا الخبيث ابن الطيب ، ألأنت القائل :

يَقَرُّ بعينِي ما يَقَرُّ بعَيْنِها وأحسن شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

قال : نعم ، قال : فإنه يقر بعينِها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أَفيقَرُّ ذلك بعينك !

قال : وكان الاحوص يُرْمَى بالُحلاقِ (١) فانصرف فبعث اليهم بتمر وفاكهة ، وأقبلنا على جرير نُسائلُه ، وأشعب عند الباب وجرير في مؤخر البيت ، فألح عليه أشعب يسأل ، فقال : والله إني لأراك أقبحهم وجهاً وأراك ألأمهم حَسَباً ، فقد أبرَمْتَني (٢) منذ اليوم ، قال إني والله أنفعهم وخيرهم لكَ ، فانتبه جرير وقال : ويحك ! كيف ذاك ! قال : إني أمَلّح شعرك وأجيد مقاطعه ومبادئه ، فقال : قل ويحك !

(١) الحلاق : صفة تنافي الرجولة وقد أشار اليه ابن سيدة بقوله : الحلاق بضم الحاء وفتح اللام : صفة سوء ، كأن متاع الانسان يفسد فتعود حرارته الى هنالك .

(٢) أبرمتني : اضجرتني .

فاندفع أشعب فنادى بلحن أبن سريج :

يا أختَ ناجيةَ ، السلامُ عليكمُ قبلَ الرَّحيلِ وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ
لو كنتُ أعلم أنَّ آخرَ عهدِكم يومُ الرَّحيل فعلتُ ما لم أفعلِ

فطرب جرير وجعل يزحف نحوه حتى ألصق بركبته ركبته وقال: لعمري لقد صدقت ، إنك لأنفعهم لي وقد حسنته وأجدته وزينته ، أحسنت والله ، ثم وصله وكساه ، فلما رأينا اعجاب جرير بذلك الصوت، قال له بعض أهل المجلس : فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء ! قال : أوَ إنَّ له لواضعاً غير هذا ، فقلنا : نعم ، قال : فأين هو ؟ قلنا : بمكة ، قال : فلستُ بفارقٍ حجازكم حتى أبلغه ، فمضى ومضى معهُ جماعةٌ ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم ، فأتيناه جميعاً فإذا هو في فتية من قريش كأنهم ألمها مع ظَرْفٍ كثيرٍ ، فأدْنَوْا ورحبوا وسألوا عن الحاجة ، فأخبرناهم الخبرَ ، فرحبوا بجرير وأدنوه وسُرُّوا بمكانه ، وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال : سل ما تريد جُعِلتُ فداءك ! قال : أريد ان تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني اليك ، قال : وما هو ؟ قال :

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الرَّحيل وقبلَ عَذْل العُذَّل

فغناه أبن سريج وبيده قضيبٌ يُوَقِّعُ به ويَنْكُتُ ، فوالله ما سمعت شيئاً قط أحسن من ذلك ، فقال جرير : لله دركم يا اهل مكة ، ماذا أعطيتم ! والله لو أنَّ نازعاً نزع[1] اليكم ليقيم بين أظهركم فيسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس حظاً ونصيباً ، فكيف ومع هذا بيت الله الحرام ، ووجوهكم الحسان ، ورقة ألسنتكم ، وحسن شارتكم[2] ، وكثرة فوائدكم .

(١) نزع اليكم : مال اليكم .
(٢) الشارة : الهيئة واللباس .

الوليد وابن سريج :

اخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه عن جده ابراهيم قال :

كتب الوليد بن عبد الملك الى عامل مكة : أن أشخص إليّ ابن سريج ، فأشخصه ، فلما قدم مكث اياماً لا يدعو به ولا يلتفت اليه ، قال : ثم انه ذكره ، فقال ويلكم ! أين ابن سريج ؟ قالوا : هو حاضر ، قال : عليّ به ، فقالوا : أجب امير المؤمنين ، فتهيأ ولبس وأقبل حتى دخل عليه فسلم ، فأشار اليه : أن اجلس ، فجلس بعيداً ، فاستدناه فدنا حتى كان منه قريباً ، وقال : ويحك يا عُبَيد ! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفادة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة مجلسك ، فقال : جعلت فداءك يا امير المؤمنين ! « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » قال الوليد : إني لأرجو ألا تكون أنت ذاك ، ثم قال : هات ما عندك ، فاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص :

أَمنزلَيْ سلمى على القِدَمِ أسلما ... فقد هِجْتُما للشوقِ قلباً متيَّما
وذكَّرْتُما عصر الشباب الذي مضى ... وجِدَّةَ وصلٍ حبلُه قد تجذَّما[١]
وإني إذا حلَّت ببيشٍ[٢] مُقيمةً ... وحلَّ بوجٍّ[٣] جالساً[٤] أو تتهَّما[٥]
يمانيةٌ شطَّت فأصبح نفعُها ... رجاءً وظنّاً بالمغيبِ مُرَجَّما
أُحبُّ دُنُوَّ الدار منها وقد أبى ... بها صدعُ شَعْبِ[٦] الدار إلا تثلُّما

(١) تجذم : تقطع .
(٢) قال ياقوت : انه احد مخاليف اليمن وفيه عدة معادن .
(٣) وج : اسم واد بالطائف بالبادية سمي بوجّ بن عبد الحي من العمالقة .
(٤) جالساً : آتياً الجلس وهو نجد .
(٥) يقال : تتهم اذا اتى تهامة .
(٦) الشعب كما يطلق على التفرّق يطلق على الاجتماع ، يقال : التأم شعبهم اذا اجتمعوا بعد التفرق ، وتفرق شعبهم اذا تفرقوا بعد الاجتماع .

بَكاها وما يدري سِوى الظنِّ من بَكى
أحيًّا يُبَكّي (١) أم تُراباً وأعظُما

فدَعْها وأخلِفْ للخليفةِ مِدحةً تُزِلْ عنك بؤسى او تُفيدك أنعُما

فإنّ بكفّيه مفاتيحَ رحمةٍ وغيثَ حَيًا يحيا به الناسُ مُرْزِما (٢)

إمامٌ أتاه المُلكُ عفواً ولم يُثِبْ على مُلكِه مالاً حراماً ولا دَما

تَخيَّرَه ربُّ العِباد لخَلقِه وليًّا وكان الله بالناس أعلما

فلمّا قضاه الله لم يَدْعُ مُسلماً لبَيْعتِه إلّا أجاب وسلّما

يَنال الغِنى والعزَّ مَن نال وُدَّه ويَرْهَبُ موتاً عاجلاً من تشأما (٣)

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الاحوص ! عليّ بالأحوص ، ثم قال : يا عُبَيد هِبه ، فغنّاه بشعر عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد :

صوت

طارَ الكرى وألمّ (٤) الهمّ فاكْتَنَعا (٥)
وحِيلَ بَيْني وبينَ النّوْم فامتنعا

كان الشّبابُ قِناعاً أستكِنُّ به وأستظِلُّ زماناً ثمّتَ انقشعا

فاستبدلَ الرأسُ شَيْباً بعد داجيةٍ فَيْنانةٍ (٦) ما تَرى في صُدْغِها نَزَعا (٧)

فإن تكُنْ مَيْعةٌ (٨) من باطلٍ ذهبَتْ
وأعْقبَ اللهُ بعدَ الصَّبْوةِ الوَرَعا

---

(١) بكاه بكاه بالتخفيف وبكاه بالتشديد كلاهما بكى عليه ورثاه .
(٢) يقال : أرزمت السماء : أتت بالرزام جمع رزمة وهي المطر الضعيف الدائم .
(٣) يقال : تشأم بمعنى تشاءم .
(٤) ألم : نزل .
(٥) اكتنع : دنا وحضر .
(٦) فينانة : حسنة الشعر طويلته .
(٧) النزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبي الجبهة .
(٨) ميعة كل شيء : معظمه وحدته .

فقد أبيتُ أراعي الخودَ (١) راقدةً على الوسائدِ مسروراً بها وَلِعا
برّاقةَ الثغرِ تَشفي القلبَ لذّتُها إذا مُقبّلُها في ريقِها كَرَعا (٢)
كالأقحوانِ بضاحي الروضِ صبّحه
غيثٌ أرشُّ بتنضاحٍ (٣) وما نقعا (٤)
صلّى الذي الصلواتُ الطيّباتُ له والمؤمنون إذا ما جمّعوا الجُمَعا
على الذي سبقَ الأقوامَ ضاحيةً بالأجرِ والحمدِ حتى صاحباه معا
هو الذي جمعَ الرحمنُ أمّتَه على يديه وكانوا قبلَه شِيَعا (٥)
عُذْنا بذي العرشِ أن نحيا ونَفْقِدَه وأن نكونَ لِراعٍ بعدَه تَبَعا
إنّ الوليدَ أميرَ المؤمنين له مُلْكٌ عليه أعانَ اللهُ فارتفعا
لا يَمْنَعُ الناسُ ما أعطى الذين هُمُ له عبادٌ ولا يُعطونَ ما منعا

فقال له الوليد : صدقت يا عبيد ، أنّى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله ، قال الوليد : لو غير هذا قلت لأحسنتُ أدبك ، قال ابن سريج : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قال الوليد : يزيد في الخلق ما يشاء ، قال ابن سريج : هذا من فضل ربي لِيَبْلُوَني أأشكر أم أكفر . قال الوليد : لِعلمُك ، والله ، أكبر وأعجب إليّ من غنائك ! غنّي ، فغناه بشعر عدي بن الرّقاع العامِليّ يمدح الوليد :

عرفَ الديارَ توهّماً فاعتادَها (٦) من بعدِ ما شَمِلَ البِلى أبلادَها (٧)

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصَفا .
(٢) يقال : كرع في الماء يكرع كروعاً وكرعاً اذا تناوله بفيه من موضعه من غير ان يشرب بكفيه ولا باناء .
(٣) التنضاح : من النضح وهو الرش ، يريد انه يبله بالقليل من المطر .
(٤) ما نقعا اي ما أروى .
(٥) شيعا : فرقا .
(٦) اعتادها : اعاد النظر اليها مرة بعد اخرى لدروسها حتى عرفها .
(٧) أبلادها : آثارها جمع بلد وهو الأثر .

وَلرُبَّ واضحةِ العوارضِ [١] طَفلةٍ [٢]
كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بها أوتادها

إنّي إذا ما لم تَصِلْني خُلَّتي [٣] وتباعدت منّي اغتفرتُ بِعادَها
صلى الإلهُ على امرئٍ ودَّعتُه وأتمَّ نِعمتَه عليه وزادَها
وإذا الرَّبيعُ تتابعت أنواؤه [٤] فسقى خُناصِرةَ [٥] الأحصِّ فجادَها
نزَلَ الوليدُ بها فكان لأهلِها غيثاً أغاثَ أنيسَها وبلادَها
أوَلا ترى أن البريّةَ كلَّها ألقتْ خزائِمَها إليه فقادَها
ولقد أراد الله إذ ولّاكَها من أمّةٍ إصلاحَها ورشادَها
أعمَرْتَ أرضَ المسلمين فأقبلَتْ وكففتَ عنها من يرومُ فسادَها
وأصبتَ في أرضِ العدوِّ مصيبةً عمَّتْ أقاصيَ غورِها ونجادَها
ظَفَراً ونصراً ما تناولَ مثلَه أحدٌ من الخلفاءِ كان أرادَها
فإذا نشرْتُ له الثناءَ وجدتُه جمعَ المكارمَ طِرفَها وتلادَها

فأشار الوليدُ إلى بعض الخدم، فغطوه بالخِلَع ووضعوا بين يديه كيساً من الدنانير وبِدَراً من الدراهم، ثم قال الوليد بنُ عبد الملك: يا مولى بني نوفل بن الحارث، لقد أوتيت أمراً جليلاً، فقال ابن سريج: يا أمير المؤمنين! لقد آتاك الله ملكاً عظيماً وشرفاً عالياً، وعزاً بسط يدك فيه فلم يَقبِضْه عنكَ ولا يفعلُ إن شاء الله، فأدام الله لك ما ولّاك، وحفظك فيما استرعاك، فإنك أهلٌ لما أعطاك، ولا نزعه منك إذ رآك له موضعاً، قال: يا نَوفليُّ، وخطيبٌ أيضاً! قال ابن

(١) العوارض: الثنايا، سميت بذلك لأنها في عرض الفم.
(٢) الطفلة: الرخصة الناعمة.
(٣) خلتي: صديقتي.
(٤) أنواء: جمع نوء وهو النجم إذا مال للمغيب. وكانت العرب إذا مال نجم قالوا: لا بد من ان يكون مطر او رياح.
(٥) خناصرة: بليدة من اعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية، وهي مدينة كان ينزلها عمر بن عبد العزيز وهي صغيرة وقد خربت الآن إلا اليسير منها وهي قصبة كورة الأحص وهي كورة كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب.

سريج : عنك نطقت ، وبلسانك تكلمت ، وبعزك بينت ؛ وقد كان أمر بإحضار الاحوص بن محمد الأنصاري وعدي بن الرِّقاعِ العاملي ، فلما قدما عليه أمر بانزالهما حيث ابن سريج ، فأُنزِلا منزلاً الى جنب ابن سريج ، فقالا : والله لَقُربُ امير المؤمنين كان احب الينا من قربك يا مولى بني نوفل ، وإن في قربك لما يلذّنا ويشغلنا عن كثيرٍ مما نريد ، فقال لهما ابن سريج : أوَ قِلَّةُ شكرٍ ! فقال له عدي : كأنك يا بن اللَّخْناء تمنُّ علينا ، عليَّ وعليَّ ، إن جمعنا وأباك سقف بيتٍ او صحنُ دارٍ إلا عند امير المؤمنين . واما الاحوص فقال : او لا تحتمل لأبي يحيى الزَّلّةَ والهفوة ! كفّارةُ يمين خيرٌ من عدم المحبة ، واعطاءُ النفس سُؤْلَها خيرٌ من لجاجٍ[1] في غير منفعة ! فتحول عدي وبقي عنده الاحوصُ ، وبلغ الوليد ما جرى بينهم ، فدعا ابن سريج وادخله بيتاً وارخى دونه ستراً ، ثم امره إذا فرغ الاحوص وعدي من كلمتيهما أن يغني ، فلما دخلا وانشداه مدائح فيه ، رفع ابن سريج صوته من حيثُ لا يرونه وضرب بعوده ، فقال عديٌ : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أتكلم ؟ فقال : قل يا عاملي ، قال : أمِثلُ هذا عند امير المؤمنين ، ويبعث الى ابن سريج يتخطى به رقاب قريش والعرب من تهامة الى الشام ! ترفعه أرضٌ وتخفضه اخرى فيقال : من هذا ؟ فيقال : عبيد بن سريج مولى بني نوفل بعث امير المؤمنين اليه ، ليسمع غناءه ! فقال : ويحك ياعدي ! أو لا تعرف هذا الصوت ؟ قال : لا ، والله ما سمعته قط ولا سمعت مثله حُسناً ، ولولا انه في مجلس امير المؤمنين لقلت : طائفة من الجن يتغنون ، فقال : اخرج عليهم ، فخرج فإذا ابن سريج ، فقال عدي : حق لهذا أن يُحملَ ! حقٌ لهذا أن يحمل — ثلاثاً — ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لابن سريج ، وارتحل القوم ، وكان الذي غناه أن

(١) اللجاج : التمادي في الخصومة ، او انه من اللجاج وهو ان يحلف على شيء ويرى ان غيره خير منه فيقيم على يمينه ولا يحنث فذلك آثم .

سريج من شعر عمر بن أبي ربيعة :

بالله يا ظبيَ بني الحارثِ هل مَنْ وفى بالعهدِ كالنّاكثِ
لا تخدعَنّي بالمُنى باطلاً وأنت بي تلعبُ كالعابثِ
حتّى متى أنتَ لنا هكذا نفسي فداءٌ لكَ يا حارثي
يا مُنتهى همّي ويا مُنيتي ويا هوَى نفسي ويا وارثي

كانوا ينكرون عليه حتى سمعوه

قال : وبلغني ان رجلاً من الاشراف من قريش من موالي ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وانكره عليه وقال : لو أقبلت على غيره من الآداب لكان أزين بمواليك وبك ! فقال جُعلتُ فداك ! امرأته طالقٌ إن أنت لم تدخل الدار ، فقال الشيخ : ويحك ؛ ما حملك على هذا ؟ قال : جُعلتُ فداك قد فعلتُ ، فالتفت النوفلي الى بعض من كان معه متعجباً مما فعل ، فقال له القوم : قد طلقتَ امرأته إن أنت لم تدخل الدار ، فدخل ودخل القوم معه ، فلما توسطوا الدار قال : امرأته طالق إن أنت لم تسمع غنائي ، قال اعزُب عني يا لُكَع(١) ! ثم بدر الشيخ ليخرج ، فقال له أصحابه : أتُطلّق امرأته وتحمل وِزرَ ذلك ؟ قال : فوزْرُ الغناء أشدّ ، قالوا : كلاّ ، ما سوّى الله عز وجل بينهما ، فأقام الشيخ مكانه ، ثم اندفع ابن سريج يغني في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب :

أليستْ بالتي قالتْ لمولاةٍ لها ظهرا
أشيري بالسّلامِ له إذا هو نحونا خطرا
وقولي في مُلاطفةٍ لزينبَ نوّلي عمرا
أهذا سِحرُك النّسوا نَ قد خبّرنني الخبرا

---

(١) الكع : اللئيم .

فقال للجماعة : هذا والله حسنٌ ! ما بالحجاز مثله ولا في غيره ، وانصرفوا .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه عن الاصمعي قال : قال عبد الله ابن عُمَير الليثي لابن سريج : لو تركتَ الغناء ! وعاتبه على ذلك ، فقال : جعلت فداك ، لو سمعته ما تركته ، ثم قال : امرأته طالق ثلاثا إن لم تدخل الدار حتى تسمع غنائي ، فالتفت عبد الله الى رفيق له كان معه فقال : ما تنتظر ؟ ادخل بنا وإلا طلقت امرأة الرجل ، فدخلا مع ابن سريج فغنى بشعر الاحوص :

صوت

لقد شاقَكَ الحيُّ إذ وَدَّعوا   فعينُكَ في إثرِهِمْ تَدْمَعُ
وناداكَ للبَيْنِ غِرْبانُـــه   فَظِلْتَ كأنك لا تسمعُ

ثم قـــال : امرأته طالق إن أنت لم تستحسنه لأتْرُكَنَّه ، فتبسم عبد الله وخرج .

نسبة ما في هذه الاخبار من الأصوات

منها : الصوت الذي أوّله في الخبر :

* جَدِّدي الوَصْلَ يا قريب وجودي *

أوّله :

صوت

إنَّ طَيْفَ الخيالِ حينَ ألمَّا   هاجَ لي ذُكْرَةً وأحدث همَّا
جَدِّدي الوَصْلَ يا قريب وجُودي   لمحُبٍّ فِراقُه قـــد ألمَّــا

لبس بين الحياةِ والموتِ إلا أن يَرُدُّوا جِمالَهم فتُزَمَّا
ولقد قلتُ مُخْفِياً لغريضٍ هل تَرى ذلك الغزال الأحمّا
هل تَرى مثله من الناسِ شَخْصاً أكمَلَ الناسِ صورةً وأتمّا

عروضه من الخفيف . الشعر لعمر بن ابي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثقيل اول بالوسطى عن الهشامي . وفيه للغريض ايضاً ثقيل اول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

اخبرني الحسن بن علي قال حدثنا احمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال :

أُنشِدَ جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين – عليهم السلام – قول عمر :

لبس بين الحياة والموت إلا أن يَرُدُّوا جِمالَهم فتُزَمّا

فطرب وارتاح وجعل يقول : لقد عَجَّلُوا البَيْنَ ، أفلا يُوكُون[1] قِرْبَةً . أفلا يودعون صديقاً . أفلا يَشُدُّونَ رَحْلا . حتى جرت دموعه .

وحدثنا الحرمي بن ابي العلاء عن الزبير فذكر مثله .

ومنها :

صوت

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الرَّحيل وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ
لو كنتُ أعلمُ أن آخرَ عهدِكم يومُ الرَّحيل فعلتُ ما لم أفعلِ

عروضه من الكامل . الشعر لجرير . والغناء لابن سريج ثقيل اول بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه الى احد . وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن ابن المكي ايضاً . ومما يشك فيه انه لمعبد او لكردم ابنه في البيت الثاني والأول ثاني ثقيل . ولعريب في هذين البيتين لحن من رواية ابن المعتز غير مجنس .

---

(١) اوكى القربة : شدها بالوكاء وهو الرباط الذي يشد به رأسها .

ومنها :

صوت

أَمَنْزِلَتَيْ سَلْمَى على القِدَمِ اسْلَمَا فقد هِجْتُما للشوق قلباً مُتَيَّمَا
وذَكَّرْتُما عصرَ الشبابِ الذي مضى وجِدَّةَ وَصْلٍ حبلُه قد تَجَذَّمَا

عروضه من الطويل . والشعر للأحوص . والغناء لكَرْدَمٍ ثاني ثقيل بالوسطى ، وقيل : إن هذا الثقيل الثاني لمحمد الرَّف [١] ، وإن فيه لحناً من الثقيل الأول لكردم .

ومنها :

صوت

عرفَ الديارَ توهُّماً فاعتادَها من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلَى أبْلادَها
إلا رَوَاكِدَ [٢] كُلُّهُنَّ قد اصْطَلَى حَمْراءَ أكثرَ أهلُها إيقادَها

عروضه من الكامل . الشعر لعدي بن الرقاع العاملي . والغناء لابن محرز ثقيل اول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمالك ثقيل اول بالبنصر عن عمرو . وفيه لحن لابراهيم . وفي هذه الاخبار انه لابن سريج . وذكر حماد في كتاب ابن محرز انه مما ينسب الى ابن مسجح او الى ابن محرز .

---

(١) ورد في الجزء الخامس من الأغاني في نسب إبراهيم الموصلي واخباره هكذا محمد الزف ، بالزاي المعجمة ، وقد يرجح هذه الرواية ان الزف في اللغة السرعة وهو قوي المناسبة بما سيأتي من انه كان اروى خلق الله للغناء واسرعهم اخذاً لما سمعه منه ليست عليه في ذلك كلفة وإنما يسمع الصوت مرة واحدة وقد اخذه .

(٢) الرواكد : الأثافي ، مشتق من الركود وهو الثبوت .

ومنهـــا :

صوت

بالله ِ يا ظَبْيَ بني الحـــارثِ هل مَنْ وَفي بالعهدِ كالنَّاكثِ
لا تخدَعَـــني بالمُنَى باطِلاً وأنت بي تلعَب كالعَـــابِثِ

عروضه من السريع . الشعر لعمر بن ابي ربيعة . والغناء لابن سريج ولحنه خفيف ثقيل اول بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة انه لسياط . وذكر الهشامي وبذل ان فيه لابراهيم الموصلي لحناً آخر . وفيه خفيف رمل بالبنصر ذكر حبش انه لإبراهيم بن المهدي ، وغيره ينسبه الى إسحاق .

ومنها :

صوت

– وهو الذي أوله في الخبر :

أليستْ بالتي قالتْ لمولاةٍ لهـــا ظهرا
تَصابَى القلبُ فادَّكَرا هَوَاه ولم يَكُنْ ظَهَرا
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا صَفاءً لم يكن كَدَرا
أليستْ بالتي قالتْ لمولاةٍ لهـــا ظهرا
أشيري بالسَّلامَ له إذا هو نحونا نَظَرا
وقولي في مُلاطَفَةٍ لزينبَ نَوِّلِي عُمَرا
فهزَّتْ رأسَها عَجَباً وقالتْ مَنْ بِذَا أمَرا
أهذا سِحْرُكَ النِّسْوا ن قد خَبَّرْنَنِي الخَبَرا

طَرِبْتَ وَرَدَّ من تَهْوى جِمالُ الحيِّ فابتكرا(١)
فقلْ للبربريّةِ لا تَلُومِي القلبَ إنْ جَهرا
بَطِرْتَ وهكذا الانسا نُ ذو بَطَرٍ إذا ظَفِرا
فأينَ العهدُ والميثا قُ لا تُخبِرْ بنا بَشَرا

عروضه من الوافر (٢) . الشعر لعمر بن ابي ربيعة . والغناء لابن سريج في الثالث والرابع والخامس والاول خفيف ثقيل اول مطلق في مجرى البنصر عن اسحاق. وللغريض في السابع والثامن والاول لحن من القدر الاوسط من الثقيل الاول بالوسطى في مجراها عن إسحاق . ولمعبد فى هذه الابيات كلها لحن من يونس ودنانير ولم يجنساه وذكر الهشامي انه خفيف ثقيل . وفي السابع والثامن والتاسع رمل لدحمان ، ويقال انه للزبير ابنه . ولمالك لحن اوله :

صوت

لقدْ أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ
وقُولِي في مُلاطفةٍ لزينبَ نَوِّلي عُمَرَكْ
فهزّتْ رأسَها عَجَباً وقالتْ مَنْ بذا أمرَكْ
أهذا سحرُكِ النسوا نَ قد خبّرْنَني خَبرَكْ

ولحن مالك هذا خفيف ثقيل بالوسطى من رواية ابن المكي ، وهذا يروي الشعر ويجعل قوافيه كلها على الكاف . وفي هذه الابيات بعينها على هذه القافية خفيف رمل ينسب الى ابن سريج والى الغريض . وذكر حبش ان فيه لمعبد لحناً من الرمل اوله الثالث من الابيات الأُوَل المذكورة .

---

(١) هذا البيت مطلع قصيدة اخرى في ديوانه ، ومنها البيت الذي بعده ، ثم البيت الاخير وقد رويا فيه هكذا :

فأين العهد والميثا ق لا تشعر بنا بشرا
وقولا في ملاطفة أزينب نولي عمرا
وقل للمالكية لا تلومي القلب إن هجرا

(٢) يريد انه من مجزوء الوافر وهو ما حذف جزء من صدره وآخر من عجزه .

رجع الخبر إلى سياقة احاديث ابن سريج

احسن الناس غناء

أخبرنا يحيى [١] بن علي ووكيع وجحظة قالوا : حدثنا حماد بن إسحاق عن ابيه قال : قال الفضل بن يحيى : سألت أباك ليلةً – وقد أخذ منه الشراب – عن أحسن الناس غناء ، فقال لي : من النساء أم من الرجال ؟ قلت : من الرجال ، قال : ابن مُحرز ، فقلت : فمن النساء ؟ قال : ابن سريج . قال إسحاق لي : ويقال أحسن الرجال غناء من تشبَّه بالنساء ، وأحسن النساء غناء من تشبه بالرجال . قال يحيى بن علي خاصَّة : ثم كان ابن سريج كأنه خلق من قلب كل واحد فهو يغني له بما يشتهي .

ابن سريج في اندية مكة :

اخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد : قرأت على ابي عن الهيثم بن عدي قال :

قال ابن سريج مررت ببعض اندية مكة وفيه جماعة ، فحَصِرْتُ [٢] فقلت : كيف أجُوزُهم مع تعبي وما أنا فيه . فسمعتهم يقولون : قد جاء ابن سريج ، فقال بعضهم ممن لم يعرفني : ومَن ابن سريج ؟ فقال : الذي يغني :

ألا هل هاجَكَ الاظعانُ إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحا

قال ابن سريج : فلما سمعت ذلك قَوِيَتْ نفسي واشتدت مُنَّتي [٣] ومررت بهم أخطر في مُصبَّغاتي ، فلما حاذيتهم قاموا بأجمعهم فسلموا علي ثم قالوا لأحداثهم : امشوا مع أبي يحيى .

---

(١) وفي بعض النسخ « علي بن يحيى » .
(٢) معناه احجمت عن المرور عليهم ، وكل من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصر عنه .
(٣) منتي : قوتي

ابن سريج مع فتية من بني مروان

وقد حدثني عمي بهذا الخبر فقال حدثني ابو ايوب المديني قال حدثني محمد بن سلام عن جرير قال :

قال لي ابن سريج : دعاني فتية من بني مروان فدخلت اليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية ، وهم في القُوهيّ والوَشْي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية (١) فغنيتهم — وأنا محتقر لنفسي عندهم — لحناً لي وهو :

صوت

أبا الفُرعِ لم تَظعَنْ مع الحيّ زينبُ　　بنفسي على النأي الحبيبُ المغيَّبُ

بوَجْهِكِ عن مَسّ التراب مَضَنَّةٌ (٢)
فلا تَبْعُدي إذ كلُّ حيّ سيَعْطَبُ

— ولحن ابن سريج هذا رملٌ بالخنصر في مجرى البنصر — قال : فتضاءلوا في عيني حتى ساويتهم في نفسي لِما رأيتهم عليه من الاعظام لي ، ثم غنيتهم :

ودّع لُبابة قبل ان تترحّلا　　واسأل فان قلاله ان تسألا

فطربوا وعظّموني وتواضعوا لي حتى صرت في نفسي بمنزلتهم لِما رأيتهم عليه ، وصاروا في عيني بمنزلتي ، ثم غنيتهم :

ألا هل هاجك الاظعا　　نُ إذ جاوَزْنَ مُطلحا

فطربوا ومثَلُوا بين يديّ ورموا بحللهم كلها عليّ حتى غطوني بها ، فمثَلَتْ لي نفسي أنها نفس الخليفة وأنهم لي خَوَلٌ (٣) ، فما رفعت

(١) نسبة الى هرقل احد ملوك الروم وهو اول من ضرب الدنانير .
(٢) المضنة بفتح الضاد وكسرها البخل .
(٣) الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، الواحد والجميع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء .

طرفي اليهم بعد ذلك تيهاً . وقد مضت نسبة « ودع لبابة » في أخبار عمر بن أبي ربيعة وغيره ، وأما

ألا هَلْ هاجَكَ الأظْعا نُ ... ...

فنذكر نسبته :

نسبة هذا الصوت

صوت

ألا هلْ هـاجَكَ الاظعا نُ إذ جاوَزْنَ مُطَّلَحـا
نَعَمْ ولوشْكِ بينِهِـمُ جَرَى لكَ طائرٌ سُنُحا [١]
أجزْنَ الماءَ من رَكَكٍ [٢] وضوءُ الفجرِ قد وَضَحـا
فقُلْنَ مَقيلُنـا قَرْنٌ [٣] نُباكِرُ مـاءَهُ صُبُحـا
تَبِعْتُهُمُ بطَرْفِ العَيْـنِ حتى قِيلَ لي افتَضَحا
يُوَدِّعُ بَعضُنا بعضـاً وكلٌّ بالهَـوَى جُرِحـا
فمَنْ يَفرَحْ بِبَيْنِهِـمُ فغَيْرِي إذ غَدَوْا فَرِحـا

---

(١) سنح الطائر : ولاك ميامنـه ضد برح : ولاك مياسره . قال ابن بري : العرب تختلف في العيافة يعني في التيمن بالسانح والتشاؤم بالبارح ، فأهل نجد يتيمنون بالسانح كقول ذي الرمة وهو نجدي :

خليلي لا لاقيتما مـا حييتما من الطير إلا السانحات واسعدا

وقال النابغة وهو نجدي فتشاءم بالبارح :

زعم البوارح ان رحلتنا غداً وبذاك تنعاب الغراب الأسود

وقال كثير وهو حجازي ممن يتشاءم بالسانح :

اقول إذا ما الطير مرت مخيفة سوانحها تجري ولا استثيرها

فهذا هو الأصل ، ثم قد يستعمل النجدي لغة الحجازي فمن ذلك قول عمرو بن قيئة وهو نجدي :

فبيني على طير سنيح نحوسه وأشأم طير الزاجرين سنيحها

(انظر اللسان مادة سنح) .

(٢) ركك : محلة من محال سلمى احد جبلي طيء ، قال الأصمعي : قلت لأعرابي : أين ركك؟ قال : لا اعرفه ولكن ها هنا ماء يقال له رك .

(٣) المراد به قرن المنازل وقد شرح فيا مضى مراراً .



ابن سريج

عروضه من الوافر . الشعر لأبي دَهبل (١) الجمحي . والغناء لمالك وله فيه لحنان ثقيل اول بالبنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . ولمعبد فيه ثقيـل اول بالخنصر في مجرى الوسطى . ولابن سريج في الخامس وما بعده ثقيل اول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش .

مدح جرير لابن سريج :

اخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه قال : قدم جرير المدينة أو مكة فجلس مع قوم فجعلوا يعرضون عليه غناء رجل من المغنين ، حتى غنوه لابن سريج فطرب وقال : هذا أحسن ما أسمعتموني من الغناء كلـه ، قالوا : وكيف قلت ذاك يا أبا حَزْرَةَ ؟ قال : مَخْرَجُ كل مـا أسمعتموني من الغناء من الرأس ، ومخرج هذا من الصدر .

نقد موسيقي :

اخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني ابي قـال حدثني إبراهيم بن محمد الشافعي قال :

جاء سندة الخياط المغني إلى الافلح المخزومي – وكان يوصف بعقلٍ وفضلٍ – فقال له : من اين أقبلتَ ؟ وإلى أين تمضي ؟ فقـال : اليكَ قصدت من مجلس لبعض القرشيين أقبلت مُحاكِماً اليكَ ، قال : فماذا ؟ قال : كنتُ عند هذا الرجل وحضرَتْ مجلسه رقطاءُ الحَبَطيَّيْنَ ، وصفراء العَلْقَميّينَ ، فتناولتا بينهما رمل ابن سريج :

لَيتَ شِعْري كيفَ أبْقَى ساعةً   معَ ما ألْقَى إذا الليلُ حَضَرْ
مَن يَذُقْ نوماً ويَهْدأ ليلَه   فلقد بُدِّلْتُ بالنومِ السَّهَرْ
قلتُ مَهْلاً إنها جِنِّيَّــةٌ   إن تُخالِطْها تَفزْ منها بشَرّ

فغنتاه جميعاً واختلفنا في تفضيلها ، ففضل كل فريق منا إحداهمـا ،

(١) ابو دهبل الجمحي : نسبة الى جمح ، وبنو جمح من قريش وهم بنـو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي .

فرضينا جميعاً بحكمك ، فاحكم بيننا وبينهما ؛ قال : فوجم ساعة – واهل الحجاز إذا أرادوا أن يحكموا تأملوا ساعة ثم حكموا ، فاذا حكم الحكَمُ مضى حكمه كائناً ما كان ، ففضل مَنْ فضّله وأسقط من أسقطه ، إذا تراضى الخصمان به – فكَرِهَ الافلج ان يرضي قوماً ويُسخِط آخرين ، فقال لسنده : صفهما أنت لي كيف كانتا إذ غنتاه وأشرح لي مذهبهما فيه كما سمعت ، وانا أحكُمُ بعد ذلك . فقال سندة : اما جارية الحَبَطِيّين ، فأنها كانت تلوك لحنه كما يلوك الفرس العتيق لجامه ، ثم تلقيه في هَامَةِ لَدْنَةٍ ثم تُخرجه من مَنْخَرٍ أغَنَّ ، والله ما ابتدأَتْه فتَوسَّطَتْه وانا أعقِل ، ولا فرَغَتْ منه فأفقتُ إلا وانا اظن اني رأيته في نومي ، وأما صفراء العلقميين ، فإنها أحسنهما حَلْقاً ، وأصحهما صوتاً ، وألينهما تَثَنّياً ، والله ما سمعها احد قط فانتفع بنفسه ولا دينه . هذا ما عندي ، فاحكم أنت يا أخا بني مخزوم ، فقال : قد حكمت بانهما بمنزلة العينين في الرأس ، فبأيهما نظرت ابصرت ، ولو كان في الدنيا من عُبَيدِ بن سريج خَلَفٌ لكانتا . قال : فانصرفوا جميعاً راضين بحكمه .

سيّد من غنّى

أخبرني الحسين عن حماد عن ابيه عن محمد بن سلام قال :

سألت جريراً المديني عن ابن سريج ، فقال : أتذكره ويحك باسمه . ولاتقول: سيد من غنى وواحد من ترنم .

ثناء الشعبي عليه

قال حماد وحدثني ابي عن هارون بن مسلم عن محمد بن زهير السعدي الكوفي عن ابي بكر بن عياش عن الحسن بن عمرو الفقيمي قال :

دخلتُ على الشَّعْبيّ ، فبينا أنا عنده في غرفته ، إذ سمعت صوت غناء ، فقلت : أهذا في جوارك ؟ فأشرف بي على منزله ، فاذا بغلامٍ

كأنه فِلْقَةُ قمر وهو يتغنى : قال إسحاق : وهذا الغناء لابن سريج :

وقَمِيرٌ بَدَا ابنَ خمسٍ وعشرين له قالت الفتاتانِ قوما[1]

قال : فقال لي الشعبي : أتعرف هذا قلت : لا ، فقال : هذا الذي أوتي الحكم صبيا . هذا ابن سريج .

عندما يتغنى بشعر عمر

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني ابو ايوب المديني قال : قال الهشامي الربعي عن اسحاق الموصلي قال :

تغنى ابن سريج في شعر لعمر بن ابي ربيعة وهو :

صوت

خانكَ مَنْ تهوى فلا تخنهُ وكُنْ وفياً إن سلوْتَ عنهُ

واسلك سبيل وَصْلِه وصُنْهُ إن كان غدّاراً فلا تكُنْهُ

عسى تباريحُ تجيءُ منه فيرجع الوَصلُ ولم تَشِنْهُ

قال المكّيّون : قال ابن سريج : ما تغنيت بهذا الشعر قط إلا ظننت أني أحلّ محل الخليفة .

قال مؤلف هذا الكتاب ابو الفرج الاصفهاني : وجدت في هذا الشعر لحنين - احدهما ثقيل اول والآخر رمل - مجهولين جميعاً ، فلا ادري أيها لحنه .

من هو المغني الحسن

ونسخت من كتاب العتابي : اخبرني عون بن محمد قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع عن جده الفضل عن ابن جامع عن سياط عن يونس الكاتب عن مالك بن ابي السمح قال :

سألت ابن سريج عن قول الناس : فلان يصيب وفلان يخطيء ،

---

(١) اصله قومن بنون التوكيد الخفيفة ثم ابدلت ألفا كقوله :

ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وفلان يحسن وفلان يسيء ، فقال : المصيب المحسن من المغنين هو الذي يُشبِع الالحان ، ويملأ الانفاس ، ويعدل الاوزان ، ويفخّم الالفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الاعراب ، ويستوفي النغم الطـوال ، ويُحسّن مقاطيع النغم القصار ، ويصيب أجناس الايقاع ، ويختلس مواقع النبرات ، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات ، فعرضت ما قال على معبد فقال : لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا .

أطرب الناس :

اخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني احمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني الزبير بن بكار عن ظبية :

أن يزيد بن عبد الملك قال لحبابة يومـاً : أتعرفين أحداً هو أطرب مني ؟ قالت : نعم ، مولاي الذي باعني ، فأمر بإشخاصه فأُشخص اليـه مقيّداً ، وأعلم بحـــاله فأذن في ادخاله ، فمثل بين يديه وحبابة وسلامة تغنيان ، فغنته سلامة لحن الغريض في :

تشُطُّ غداً دارُ جيراننا

فطرب وتحرك في أقياده ، ثم غنته حبابة لحن ابن سريج المجرد في هذا الشعر ، فوثب وجعل يحجُلُ (١) في قيده ويقول : هذا وأبيكما مـا لا تعذلاني فيه ، حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت ، وجعل يصيح : الحريق الحريق يا اولاد الزنا ، فضحك يزيد وقال : هذا والله أطرب الناس حقاً ، ووصله وسرّحه الى بلده .

يوم غشي على ابن جريج :

اخبرني الحسن بن علي قال حدثنا فضل اليزيدي عن اسحاق :

ان ابن سريج كان جالساً فمر به عطاء وابن جريج ، فحلف عليهما

(١) حجل المقيد من باب قتل وضرب حجلا وحجلانا: رفع رجلا وتريث في مشيه على رجله الاخرى.

بالطلاق ان يغنيها ، على أنها إن نهياه عن الغناء بعد ان يسمعـا منه تركه ، فوقفا له وغناهما :

إخوتي لا تَبْعُدوا أبداً وابَلى والله قد بَعُدوا

فغُشِيَ على ابن جريج وقام عطاء فرقص ، ونسبة هذا الصوت وخبره يذكر في موضع آخر .

عندما ركب الحاج بعضهم بعضاً :

اخبرني الحسن قال حدثنا الفضل عن إسحاق ان ابن سريج كان عند بستان ابن عامر يغني :

لِمَنْ نارٌ بأعْلى الخَيْفِ (١) دونَ البئر ما تَخْبُو
أرِقْتُ لذكرِ موقعِها فحَنَّ لذكرِها القلبُ
إذا ما أخْمِدَتْ أُلْقِي عليها المَنْدَلُ (٢) الرَّطْبُ

فجعل الحاجُ يركب بعضهم بعضاً ، حتى جـاء إنسان من آخر القطرات (٣) فقال : يا هذا ، قد قطعت على الحاجّ وحبستهم ، والوقت قد ضاق فاتق الله وقم عنهم ، فقام وسار الناس .

جائزة سليمان :

اخبرني الحسن قال حدثني محمد بن زكريا قال حدثني يزيد بن محمد عن إسحاق الموصلي :

أن سليمان بن عبد الملك لما حج سبّق (٤) بين المغنين بَدْرَةً (٥) ، فجاء ابن سريج وقد أغلق الباب ، فلم يأذن له الحاجب ، فأمسك حتى

(١) الخيف : ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن سيل الوادي .
(٢) المندل : العود .
(٣) القطرات : جمع قطر وهو جمع لقطار .
(٤) سبق بين المغنين بدرة : جعلها سبقاً بينهم ، لمن غلب اخذها .
(٥) البدرة : كيس فيه الف درهم او عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار .

سكتوا وغنى :

سرى همّي وهمّ المرء يسري

فأمر سليمان بدفع البَدْرَة اليه .

نسبة هذا الصوت

صوت

سرَى همّي وهمّ المرء يَسْرِي وغاب النّجْمُ إلا قِيسَ[1] فِتْرِ
أراقِبُ في المَجَرّة[2] كلَّ نجمٍ تعرّضَ للمَجَرّةِ كيفَ يَجْرِي
لِهَمٍّ لا أزالُ له مُدِيمًا كأن القلبَ أُسْعِرَ حرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخي ولّى حَميداً وأيُّ العَيْشِ يَصْفُو بعدَ بَكْرِ

الشعر لعُرْوَةَ بن أذينة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه لأبي عَبّاد[3] رمل بالوسطى . وذكر الهشامي أن هذا اللحن لصاحب الحَرُونِ .

وفاة ابن سريج :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه قال :

قال ابن مِقْمَّة : دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه ، فقلت : كيف أصبحت يا أبا يحيى ؟ فقال : أصبحت والله كما قال الشاعر :

---

(١) القيس والقاس : القدر . والفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة .

(٢) المجرة : منطقة ضيقة بيضاء غير منتظمة تقسم الكرة السماوية إلى قسمين متساويين تقريباً من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وعرضها متغير جداً ورأى « هرشل » ان عدد النجوم التي تشتمل عليها المجرة لا تقل عن خمسين مليوناً من النجوم ولا يمكن رؤية نجم منها على انفراده بالعين المجردة وضوءها اللبني الذي يرى في الليالي الخالية من القمر وعندما يكون الجو صافياً ، ناشيء من اجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض .

(٣) كنية معبد المغني .

كأنّي من تذكّرِ ما ألاقي إذا ما أظلم الليلُ البهيمُ
سقيمٌ ملَّ منه أقربوه وأسلمه المداوي والحميمُ

ثم مات

قال إسحاق : قال ابن مقسمة : لما احتُضِرَ ابن سريج نظر الى ابنته تبكي فبكى ، وقال : ان من اكبر همي أنتِ ، وأخشى ان تضيعي بعدي ، فقالت : لا تخف فما غنيت شيئاً إلا وأنا أغنيه ، فقال : هاتي ، فاندفعت تغني أصواتاً وهو مصغٍ اليها ، فقال : قد أصبتِ ما في نفسي ، وهوّنتِ عليّ أمرك ، ثم دعا سعيد بن مسعود الهذليّ فزوجه إياها ، فأخذ عنها اكثر غناء أبيها وانتحله ، فهو الآن يُنسبُ اليه ، قال إسحاق : فقال كثيرُ بنُ كثيرٍ السهمي يرثيه :

ما اللهوُ بعدَ عبيدٍ حين يخبُرُه مَنْ كانَ يلهو به منه بمُطَّلبِ
لله قبرُ عبيدٍ ما تضمّن من
لذاذةِ العيشِ والاحسانِ والطربِ
لولا العريضُ ففيه من شمائلِه مشابه(١) لم أكُنْ فيها بذي أربِ

قال إسحاقُ : وحدثني هشام بن المريّة أن قادماً قدم المدينة فسارّ معبداً بشيء ، فقال معبدٌ : أصبحت أحسن الناس غناءً ، فقلنا : أو لم تكن كذلك ! فقال : ألا تدرون ما أخبرني به هذا ! قالوا : لا ، قال : أعلمني أن عبيد بن سريج مات ، ولم أكن أحسن الناس غناء وهو حيٌّ . وفي ابن سريج يقول عمر بن ابي ربيعة :

(١) يقال : فيه مشابه من فلان اي اشباه (اي اشياء تتشابهان فيها) ولم يقولوا في واحدته مشبهة وقد كان قياسه ذلك ، ولكنهم استغنوا بشبه عنه فهو من باب ملامح ومحاسن ومساوىء ومقابح واحدها لمحة وحسن وسوء وقبح ، استغنوا بها عن لفظ واحدها .

صوت

قالتْ وعيناها تجودانها صوحبتَ واللهُ لكَ الراعي
يابنَ سريج لا تذِعْ سرَّنا قد كنتَ عندي غيرَ مذياع

غنى فيه ابن سريج من رواية يونس .

قال أبو ايوب المديني : توفي ابن سريج بالعلة التي أصابته من الجذام بمكة في خلافة سليمان بن عبد الملك او في آخر خلافة الوليد بمكة ودفن في موضع بها يقال له دسم [١]

وقفة على قبر ابن سريج بدسم

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال اخبرني هارون بن ابي بكر قال حدثني اسحاق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن ابيه قال :

إنا لبفناء دار عمرو بن عثمان بالابطح في صبح خامسة من الثمان – يعني أيام الحج – قال كنت جالساً أيام الحج ، فما ان دريت إلا برجلٍ على راحلةٍ على رحلٍ جميلٍ وأداةٍ حسنةٍ ، معه صاحب له على راحلةٍ قد جنب اليها فرساً وبغلاً ، فوقفا عليّ وسألاني فانتسبت لهما عثمانياً ، فنزلا وقالا : رجلان من أهلك لهما حاجة ونحبُّ ان تقضيها قبل أن نُشْدَه [٢] بأمر الحج ، فقلتُ : ما حاجتكما ؟ قالا : نريد انساناً يقفنا على قبر عبيد بن سريج ، قال : فنهضت معهما حتى بلغت بهما محلة بني أبي قارة من خزاعة بمكة وهم موالي عبيد بن سريج ، فالتمست لهما إنساناً يصحبهما حتى يقفهما على قبره بدسم ، فوجدت ابن أبي دباكلٍ [٣] فأنهضته معهما ، فأخبرني بعدُ : أنه لما وقفهما على قبره نزل أحدهما عن راحلته فحسر

(١) دسم : موضع قرب مكة كما في ياقوت .
(٢) نشده اي نشغل .
(٣) شاعر خزاعي من شعراء الحماسة ومعناه الغليظ الجلد السمج .

عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان ، فعقر ناقته واندفع يندبه بصوت شجي كليل حسن ويقول :

وقَفْنا على قبرٍ بدَسْمٍ فَهاجَنا
وذكّرنا بالعَيْشِ إذ هو مُصْحِبُ (١)
فجالتْ بأرجاءِ الجُفُونِ سَوافِحٌ من الدَّمْعِ تَسْتَتْلي الذي يَتعقّبُ
إذا أبطأتْ عن ساحةِ الخدِّ ساقَها دمٌ بعدَ دمعٍ إثْرَه يَتَصَبَّبُ
فإن تُسْعِدا نَنْدُبْ عُبَيداً بعَوْلَةٍ (٢)
وقَلَّ له منّا البُكا والتّحَوُّبُ (٣)

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته ، وقال له القرشي : خذ في صوت أبي يحيى فاندفع يتغنى :

أسْعِدَاني بعَبْرَةٍ أسْرابِ من دُمُوعٍ كثيرةِ التَّسْكابِ
إنَّ أهلَ الحِصابِ قد تركُوني مُولَهاً مُولَعاً بأهلِ الحِصابِ
أهلِ بيتٍ تتايَعُوا (٤) للمَنايا ما على الموت بعدَهم من عِتابِ
فارَقُوني وقد علمت يقيناً ما لِمَنْ ذاقَ مِيتَةً من إيابِ
كم بذاكَ الحجُونِ (٥) من أهل (٦) صِدْقٍ
وكُهُولٍ أعِفَّةٍ وشَبابِ
سكَنُوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أبي مو سى إلى النَّخْلِ من صُفِيِّ السِّبابِ (٧)

(١) المصحب : الذليل المنقاد بعد صعوبة .
(٢) يقال : أعول وعول إذا رفع صوته بالبكاء والصياح ، والاسم منه العول والعولة والعويل .
(٣) التحوب : الترجع .
(٤) في بعض النسخ : « تتابعوا » بالباء ، والتتايع : الوقوع في الشر من غير فكر ولا روية والمتابعة عليه والتهافت فيه ، ولا يكون في الخير . وقد قيل : إن التتايع في الشر كالتتابع في الخير .
(٥) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن اهلها .
(٦) رواية ياقوت في الكلام على صفي السباب :

كم بذاك الحجون من حي صدق من كهول أعفة وشباب

(٧) صفي السباب : موضع بمكة ، وقال الزبير : انه ماء بين دار سعيد الحرشي التي تناوح بيوت ابي القاسم بن عبد الواحد التي في اصلها المسجد الذي صلى عنده على امير المؤمنين ابي جعفر المنصور ، وكان به عدة نخل وحائط لمعاوية فذهب ويعرف بحائط خرمان ، والمراد بأبي موسى ابو موسى الأشعري .

فَلِيَ الويلُ بعدَهم وعليهــمْ صِرْتُ فرداً ومَلَّني أصْحابي

قال ابن ابي دُباكِلٍ : فوالله ما تم صاحبه منها ثلاثاً حتى غشي على صاحبه ، وأقبل يصلح السرج على بغلته وهو غير مُعرِّجٍ عليه ، فسألته من هو ؟ فقال : رجــل من جُذام ، قلت : بمن تُعرَف ؟ قال : بعبد الله بن المُنْتَشِر ، قال : ولم يزل القرشي على حاله ساعة ثم أفاق ، ثم جعل الجُذامِيّ ينضح الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له : أنت أبداً مصبوب (١) على نفسك ! ومن كَـذَلِكَ ما ترى ، ثم قرّب اليه الفرس ، فلما علاه استخرج الجذامي من خُرْج على بغل قدحاً وإداوَةَ مــاء ، فجعل في القدح تراباً من تراب قبر ابن سريج وصب عليه مــاء من الاداوَةِ ، ثم قال : هاك فاشرب هذه السَّلْوَةَ (٢) ، فشرب ثم فعل هو مثل ذلك ، وركب على البغل وأردَفني ، فخرجا والله ما يُعرّضان بذكر شيء مما كنا فيه ، ولا أرى في وجوههما شيئاً مما كنت أرى قبل ذلك ، فلما اشتمل علينا أبْطَحُ مكة قالا : انزل يا خزاعي ، فنزلت وأومأ الفتى الى الجذامي بكلام ، فمد يده إليّ وفيها شيء فأخذته فاذا هو عشرون ديناراً ، ومضيــا ، فانصرفت الى قبره ببعيرين فاحتملت عليهما أداة الراحلتين اللتين عقراهما فبعتهما بثلاثين ديناراً .

(١) اي محثوث على اتباعها تستغويك فتسلس لها القياد .

(٢) السلوة والسلوانة خرزة شفافة إذا دفنتها في الرمل ثم بحثت عنها رأيتها سوداء يسقاهــا الانسان فتسليه ، وقيل : ان يؤخذ من تراب قبر ميت فيذر على المــاء ويسقاه العاشق ليسلو ، قال عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد إن هما شفياني

فقالا نعم نشفي من الداء كله وقاما مع العواد يبتدران

فما تركا من رقية يعرفانهــا ولا سلوة إلا وقد سقيــاني

صوت

من المائة المختارة

وهو الثالث من الثلاثة المختارة

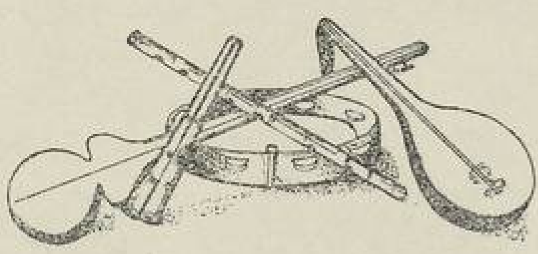
أهاجَ هواكَ المنزلُ المُتَقادمُ   نعمْ وبه ممّنْ شَجاكَ مَعالِمُ
مَضارِبُ أوْتادٍ وأشعثُ دائِرٌ(١)   مُقيمٌ وسُفْعٌ(٢) في المحلّ جوائِمُ

عروضه من الطويل . الشعر لنصيب ، والغناء في اللحن المختار لابن محرز ثاني ثقيل باطلاق الوتر في مجرى البنصر . وله فيه ايضاً هزج بالسبابة في مجرى البنصر ، وذكر جحظة عن اصحابه انه هو المختار . وحكي عن اصحابه انه ليس في الغناء كله نغمة إلا وهي في الثلاثة الاصوات المختارة التي ذكرها .

ومن قصيدة نُصَيْبٍ هذه مما يغني فيه قوله :

لقد راعَني للبَيْنِ نَوْحُ حمامةٍ   على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حَمائِمُ
هَواتِفُ أمّا مَنْ بَكَيْنَ فعهدُه   قديمٌ وأما شَجْوُهُنّ فَدائِمُ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن يونس ويحيى المكي واسحاق ، واظنه مع البيتين الاولين وان الجميع لحن واحد ، ولكنه تفرق لصعوبة اللحن وكثرة ما فيه من العمل فجعلا صوتين .



(١) الاشعث : الوتد . وداثر : قديم .
(٢) السفع : الاثافي وهي التي اوقدت بينها النار فسودت صفاحها التي تلي النار . وجوائم : رواس .

ذكر نصيب وأخباره

نسبه :

هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، وكان لبعض العرب من بني كنانة السكان بودان (١) ، فاشتراه عبد العزيز منهم ، وقيل : بل كانوا أعتقوه فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم ، وقيل : بل كاتب مواليه فأدى عنه مكاتبته .

وقال ابن دأب : كان نصيب من قضاعة ثم من بلي ، وكانت امه سوداء فوقع عليها سيدها فحبلت بنصيب ، فوثب عليه عمه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز .

وقال أبو اليقظان : كان أبوه من كنانة من بني ضمرة ، وكان شاعراً فحلا فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح ، ولم يكن له حظ في الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال : إنه لم ينسب قط إلا بامرأته .

اخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال : كتب إلي عبد الله ابن عبد العزيز بن محجن بن نصيب بن نصيب بن رباح يذكر عن عمته غرضة بنت النصيب :

أن النصيب كان ابن نوبيين (٢) سبيين كانا لخزاعة ، ثم اشترت سلامة أم نصيب امرأة من خزاعة ضمرية حاملا بالنصيب ، فأعتقت ما في بطنها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عبد أبيه عن محمد بن كناسة قال :

كان نصيب من أهل ودان عبداً لرجل من كنانة هو وأهل بيته ، وكان أهل البادية يدعونه النصيب تفخيماً له ، ويروون شعره ، وكان عفيفاً كبير النفس مقدماً عند الملوك ، يجيد مديحهم ومراثيهم .

---

(١) ودان : قرية بين مكة والمدينة .
(٢) النوب : جيل من السودان . الواحد نوبي .



نقيب

أخبرني الحسين عن حماد عن ابيه عن ابن الكلبي قال :

كان نصيب من بَلِيّ بن عمر بن الحاف بن قضاعة ، وكانت أمه أمة سوداء وقع عليها أبوه فحملت ، ثم مات فباعه عمه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان .

قوله الشعر

قال حماد : واخبرني ابي عن أيوب بن عباية واخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه وعن اسحاق بن ابراهيم جميعاً عن ابوب بن عباية قال حدثني رجل من خزاعة من اهل كلية وهي قرية كان فيها النصيب وكثير قال :

بلغني أن النصيب قال : قلت الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي ، فجعلت آتي مشيخة من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة – وهم موالي النصيب – ومشيخة من خزاعة ، فأنشدهم القصيدة من شعري ، ثم أنسبها الى بعض شعرائهم الماضين ، فيقولون : أحسنَ والله ! هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشعر ! فلما سمعت ذلك منهم علمت اني محسن ، فأزمعوا وأزمعت الخروج الى عبد العزيز بن مروان ، وهو يومئذ بمصر ، فقلتُ لأختي أمامةَ وكانت عاقلةً جلدةً : أي أُخيَّةُ ، إني قد قلتُ شعراً ، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان ، وارجو أن يُعتِقكِ اللهُ عزّ وجلّ به وأمَّكِ ، ومن كان مرقوقاً من أهل قرابتي ، قالت : إنا لله وإنا اليه راجعون ! يا بن أمّ ، أتجتمع عليك الخصلتان : السواد ، وان تكون ضُحكةً للناس ! قال قلت فاسمعي ، فأنشدتها فسمعت ، فقالت : بأبي أنتَ ! أحسنت واللهِ ! في هذا واللهِ رجاءٌ عظيمٌ ، فأخرج على بركةِ الله ، فخرجتُ على قَعُودٍ لي حتى قدمت المدينة ، فوجدت بها الفرزدق في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فعرجت اليه فقلت : أُنشِدُه وأستنشده وأَعرِضُ عليه شعري ، فأنشدته فقال لي : ويلك ! أهذا شعرك الذي تطلب به الملوك ! قلتُ : نعم ، قال : فلست في شيء ، إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعلْ ، فانفضحتُ

عَرَقاً (١) ، فحصبني (٢) رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع انشادي وسمع ما قال لي الفرزدق ، فأومأ إليّ فقمت اليه ، فقال ويحك ! أهذا شعرك الذي أنشدته الفرزدق ؟ قلت : نعم ، فقال : قد والله أصبت ، والله لئن كان الفرزدق شاعراً لقد حسدك ، فإنا لنعرف محاسن الشعر ، فامض لوجهك ولا يكسرنك ، قال فسرّني قوله ، وعلمت أنه قد صدقني فيما قال ، فاعتزمت على المضي قال :

اتصاله بعبد العزيز بن مروان بمصر

فمضيت فقدمت مصر ، وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرت بابه مع الناس فنُحّيت عن مجلس الوجوه ، فكنت وراءهم ، ورأيت رجلاً جاء على بغلة حسنَ الشارة سهل المدخل ، يُؤذَن له إذا جاء ، فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي بغلته ، فلما رآني قال : ألكَ حاجة؟ قلت ، نعم ، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ ، ومدحت الامير وخرجت إليه راجياً معروفه ، وقد ازدُريتُ فطردت من الباب ونحيت عن الوجوه ، قال : فأنشدني ، فأنشدته فأعجبه شعري ، فقال : ويحك ! أهذا شِعرُك ؟ فإياك أن تنتحل (٣) ، فان الامير راوية عالم بالشعر وعنده رُواة فلا تفضحني ونفسَك ، فقلت : والله ما هو إلا شِعري ، فقال : ويحك ! فقل أبياتاً تذكر فيها حَوْفَ (٤) مصرَ وفضلها على غيرها ، وألقني بها غداً ، فغدوتُ من غدٍ فأنشدتُه قولي :

سَرَى الهمُّ تَثنيني إليكَ طلائعُهْ ... بمصرَ وبالحَوْفِ اعترتني روائعُهْ
وبات وِسادي ساعدٌ قلّ لحمُه ... عن العظمِ حتى كاد تبدو أشاجِعُهْ (٥)

---

(١) فانتضحت عرقاً : تدفقت عرقاً .
(٢) حصبني : رماني بالحصباء .
(٣) انتحل الشعر : ادعاه لنفسه وهو لغيره .
(٤) موضع بمصر يشتمل على بلدان وقرى كثيرة .
(٥) ألاشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف .

قال : وذكرتُ فيها الغيثَ فقلتُ :

وكم دونَ ذاكَ العارضِ البارقِ الذي
له اشتقتُ مِن وَجهٍ أسيلَ مدامعُه
تمشّى به أفناءُ(١) بكرٍ ومَذحِجٍ
وأفناءُ عمرو وهو خِصبٌ مرابعُه
فكلُّ مسيلٍ من تهامةَ طيّبٌ
دَميثُ الرُّبا تسقي البحار دوافعه
أعنّي على برقٍ أريكَ وميضَه
تضيءُ دُجنّاتِ الظلام لوامعُه
إذا اكتحلتْ عينا محبٍّ بضوئه
تجافتْ به حتّى الصباحِ مضاجعُه
هنيئاً لأمِّ البُختريّ الروى بـه
وإن أنهجَ الحبلُ الذي أنا قاطعُه
ومـا زلتُ حتى قلتُ إنّي لخالعٌ
ولائيَ مِن مولىً نمتني قوارعه ؟
ومانعُ قــومٍ أنتَ منهم مودّتي
ومتّخذٌ مولاكَ مولىً فتابعُه

فقال : انت والله شاعرٌ ! احضر بالباب حتى أذكُرَك للأمير ، قال : فجلستُ على الباب ودخل ، فما ظننتُ أنه أمكنه أن يذكرني حتى دُعِي بي ، فدخلتُ فسلمتُ على عبد العزيز ، فصعّدَ فيَّ بصره وصوّب ، ثم قال : أنت شاعرٌ ! ويلك !

نصيب وأيمن الأسدي

قلت : نعم ، أيها الأمير ، قال : فأنشدني ، فأنشدتُه فأعجبَه شعري ،

---

(١) أفناء الناس أخلاطهم . ورجل من أفناء القبائل اي لا يدري من أي قبيلة هو .

وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أيمنُ بن خُرَيم الأسدي بالباب ، قال : ائذن له ، فدخلَ واطمأنّ ، فقال له الأمير : يا أيمن بن خُريم كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إليّ فقال : والله لنِعْمَ الغادي في أثر المخاض(١) ، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار ، قال : فإنّ له شِعراً وفصاحةً ، فقال لي أيمنُ : أتقولُ الشِّعرَ ؟ قلتُ : نعم ، قال : قيمتُه ثلاثون ديناراً ، قال : يا أيمن ، أرفعُهُ وتخفضُه أنتَ ! قال : لكونه أحمقَ أيها الأميرُ ! مـا لهذا وللشِّعر ! أمثلُ هذا يقول الشِّعرَ ! أو يُحسِن شِعراً ! فقال : أنشِده يا نُصَيبُ ، فأنشدته ، فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا أيمنُ ؟ قال : شِعرُ أسودَ هـو أشعرُ أهلِ جِلدَته ، قال : هو والله أشعرُ منك ، قال : أمِنّي أيها الأميرُ ! قـال : إي والله منك ، قال : والله أيها الأميرُ ، إنك لَمَلولٌ طَرِفٌ ، قـال : كذبتَ والله ما أنا كذلك ! ولو كنتُ كذلك ما صبرتُ عليك ! تنازعني التَّحِيَّةَ وتؤاكلني الطَّعامَ وتتكيء على وسائدي وفُرُشي وبك مـا بك ! - يعني وضحا (٢) كان بأيمن - قـال : ائذن لي أخرجْ إلى بشر بالعراق ، واحملني على البريد ، قال : قد أذنت لك ، وأمر به فحمل على البريد إلى بِشْرٍ ، فقال أيمن بن خريم :

ركبتُ ، من المُقَطَّمِ في جُمادَى ... إلى بِشْرِ بنِ مَرْوانَ ، البَريدا
ولو أعطـاكَ بِشْرٌ ألفَ ألفٍ ... رأى حقاً عليه أن يَزيــدا
أميرَ المؤمنـين أقِمْ بِبِشْرٍ ... عَمودَ الحق إنّ له عَمُـودا
ودَعْ بِشْراً يقوِّمْهُمْ ويُحْدِثْ ... لأهلِ الزَّيْغِ إسلاماً جَديــدا
كأنّ التاجَ تاجَ بني هِرَقْلٍ ... جَلَوْه لأعْظَمِ الأيامِ عِيدا
على دِيباجِ خَدَّيْ وَجْهِ بِشْرٍ ... إذا الألوانُ خـالفتِ الخُدُودا

قال أيوب يعني بقوله :

---

(١) المخاض : الحوامل من النوق .
(٢) الوضح : الغرة والتحجيل والشيب والبرص .

إذا الألوان خالفت الخدودا

أنه عرّض بكلف كان في وجه عبد العزيز

وأعقب مدحتي سرجاً مليحاً وأبيض جوزجانياً[١] عقودا[٢]
وأنا قد وجدنا أم بشر كأم الأسد مذكاراً ولودا

قال : فأعطاه بشر مائة ألف درهم .

اول من نوّه بنصيب

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال :

أول من نوّه باسم نصيب وقدم به على عبد العزيز بن مروان عبد الله بن أبي فروة ، قدم به عليه وهو وصيف[٣] حين بلغ وأول ما قال الشعر . قال : أصلح الله الامير ! جئتك بوصيف نوبي يقول الشعر ، وكان نصيب ابن نوبيين ، فأدخله عليه فأعجبه شعره ، وكان معه أيمن بن خريم الأسدي ، فقال عبد العزيز : إذا دعوت بالغداء فأدخلوه عليّ في جبة صوف محتزماً بعقال ، فإذا قلت قوّموه[٤] فقوّموه وأخرجوه وردّوه عليّ في جبة وشي ورداء وشي ، فلما جلس للغداء ومعه أيمن ابن خريم أدخل نصيب في جبة صوف محتزماً بعقال ، فقال : قوّموا هذا الغلام ، فقالوا : عشرة عشرون ، ثلاثون ديناراً ، فقال : ردّوه ، فأخرجوه ثم ردّوه في جبة وشي ورداء وشي ، فقال: أنشدنا ، فأنشدهم ، فقال : قوّموه ، قالوا : ألف دينار ، فقال أيمن :

---

(١) جوزجان : اسم كورة من كور بلخ بخراسان .
(٢) عقود : قوي .
(٣) الوصيف : الخادم غلاما كان او جارية .
(٤) قوّم المتاع : جعل له قيمة معلومه .

والله ما كان قطُّ أقلَّ في عيني منه الآن ، وإنه لنِعْمَ راعي الخاص ، فقال له : فكيف شعره ؟ قال : هو أشعرُ أهل جلدته ، فقال له عبد العزيز : هو والله أشعر منك ، قال : أمِنِّي أيها الأمير ! قال : نعم ، فقال أيمن : إنك لملولٌ طَرِفٌ ، فقال له : والله ما أنا بملول وأنا أنازعك الطعام منذ كذا وكذا ، تضع يدك حيث أضعها وتلتقي يدك مع يدي على مائدة ، كل ذلك أحتملك ! — وكان بأيمن بياض — فقال له أيمن: ائذن لي ان أخرج إلى بِشْرٍ ، فأذن له فخرج ، وقال أبياته التي اولها :

رَكِبْتُ من المقطَّم في جُمادَى

وقد مضت الأبيات ، قال : فلما جاز بعبد الملك بن مروان ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاك بِشْرا ، قال : أتجوزني ! قال : إي والله أجوزك إلى من قدم إليّ وطلبني ، قال : فلِمَ فارقت صاحبك ؟ قال : رأيتكم يا بني مروان ، تتخذون للفتى من فتيانكم مؤدبا ، وشيخكم والله محتاج الى خمسة مؤدبين ، فسر ذلك عبد الملك ، وكان عازماً على أن يخلعه ويَعقدَ لابنه الوليد .

من معتق نصيب ؟

أخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال :

يقال : إن نُصيبا أضلَّ إبلًا له فخرج من بُغائها[1] فلم يُصِبْها ، وخاف مَواليه أن يرجع إليهم ، فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصته ، فأخلَفَ عليه ما ضلَّ لمواليه وابتاعه وأعتقه .

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الهلالي ثم الدوسي قال :

أراد النصيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو عبدٌ لبني مُحرزٍ الضَّمْرِيّ ، فقالت أمُّه له : إنك سترقد ويأخذُك ابنُ مُحرزٍ

(١) البغاء بالضم والمد : الطلب .

يذهبُ بك ، فذهب ولم يُبالِ بقولها ، حتى إذا كان بمكان ماء يُعرفُ بالدَّوِّ (١) ، فبينا هو راقدٌ إذ هجم عليه أبن محرز ، فقال حين رآه :

إنِّي لأخشى من قِلاصِ أبن مُحرِزِ
إذا وَخدَتْ (٢) بالدَّوِّ وَخدَ النَّعائمِ
يَرُعْنَ بَطِينَ (٣) القَومِ أيَّةَ رَوْعَةٍ
ضُحَيّاً إذا استَقْبَلْنَهُ غيرَ نائمِ

فأطلقوه فرجع فأتى امه ، فقالت : أخبرتك يا بني انه ليس عندك ان تُعجِزَ القوم ، فإن كنت يا بنيّ قد غلبتني أنك ذاهب فخذ بنت الفلانة (٤) ، فأني رأيتها وَطِئَتْ أُفْحُوصَ (٥) بَيْضات قطاةٍ فلم تفلقهن فركبها ، فهي التي بلغته ابن مروان .

قال ابو عبد الله بن الزبير : عندنا ان التي اعتقته امرأة من بني ضمرة ثم من بني حنبل .

اول اتصال له بعبد العزيز :

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن اسد قال حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال حدثنا كليب بن اسماعيل مولى بني امية وكان حَدِثاً أي حسن الحديث قال :

بلغني أن نُصيباً كان حبشياً يرعى ابلاً لمواليه فاضل منها بعيراً فخرج في طلبه حتى أتى الفُسْطاطَ ، وبه إذ ذاك عبدُ العزيز بنُ مروان، وهو وَلِيُّ عهد عبد الملك بنِ مروان ، فقال نُصيبٌ : ما بعد العزيز واحد

(١) الدوّ : ارض ملساء بين مكة والبصرة على الجادة مسيرة اربع ليال ليس فيها جبل ولا رمل ولا شيء .

(٢) الوخد للبعير : الاسراع او ان يرمي بقوائمه كمشي النعام .

(٣) بطين القوم : البعيد .

(٤) فلان وفلانة كناية عن اسماء الآدميين ، والفلان والفلانة كناية عن غير الآدميين ، تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت الفلانة .

(٥) الافحوص بوزن عصفور :مجثم القطاة وهو مبيضها الذي تبيض فيه، سمي بذلك لأنها تفحصه .

اعتمده لحاجتي ! فأتى الحاجب فقال استأذن لي على الامير فإني قد هيأت له مديحاً ، فدخل الحاجب فقال : أصلح الله الأمير ! بالباب رجلٌ أسود يستأذن عليك بمديح قد هيأه لك ، فظن عبد العزيز أنه بمن يُهزأ بـه ويُضحِكهم ، فقال : مُرْه بالحضور ليوم حاجتنا اليه ، فغدا نُصَيب وراح الى باب عبد العزيز أربعة أشهر ، وأتاه آتٍ من عبد الملك فسره ، فأمر بالسَّرير فأُبرِز للناس ، وقال : عليَّ بالاسود ، وهو يريد ان يُضحِك منه الناس ، فدخل فلما كان حيثُ يُسمَع كلامُه ، قال :

لعبد العزيز على قومه وغيرِهمُ نِعَمٌ غامرَهْ
فبابُك ألينُ أبوابِهم ودارُك مأهولةٌ عامرَهْ
وكلبُك آنس بالمُعتَفِين[1] من الأمِّ بالابْنَة الزائرهْ
وكفُّكَ حينَ تَرَى السائلين أنْدى من الليلةِ الماطره
فمنكَ العطاء ومني الثَّناء بكل مُحَبَّرةٍ سائرهْ

فقال : أعطوه أعطوه ، فقال : إني مملوك ، فدعا الحاجب فقال : أخرج فأبلغ في قيمته ، فدعا المقوِّمين فقال : قَوِّموا غلاماً أسود ليس به عيب ، قالوا : مائة دينار ، قال : إنه راع للابل يبصرها ويحسن القيام عليها ، قالوا : حينئذ مائتا دينار ، قال : انه يبري القِسِيَّ ويثقفها ويرمي النَّبْلَ ويَرِيشُها ، قالوا : أربعمائة دينار ، قال : انه راوية للشعر بصيرٌ به ، قالوا : ستمائة دينار ، قال : إنه شاعر لا يُلحَقُ حِذقاً ، قالوا : الف دينار ، قال عبد العزيز : إدفعوها اليه . قال : أصلح الله الاميرَ ! ثمن بعيري الذي أضللت ، قال : وكم ثمنه ؟ قال خمسة وعشرون ديناراً ، قال : ادفعوها اليه ، قال : أصلح الله الامير ! جائزتي لنفسي عن مديحي إياك ، قال : اشتر نفسك ثم عد الينا ، فأتى الكوفة وبها بشر بن مروان ، فأستأذن عليه فأستصعب

(١) اعتفى فلانا : اتاه يطلب معروفه .

الدخول اليه ، وخرج بشر بن مروان متنزهاً فعارضه ، فلما ناكبه – أي صار حذاء منكبه – ناداه :

يا بشرُ يا بنَ الجعفريّةِ ما خلقَ الالهُ يديك للبُخلِ
جاءت به عُجُزٌ(١) مُقابَلَةٌ(٢) ما هنَّ من جَرمٍ(٣) ولا عُكلِ

قال : فأمر له بشر بعشرة آلاف درهم . الجعفرية التي عناها نصيب: أمُّ بشر ابن مروان ، وهي قُطيَّةُ بنت بشر بن عامر ملاعب الاسنة ابن مالك بن جعفر بن كلاب .

أم بشر بن مروان بن الحكم

أخبرنا اليزيدي عن الخزاز عن المدائني عن عبد الله بن مسلم وعامر بن جفص وغيرهما: أن مروان بن الحكم مر ببادية بني جعفر ، فرأى قُطَيَّةَ بنت بشر تنزع بدَلوٍ على إبلٍ لها ، وتقول :

ليس بنا فقرٌ إلى التشكّي
جَرَبّةٌ كحُمُرِ(٤) الأبكِ(٥)
لا ضرَعٌ(٦) فيها ولا مُذَكّي(٧)

ثم تقول :

عامانِ ترقيقٌ(٨) وعامٌ تمّما(٩) لم يتّرك(١٠) لحماً ولم يترك دما

(١) عجز : جمع عجوز ، ويريد بهن أمهاته وجداته .
(٢) المقابلة : الكريمة النسب من قبل ابويها .
(٣) جرم : بطن في طيء ومساكنهم صعيد مصر ومنهم بقية في نواحي غزه وعكل: ابو قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلي .
(٤) اقوياء كالحمير .
(٥) الأبك : موضع تنسب الحمير اليه .
(٦) الضرع : الضعيف .
(٧) المذكي : المسن من كل شيء .
(٨) ترقيق : رقة الحال .
(٩) تمم : أجهز .
(١٠) اترك بمعنى ترك .

ولم يدَعْ في رأس عَظْمٍ ملدما[١] إلا رَذَايا[٢] ورجالاً رُزَّما[٣]

فخطبها مروان فتزوَّجها فولدت له بِشرَ بن مروان .

نصيب الاشتراكي

اخبرني احمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا احمد بن معاوية عن إسحاق بن ايوب عن خليل بن عجلان . في خبر النُّصيب مثل ما ذكر الزُّبير وإسحاق سواءً .

اخبرني عميّ قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتبي قال :

دعا النصَيبَ مواليه أن يستلحقوه[٤] فأبى ، وقال : والله لأن اكون مولىً لائقا[٥] أحبُّ إليّ من أن أكون دِعِيّاً لاحقا ! وقد علمت أنكم تريدون بذلك مالي ، ووالله لا أكسبُ شيئاً أبدا إلا كنت أنا وأنتم فيه سواءً كأحدكم ، لا أستأثرُ عليكم منه بشيء ابداً ، قال : وكان كذلك معهم حتى مات ، إذا أصاب شيئاً قسمه فيهم فكان فيه كأحدهم.

نصيب يبذ الفرزدق

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل الجعفري قال :

دخل النصيبُ على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدقُ ، فاستنشد الفرزدقَ وهو يرى أنه سيُنشِدُه مديحاً له فأنشده قوله يفتخر :

وركبٍ كأن الريحَ تطلُبُ عندهم لها تِرَةً من جَذبِهم بالعَصائبِ[٦]

سَرَوْا يَرْكَبون الريحَ[٧] وهي تلفهم على شُعَبِ الأكوارِ من كلِّ جانبِ

---

(١) لم يدع على العظم لحماً يؤكل .

(٢) الرذايا : جمع رذية وهي المرأة المهزولة .

(٣) رزم : جمع رازم وهو الثابت على الارض لا يستطيع النهوض هزالا .

(٤) استلحق الولد : ادعاه .

(٥) لائقا : لاصقا .

(٦) العصائب : العمائم .

(٧) وروي : « يخبطون الليل » .

إذا استوضَحوا ناراً يقولون ليتَها   وقد خَضِرَتْ أيديهم، نارُ غالبِ

قال : وعمامته على رأسه مثل المِنْسَفِ [١] فغاظ سليمان وكَلَحَ [٢] في وجهه ، وقال لنصيب : قم فأنشِد مولاكَ ويلك ! فقام نصيب فأنشده قوله :

أقولُ لِرَكْبٍ صادِرِينَ لقيتُهم
قَفا [٣] ذاتِ أوشالٍ [٤] ومولاكَ قارِبُ [٥]
قِفُوا خبِّروني عن سليمانَ إنني   لمعروفِهِ من أهلِ وَدّانَ طالبُ
فعاجوا فأثْنَوْا بالذي أنت أهله   ولو سكتوا أثْنَتْ عليكَ الحقائبُ
وقالوا عَهِدْناه وكلَّ عشيَّةٍ   بأبوابه من طالبِ العُرْفِ [٦] راكبُ
هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حوله   ولا تُشْبِهِ البدرَ المضيءَ الكواكبُ

فقال له سليمان : أحسنت والله يا نصيب ! وأمر له بجائزة ولم يصنع ذلك بالفرزدق ، فقال الفرزدق وقد خرج من عنده :

وخيرُ الشِّعرِ أكرمُهُ رجالاً   وشرُّ الشعرِ ما قال العَبِيدُ

نصيب وعبد العزيز بجبل المقطم :

اخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عمه موسى بن عبد العزيز قال :

حمل عبد العزيز بن مروان النصيب بالمقطَّم – مقطم مصر – على

(١) المنسف : الغربال الكبير .
(٢) الكلح : التكشر في عبوس .
(٣) قفا : وراء .
(٤) الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .
(٥) القارب : الذي يطلب الماء .
(٦) العرف : الجود والمعروف .

بُخْتِيٍّ قد رحله بغَبِيطٍ (١) فوقه ، وألبسه مُقَطَّعاتٍ (٢) وَشْيٍ ، ثم أمره ان ينشد ، فاجتمع حوله السودان وفرحوا به ، فقال لهم : أَسَرَرْتُكم ؟ قالوا : إي والله ، قال : والله لما يسوءكم من أهل جلدتكم أكثر .

هو وجرير :

اخبرنا ابو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني ابو العراف قال :

مرّ جرير بنصيب وهو ينشد ، فقال له : اذهب فأنت أشعر أهل جلدتك ، قال : وجلدتك يا أبا حَرْزَةَ .

نصيب وهشام بن عبد الملك :

اخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه قال حدثني ايوب بن عباية قال :

بلغني ان النصيب كان اذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مَراثي بني امية ، فإذا أنشده بكى وبكى معه فأنشده يوماً قصيدة له مدحه بها ، يقول فيها :

إذا استَبَقَ الناسُ العُلا سَبَقْتَهُمُ ... يَمِينُكَ عَفْواً ثم صَلَّتْ (٣) شِمالُها

فقال له هشام : يا أسود ، بلغت غاية المدح فسَلْني ، فقال : يدك بالعطية أجود وأبسطُ من لساني بمسئلتك ، فقال : هذا والله أحسن من الشعر ، وحباه وكساه وأحسن جائزته .

نصيب يحور العبيد :

أخبرني الحسين بن يحيى قال اخبرنا حماد بن اسحاق عن ابيه عن ايوب بن عباية قال :

أصاب نصيب من عبد العزيز بن مروان معروفاً فكتمه ورجع الى المدينة في هيئة بَذَّةٍ (٤) ، فقالوا : لم يصب بمدحه شيئاً ، فمكث مدة

---

(١) الغبيط : الرحل وهو للنساء يشد عليه الهودج والجمع غُبط .

(٢) المقطعات من الثياب : شبه الجباب ونحوها من الخز وغيره .

(٣) صلت شمالها : تبعتها شمالها ، من قولهم للفرس : المصلي وهو ثاني خيل الحلبة الذي يجيء بعد السابق لأن رأسه يلي صلا المتقدم .

(٤) البذاذة : رثاثة الهيئة .

ثم ساوم بأمه فابتاعها وأعتقها ، ثم ابتاع أمَّ أمِّه بضعف ما ابتاع به أمه فأعتقها ، وجاءه ابن خالة له اسمه سُحَيمٌ فسأله أن يعتقه ، فقال له : ما معي والله شيء ، ولكني إذا خرجت أخرجتك معي ، لعل الله أن يعتقك ؛ فلما أراد الخروج دفع غلاماً له الى مولى سحيم يرعى إبله ، وأخرجه معه فسأل في ثمنه فأعطاه وأعتقه ، فمر به يوماً وهو يَزْفِنُ (١) ويَزْمِرُ مع السودان فأنكر ذلك عليه وزجره ، فقال له : إن كنت أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبداً ، وإن كنت أعتقتني لتصل رَحِمي وتقضي حقي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده ، أزْفِن وأزْمِر وأصنع ما شئت ، فانصرف النصيب وهو يقول :

إنّي أراني لِسُحَيْم قائلا إنّ سُحيماً لم يُثِبْني طائلا
نَسِيتَ إعمالي لكَ الرَّواحلا وضَرْبي الأبوابَ فيك سائلا !
عند الملوك أستَثيبُ النائلا حتى إذا آنَسْتَ عِتْقاً عاجلا
ولَّيتَني منك القفا والكاهلا أخْلَقاً شَكْساً ولوناً حائلا

نصيب يستعجل جائزة أبطأت :

قال إسحاق : وأبطأتْ جائزة النصيب عند عبد العزيز ، فقال :

وإنّ وراء ظَهْري يابن لَيْلى أناساً يَنْظُرونَ متى أؤوبُ
أمامَةُ منهمُ ولِمأْقِيَيْها (٢) غداةَ البَيْنِ في أثَرِي غُرُوبُ (٣)
تركتُ بِلادَها ونأيتُ عنها فأشبهُ ما رأيتُ بها السَّلوبُ (٤)
فأتْبِعْ بعضَنا بعضاً فلَسْنا نُثيبُكَ لكنِ اللهُ المُثيبُ

فعجل جائزته وسرَّحه ، قال إسحاق : فحدثني ابن كُناسَةَ قال :

---

(١) يزفن : يرقص .
(٢) مأق العين ومؤقها وموقها ومؤقيها ومأقيها : حرفها الذي يلي الأنف .
(٣) الغروب ، الدموع حين تخرج من العين ، واحدها غرب .
(٤) يقال : ظبية سلوب وسالب : سلبت ولدها .

لبلى أم عبد العزيز كَلَنْبِيَّة » . وبلغني عنه أنه قال : لا أعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لِشَرَفِها ، فكان الشعراء يذكرونها باسمها في أشعارهم .

نصيب موضع فخر السود :

أخبرني الحسين عن حماد عن ابيه عن ابن عباية قال :

وقفت سوداء بالمدينة على نصيب وهو ينشد الناس فقالت : بأبي أنت يابن عمّ ، وأمي ، ما انت والله عليّ بِخِزْيٍ ، فضحك وقال : والله لَمَن يخزيك من بني عمك أكثر ممن يزينك .

نصيب يرفض ان يزوج ولده ابنة سيده :

قال اسحاق وحدثني ابن عباية وغيره ان ابنــاً لنصيب خطب بعد وفاة سيده الذي اعتقه بنتاً له من أخيه فأجابه الى ذلك . وعرف أباه فقال له : اجمع وجوه الحي لهذا الحـــال فجمعهم ، فلما حضروا أقبل نصيب على أخي سيده فقـال : أزوّجْتَ ابني هذا من ابنة اخيك ؟ قال : نعم ، فقـــال لعبيد له سود : خذوا برجل ابني هذا فجرّوه فاضربوه ضرباً مبرّحاً ، ففعلوا وضربوه ضرباً مبرّحاً ، وقال لأخي سيده : لولا أني اكره أذاك لألحقتك به ، ثم نظر إلى شاب من اشراف الحي ، فقال : زوّجْ هذا ابنة اخيك وعليّ ما يصلحها في مالي ففعل .

نصيب يخجل من لونه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا احمد بن الحارث عن المدائني قال :

دخل نصيب على عبد الملك فتغدى معه ، ثم قال : هل لك فيما نتنادم عليه فقال : تُؤَمِّنُني ؟ ففعل ، قال : لوني حائل ، وشَعري مُفَلْفَلٌ (١) ، وخِلْقتي مُشوّهةٌ ، ولم أبلغ ما بلغتُ من إكرامك اياي بشرف أب او أمّ او عشيرة ، وإنما بلغته بعقلي ولساني ، فأنشدك

(١) تفلفل شعر الاسود : اشتدت جعودته .

الله يا امير المؤمنين ان تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المنزلة منك ، فأعفـــاه .

لماذا سمي نصيباً

أخبرني ابو الحسن الاسدي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال بلغني عن خلاد بن مرة عن ابي بكر بن مزيد :

لقيت النصيب يومـاً بباب هشام ، فقلت له : يا أبا مِحْجَنٍ ، لِمَ سُمّيتَ نصيباً ، ألقولك في شعرك ، عاينها النُّصَيبُ ؟ فقـــال : لا ، ولكني ولدت عند اهل بيت من ودّانَ ، فقال سيدي : إيتونا بمولودنا هذا لننظر اليه ، فلما رآني قال : انه لمُنَصَّبُ (١) الخَلْقِ ، فسميتُ النصيب ، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فاعتقني .

فصاحتـــه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه عن محمد بن كناسة ابي يحيى الاسدي قـــال :

قال أبو عبـد الله بن ابي إسحاق البصري : لـــئن وَلِيتُ العراق لأستكتبنَّ نصيباً لفصاحته وتخلصه الى جيد الكلام .

أمانته في الحديث

أخبرني الاسدي قال حدثني محمد بن صالح عن ابيه عن محمد بن عبد العزيز الزهري قال حدثني نصيب قال :

دخلت على عبد العزيز بن مروان ، فقال : أنْشِدْني قولك :

إذ لم يكنْ بـــينَ الخليلينْ رِدة (٢)
سِوى ذكرِ شيء قد مضى دَرَسَ الذِّكْرُ

فقلتُ : ليس هذا لي ، هذا لأبي صَخْرٍ الهُذَلِيّ ولكنّي الذي أقول :

(١) منصب الخلق : مستقيمه .
(٢) الردة : البقية .

وَقفتُ بذي ودّان أَنشُد ناقَــــتي
وما إنْ بهالِي منْ قَلُوصٍ[١] ولا بَكْرِ[٢]

فقال لي عبدُ العزيز : لك جائزةٌ على صدق حديثك ، وجائزةٌ على شعرك ، فأعطاني على صدق حديثي الف دينارٍ ، وعلى شعري الف دينارٍ .

أوصافـــه

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه عن عثمان بن حفص عن ابيه قال :
رأيت النصيب وكان اسود خفيف العارضين[٣] نأتيءَ الحَنجرَة .

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني ابراهيم بن يزيد السعدي عن جدته جمال بنت عون بن مسلم عن ابيها عن جدها قال :
رأيتُ رجلا أسود مع امرأةٍ بيضـــاء ، فجعلت أعجبُ من سواده وبياضها ، فدنوتُ منه وقلت : مَن أنتَ ؟ قال : أنا الذي يقول :

ألا ليتَ شِعري ما ألذي تُحدِثِنَ بي
غـــداً غُربةَ النـأي المفرّق والبعدِ
لَدى أمِّ بَكرٍ حين تقترِبُ النّوى
بنا ثم يخلو الكاشحونَ بها بَعدي
أتصرِمني عند الأُلى هم لنا العِدا
فتُشْمِتَهم بي أم تدومُ على العهـــد

قال : فصاحتْ : بل والله تدوم على العهد ، فسألتُ عنهما فقيل : هذا نصيبٌ ، وهذه أمُّ بكر .

اسود ثناؤه ابيض

اخبرني ابو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني ابو

(١) القلاص من الابل : الطويلة القوائم .
(٢) البكر : الفتي من الأبل .
(٣) العارض : صفحة الخد .

اليقظان عن جويرية بن أسماء قال :

أتى النُّصَيبُ عبد الله بن جعفر فحمله وأعطاه وكساه ، فقال له قائل : يا أبا جعفر ، أعطيتَ هذا العبد الأسود هذه المطايا ! فقال : والله لئن كان أسود إنّ ثناءَه لأبيضُ ، وإن شعرَه لعربيٌّ ، ولقد استحقَّ بما قال أكثر مما نال ، وما ذاك ! إنما هي رَوَاحِلُ تُنضَى(١) ، وثيابٌ تَبلَى ، ودراهم تفنى ، وثناءٌ يبقى ، ومدائحُ تُرْوى !

اخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه عن المدائني قال قال ابو الأسود :

امتدح نصيبٌ عبد الله بن جعفر وذكر مثله .

نساء يردن سماع شعره

اخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال :

قيل لنصيب : إنّ ها هنا نسوةً يُردنَ أن ينظُرن إليك ويسمَعن منك شِعرَكَ ، قال : وما يصنعن بي ! يَرَيْنَ جلدةً سوداء وشعراً أبيض ، ولكن ليسمَعْنَ شعري من وراء سترٍ .

تغني الناس بشعره

اخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه عن عثمان بن حفص عن رجل ذكره قال :

أتاني منقذٌ الهلالي ليلاً فضرب على الباب ، فقلت : مَن هذا ؟ فقال : منقذ الهلالي ، فخرجت إليه فَزِعاً ، فقال : البُشْرى ، فقلت : وأي بُشرى أتتني بك في هذا الليل ! فقال : خيرٌ ، أتاني أهلي بدَجاجة مشوية بين رغيفين فتعشيتُ بها ، ثم أتوني بقنينة من نبيذ قد التقى طرفاها صفاءً ورِقةً ، فجعلت أشرب وأترنم بقول نصيب :

بزينبَ ألمِمْ قبلَ أن يَظعَنَ الرَّكبُ

ففكرت في إنسان يفهم حسنه ويعرف فضله ، فلم أجد غيرك فأتيتُك

(١) تنضى : تهزل ، يقال : انضاه السفر اي هزله .

مخبراً بذلك ، فقلت : ما جاء بك إلا هذا ! فقال : أو لا يَكفي ! ثم انصرف .

ترفعه عن الهجاء

اخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن ابيه قال :

قال مَسْلَمَةُ لنصيب : أنت لا تحسن الهجاء ، فقال : بَلى واللهِ ، أتُراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله ! قال : فإن فلاناً قد مدحتَه فحرمك فاهْجُه ، قال : لا والله ما ينبغي أن أهجُوه ، وإنما ينبغي أن أهجوَ نفسي حين مدحتُه ، فقال مَسْلَمةُ : هذا والله أشدُّ من الهجاء .

نصيب أمام قبر الرسول :

أخبرني الحسين قال قال حماد : قرأت على ابي عن ابن عباية عن الضحاك الحزامي قال :

دخل نصيب مسجد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وعمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – يومئذ أمير المدينة ، وهو جالس بين قبر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ومنبره ، فقال : أيها الأمير ، ائذن لي أن أنشدك من مراثي عبد العزيز ، فقال : لا تفعل فتحزنني ، ولكن أنشدني قولك : « قفا أخويّ » ، فإن شيطانك كان لك فيها ناصحاً حين لقنك إياها ، فأنشده :

صوت

قِفا أخَوَيَّ إنّ الدارَ ليستْ كما كانتْ بعهدِكُما تكونُ
ليالِيَ تَعلمانِ وآلُ لَيلى قَطِينُ الدارِ فاحتملَ القَطِينُ(١)

(١) القطين : السكان في الدار .

فعُوجا فانظُرا أتبِين عمّـا سألناها به أم لا تُبين
فظلّا واقفَيْنِ وظلّ دَمْعِي على خَدّي تجودُ به الجفُونُ
فلولا إذ رأيت اليأسَ منها بَدا أن كِدْتَ تَوشُقُكَ⁽¹⁾ العيون
بَرِحْتَ⁽²⁾ فلم يَلُمْكَ الناسُ فيها ولم تَغلَقْ كما غَلِقَ الرَّهينُ⁽³⁾

في البيتين الأولين من هذه الأبيات والأخيرين لابن مُرَيْج خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن عمرو ويونس .

قصته الطريفة مع عجوز جحفة :

أخبرني الحسين عن حماد عن ابيه عن ايوب بن عباية قال :

كان نصيب ينزل على عجوز بالجُحْفَة إذا قدم من الشام ، وكان لها بُنَيّةٌ صفراء وكان يستحليها ، فإذا قدم وهب لها دراهم وثياباً وغير ذلك ، فقدم عليها قَدْمَة وبات بها ، فلم يشعر إلا بفتى قد جاءها ليلاً فركضها ⁽⁴⁾ برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت ، وعاد اليها بعد ساعة فركضها برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت ، فلما أصبح نصيب رأى أثر مُعْتَرَكهما ومغتسلهما ، فلما أراد ان يرتحل قالت له العجوز وبنتها : بأبي أنت ! عادتَك ، فقال لها :

أراكِ طَمُوحَ العينِ ميّالةَ الهوى لهذا وهذا منك وُدٌّ مُلاطفُ
فإن تَحمِلي رِدْفَيْنِ لا أكُ منهما فحسْبي فردٌ لستُ ممن يُرادف

ولم يعطها شيئاً ورحل .

---

(١) تحد النظر اليك كأنها ترميك بسهام لحظها .

(٢) برح المكان : زال عنه .

(٣) غلق الرهن في يد المرتهن : صار ملكه وذلك إذا عجز الراهن عن افتكاكه في الوقت المشروط .

(٤) ركضها : وكزها برجله .

حديث مع امرأة من ملل كان ينزل عندها الناس :

قال أيوب : وكانت بِمَلَلَ امرأة ينزل بها الناس ، فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَة وعمران بن عبد الله بن مطيع ونصيب ، فلما رحلوا وهب لها القرشيان ولم يكن مع نصيب شيء ، فقال لها : اختاري إن شئت أن أضمن لك مثل ما أعطياك إذا قدمتُ ، وإن شئت قلت فيك أبياتاً تنفعك ، قالت : بل الشعر أحب إليّ ، فقال :

ألا حيِّ قبلَ البَيْنِ أمَّ حبيبِ ... وإن لم تكن منّا غداً بقريبِ
لئن لم يكن حبّيك حباً صدَقْتُهُ ... فما أحدٌ عندي إذاً بحبيبِ
تَهامٍ (١) أصابت قلبَه مَلَلِيَّةٌ ... غريبُ الهوى يا ويحَ كلِّ غريب

فشهَرها بذلك ، فأصابت بقوله ذلك فيها خيراً .

نهي عبد العزيز له عن التشبيب بالنساء :

قال أيوب : ودخل النصيب على عمر بن عبد العزيز — رحمة الله عليه — بعد ما وَلِيَ الخلافة ، فقال له : إيه يا أسود ! أنت الذي تُشَهِّر النساء بنسيبك ، فقال إني قد تركت ذلك يا أمير المؤمنين ! وعاهدت الله عز وجل ألاّ أقول نسيباً ، وشهد له بذلك من حضر وأثنوا عليه خيراً ، فقال : أمّا إذ كان الأمر هكذا فسل حاجتك ، فقال : بُنَيّاتٌ لي نفضت عليهن سوادي فكَسَدْنَ ، أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان ، قال : فتريد ماذا ؟ قال : تَفرِضُ لهن ، ففعل . قال : ونفقة لطريقي ، قال : فأعطاه حلية سيفه وكساه ثوبيه ، وكانا يساويان ثلاثين درهماً .

اجتماعه بالكميت وذي الرمة وكسره للكميت :

اخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن اسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال :

---

(١) تهام : منسوبة إلى تهامة على غير قياس فكأنه قال تهامية ، والبيت المذكور روي هكذا في معجم البلدان وفي كثير من الأصول ، وروي « سهام » .

اجتمع النصيب والكُمَيت وذو الرُّمَّة فأنشدهما الكميت قوله :

هل أنتَ عن طلب الأيفاعِ (١) مُنقلِبُ

حتى بلغ الى قوله فيها :

أم هلْ ظعائنُ بالعلياءِ (٢) نافعةٌ وإن تكامل فيها الأنس والشَّنَبُ (٣)

فعقد نصيب واحدة ، فقال له الكميت : ماذا تُحصي ؟ قال : خطأك ، باعدت في القول ، ما الأنس من الشنب ، ألا قلت كما قال ذو الرمة :

لمياءُ (٤) في شفتيها حُوَّةٌ (٥) لَعَسٌ (٦)

وفي اللثات وفي أنيابها شَنَبُ

ثم أنشدهما قوله :

أبتْ هذه النفسُ إلا ادّكارا

حتى بلغ الى قوله :

إذا ما الهجارسُ (٧) غنَّينها تُجاوبْنَ بالفلواتِ الوِبارا (٨)

فقال له النصيب : والوِبارُ لا تسكن الفلوات ، ثم أنشد حتى بلغ منها :

كأنَّ الغُطامِطَ (٩) من غَلْيِها أراجيزُ أسلَمَ تَهْجو غِفارا (١٠)

(١) الايفاع الكواعب التي شارفت البلوغ .

(٢) العلياء : اسم بلد ولم يذكره ياقوت والبكري في معجميهما .

(٣) الشنب : رقة وبرد وعذوبة في الاسنان .

(٤) اللمياء : بينة اللمى وهو سمرة الشفتين واللثات .

(٥) الحوّة : سمرة الشفة .

(٦) اللعس : سواد اللثة والشفة في حمرة ، وهو بدل مما قبله .

(٧) الهجارس: جمع هجرس وهو القرد والثعلب أو ولده وهو الدب أيضاً او هو من السباع او كل ما يعسعس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع .

(٨) الوبار : جمع وبر بسكون الباء وهو دويبة كالأرنب غبراء بين البياض والسمرة حسنة العينين شديدة الحواء أي الصوت ، وفي طبعة دار الكتب المصرية « من دواب الصحراء شديدة الحياء » معتمدة نص لسان العرب المصحف ، وذلك لان كونها من دواب الصحراء ينفيه انكار نصيب انها تسكن الفلوات ، ثم ما معنى شدة حيائها وهي معروفة بشدة حوائها اي صوتها كما يشهد به بيت الكميت

(٩) الغطامط بضم الغين : ازيز القدر .

(١٠) أسلم وغفار : قبيلتان.

فقال النصيب : ما هَجَتْ أسلمَ غِفاراً قطّ ، فانكسر الكميت وأمسك.

نصيب يعزل والي المدينة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن ابيه عن ابن الكلبي .

أن نصيباً مدح عبد الرحمن بن الضَّحَّاك بن قيس الفِهْرِيّ فأمر له بعشر قلائص ، وكتب بها الى رجلين من الانصار واعتذر اليه ، وقال له : والله ما أملك إلا رزقي ، واني لأكره ان أبسط يدي في اموال هؤلاء القوم ، فخرج حتى أتى الانصاريَّين فأعطاهما الكتاب مختوماً ، ففرآه وقالا : قد أمر لك بثمان قلائص ودفعا ذلك اليه ، ثم عُزِل ووُلِّيَ مكانه رجل من بني نصر بن هوازن ، فأمر بان يُتَتَبَّعَ ما أعطى ابن الضحاك ويُرْتَجَعَ ، فوُجد باسم نصيب عشر قلائص ، فأمر بمطالبته بها ، فقال : والله ما دفع إليّ إلا ثماني قلائص ، فقال : والله ما تخرج من الدار حتى تُؤدِّيَ عشر قلائص او اثمانها ، فلم يخرج حتى قُبض ذلك منه ، فلما قدم على هشام سمَر عنده ليلة وتذاكروا النَّصْرِيّ ، فأنشده قوله فيـه :

أفي قلائصَ جُرْبٍ كُنَّ من عملٍ أرْدَى وتُنْزَعُ من احشائيَ الكبدُ
ثمانياً كُنَّ في أهلي وعندهمُ عشرٌ فأيُّ كتاب بعدنا وجدُوا
أخا َنني أخوَا الأنصارِ فانتقصا منها فعندَهما الفَقْدُ الذي فَقَدُوا
وإنَّ عاملَك النَّصْرِيَّ كلّفني في غير نائرةٍ [1] دَيْناً له صَعَدُ [2]
أذنبَ غـيري ولم أذنِبْ يكلّفني
أم كيف أقتـل لا عقْلٌ ولا قَوَدُ [3]

قال : فقال هشام : لا جَرَمَ واللهِ ، لا يعمل لي النصري عمـلاً

(١) النائرة : الحقد والعداوة .
(٢) الصعد: المشقة ولعله يشير بذلك الى الزيادة في الدين الذي تقاضوه إياه كما هو مبين بالقصة .
(٣) القود : القصاص وقتل القاتل بدل القتيل .

أبداً ، فكتب بعزله عن المدينة .

حنينه الى الجفر

اخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال اخبرنا الزبير بن بكار اجازة عن هارون بن عبد الله الزبيري عن شيخ من الجفر (١) قال :

قدم علينا النصيب فجلس في هذا المجلس وأومأ إلى مجلسٍ حذاءه ، فاستنشدناه فأنشدنا قوله :

ألا يا عُقابَ الوَكْرِ وَكْرِ ضَرِيَّةٍ (٢)
سقتْكَ الغوادي مِن عُقابٍ ومن وَكْرِ
تَمُرُّ الليالي ما مَرَرْنَ ولا أرَى ... مُرُورَ الليالي مُنْسِيَاتِي أبنةَ النَّضْرِ
وقفتُ بذي ودّان أنشُدُ ناقتي ... ومالي لدَيْها من قَلُوصٍ ولا بَكْرِ
وما أنشُدُ الرُّعْيانَ إلا تَعِلَّةً ... بواضحةِ الأنيابِ طيّبةِ النَّشْرِ
أما والذي نادَى من الطُّورِ عبدَه ... وعلّمَ أيامَ المَناسكِ والنَّحْرِ
لقد زادَني للجفرِ حباً وأهلِه ... لَيالٍ أقامتْهُنَّ لَيلَى على الجَفْرِ

تغزله بابنة عم له نوبية

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال اخبرني عمر بن ابراهيم السعدي عن يوسف بن يعقوب بن العلاء بن سليمان عن سلمة بن عبد الله بن ابي مسرح قال :

قال عبد الملك بن مروان لنصيب أنشدني ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

وَمُضمَرِ الكَشْحِ يَطْويه الضَّجيعُ به
طيَّ الحمائلِ لا جافٍ ولا فَقِرُ (٣)
وَذِي رَوادِفَ لا يُلْفِي الازارُ بها
يُلْوَى ولو كان سبعاً حين يأتزِرُ

(١) الجفر : موضع بناحية من نواحي المدينة .
(٢) ضرية : قرية عامرة قديمة على وجه الدهر في طريق مكة من البصرة ونجد .
(٣) فقر فقرا من باب تعب : اشتكى فقاره .

فقال له عبد الملك : يانصيب ، من هذه ؟ قال : بنتُ عمٍّ لي نُوبيَّةٌ ، لو رأيتها ما شربت من يدها الماء ، فقال له : لو غير هذا قلت لضربتُ الذي فيه عيناكَ .

رحلته الى عبد العزيز كل عام يطلب رفده

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا الحارث بن ابي اسامة قال حدثنا المدائني قال :

كان عبد العزيز بن مروان اشترى نصيباً وأهله وولده فأعتقهم ، وكان نصيب يرحل اليه في كل عام مستميحاً (١) ، فيجيزه ويحسن صلتَه ، فقال فيه نصيب :

يقولُ فيُحسنُ القولَ ابنُ ليلَى ويفعلُ فوقَ أحسنِ ما يقولُ
فتىً لا يَرْزَأُ (٢) الخُلاّنَ إلاّ مودَّتَهم ويَرْزَؤُه الخليلُ
فبَشِّرْ أهلَ مصرَ فقدْ أتاهمْ معَ النّيلِ الذي في مصرَ نيلُ

شاعر يعيره بسواده

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعي ابو دلف قال حدثنا عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمه قال :

كان نصيب يُكنَى أبا الحَجْناء ، فهجاه شاعر من أهل الحجاز فقال :

رأيت أبا الحَجْناءِ في الناسِ حائراً ولونُ أبي الحَجْناءِ لونُ البهائمِ
تراه على ما لاحَهُ من سَوادِه وإن كان مظلوماً له وجهُ ظالمِ

فقيل لنصيب : ألا تجيبه ! فقال : لا ، ولو كنت هاجياً لأحدٍ لأجبته ، ولكن الله أوصلني بهذا الشعر الى خير ، فجعلتُ على نفسي ألاّ أقولَه في شرٍّ ، وما وصفني إلا بالسواد وقد صدق ، أفلا أنشدكم

(١) يقال استماحه : سأله العطاء .
(٢) أي لا يصيب منهم إلا الود .

ما وصفتُ به نفسي ؟ قالوا : بلى ، فأنشدهم قوله :

ليس السوادُ بناقصي ما دام لي هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتِ
من كان ترفعهُ منابتُ أصلهِ فبيوتُ أشعاري جُعِلْنَ منابتي
كم بين أسودَ ناطقٍ ببيانه ماضي الجَنانِ وبين أبيضَ صامتِ
إني ليحسُدني الرفيعُ بناؤُه من فضل ذاكَ وليس بي من شامتِ

ويُروَى مكان « من فضل ذاك » ، « فضل البيان » وهو أجود .

اخبرني عمي ومحمد بن خلف قالا حدثنا عبد الله بن ابي سعد قال حدثني سعيد بن يحيى الأموي قال حدثني عمي عن محمد بن سعد قال :

قال قائل لنصيب : أيها العبد ، مالك وللشعر ! فقال : أما قولك عبد فما وُلِدتُ إلا وأنا حر ، ولكن أهلي ظلموني فباعوني ، وأما السواد فأنا الذي أقول :

وإنْ أكُ حالِكاً لَوْني فإنني لعقلٍ غيرِ ذي سَقَطٍ وِعاءُ
وما نزلتْ بيَ الحاجاتُ إلا وفي عِرْضي من الطَّمَعِ الحياءُ

نصيب يشبب بجارية فيخطبها الناس :

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال حدثت عن السدوسي قال :

وقف نصيب على أبيات فاستسقى ماء ، فخرجت اليه جارية بلبن أو ماء فسقته ، وقالت : شَبِّبْ بي فقال : وما اسمك ؟ فقالت : هند ، ونظر إلى جبل وقال : ما اسم هذا العَلَم ؟ قالت : قنا ، فأنشأ يقول :

أُحِبُّ قَناً من حُبِّ هندٍ ولم أكُنْ أُبالي أقُرْباً زادَهُ اللهُ أم بُعْدا
ألا إن بالقيعانِ من بطن ذي قَناً لنا حاجةً مالت اليه بنا عَمْدا
أرُوني قَناً أنظُرْ إليه فإنني أُحِبُّ قَناً إني رأيتُ به هِنْدا

قال : فشاعتْ هذه الأبيات ، وخُطبت هذه الجارية من أجلها ، وأصابتْ بقول نصيب فيها خيراً كثيراً .

قصته مع جارية خطبها فأبت ثم تزوجته

اخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل بن نبيه قال حدثنا محمد بن سلام قال :

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك ، فقال له : حدثني يا نصيبُ ببعض ما مر عليك ، فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ! عَلِقْتُ جاريةً حمراء فمكثت زماناً تمنيني بالاباطيل ، فلما ألححت عليها قالت : اليك عني ، فوالله لكأنك من طوارق (١) الليل ، فقلت لها : وأنت والله لكأنك من طوارق النهار ، فقالت : ما أظرفك يا اسودُ ! فغاظني قولها، فقلت لها : هل تدرين ما الظَّرفُ ؟ إنما الظَّرفُ العقلُ ، ثم قالت لي: انصرف حتى أنظر في أمرك ، فأرسلت اليها هذه الأبيات :

فإن أكُ حالكاً فالمسكُ أحوَى ... وما لسَوَاد جِلدِي من دَواءِ
ولي كَرَمٌ عن الفَحْشاء ناء ... كَبُعْدِ الأرضِ من جَوّ السّماءِ
ومِثْلي في رِجالِكُمُ قليلٌ ... ومثلُكِ ليس يُعْدَمُ في النّساءِ
فإن تَرْضَيْ فرُدّي قول رَاضٍ ... وإن تَأبَيْ فنحنُ على السَّواءِ

قال : فلما قرأت الشعر قالت : المال والشعر يأتيان على غيرهما ، فتزوّجتني .

قاتل الله نصيباً ما أشعره

اخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال :

أنشدنا الاصمعي لنصيب وكان يستجيد هذه الابيات ويقول إذا أنشدها : قاتل الله نصيباً ما أشعره ! :

فإن يَكُ من لوني السّوادُ فإنّني
لَكالمسكِ لا يُرْوَى من المِسْكِ ذائقُه

---

(١) طوارق الليل : مصائبه التي تفجأ فيه .

وما ضَرَّ أثوابي سَوادِي وتحتَها لباسٌ من العَلْياء بيضٌ بنائقُهْ(١)
إذا المرء لم يَبْذُلْ من الودِّ مثلَ ما بذلتُ له فأعلمْ بأنّي مُفارِقُهْ

قول جرير فيه

اخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام عن خلف : أن نصيباً أنشد جريراً شيئاً من شعره ، فقال له : كيف ترى يا أبا حَزْرَةَ ؟ فقال له : أنت أشعر أهل جلدتك .

أشعر السودان :

اخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن اسماعيل عن عبد العزيز بن عمران بن محمد عن المسور بن عبد الملك قال :

قال نصيب لعبد الرحمن بن أزهر : دخلت على عبد العزيز بن مروان ، فقال لي : أنت أشعر أهل جلدتك ، والله ما زاد عليها ! فقال لي عبد الرحمن : يا أبا محجن ، أفرضيت منه أن جعلك أشعر السودان فقط ! فقال له : وددت والله يابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا ، ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك .

رأيه في شعره وشعر معاصريه :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا ابو حاتم قال اخبرنا ابو عبيدة قال : قال لي محمد بن عبد ربه : دخلت مسجد الكوفة فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه ، ولا أنقى ثياباً منه ، ولا أحسن زيًّا ! فسألت عنه ، فقيل : هذا نُصَيب ، فدنوت منه فحدثته ، ثم قلت له : أخبرني عنك وعن أصحابك ، فقال : جميلٌ إمامُنا ، وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربَّات الحجال ، وكثيّر أبكانا على الدِّمَن وأمدحنا للملوك ، وأما أنا فقد قلت ما سمعت ، فقلت له : إن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، فضحك ثم قال : أفتراهم يقولون : إني لا أحسن أن

(١) البنائق : جمع بنيقة وهي طوق الثوب الذي يضم النحر وما حوله .

أمدح ؟ فقلت : لا ، فقال : أفما تراني أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله ! قال قلت : بلى ، قال : فإني رأيت الناس رجلين : إما رجلاً لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه ، وإما رجلاً سألته فمنعني فنفسي كانت أحق بالهجاء ، إذ سولت لي أن أسأله وأن أطلب ما لديه .

في مجلس امرأة :

اخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبد الله بن إسماعيل بن ابي عبيد الله كاتب المهدي قال : وجدت في كتاب أبي بخَطّه : حدثني أبو يوسف التُّجِيبي (١) قال حدثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال :

حدثني النصيب أبو محجن أنه خرج هو وكُثَيِّر والأحوص غِبَّ يوم أمطرت فيه السماء ، فقال : هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا : نعم ، فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب ، وتنكّروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعلوا يتصفّحون (٢) ويرون بعض ما يشتهون حتى رُفِعَ لهم سوادٌ عظيم فأمُّوه حتى أتوه ، فإذا وصائف ورجال من الموالي ونساء بارزات ، فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلة ، فقالوا : لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا ، فحلّفنَهم أن يرجعوا اليهن ، ففعلوا وأتوهن فسألنهم النزول فنزلوا ، ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث ان جاءت المرأة فقالت : ادخلوا ، فدخلنا على امرأة جميلة بَرْزةٍ (٣) على فرشٍ لها ، فرحّبَتْ وحَيَّتْ ، وإذا كراسيُّ موضوعة فجلسنا جميعاً في صف

(١) نسبة الى تجيب وهي قبيلة من كندة .
(٢) تصفحت الشيء : نظرت اليه لأتعرفه .
(٣) امرأة برزة : تفوق اقرانها .

واحد كل انسانٍ على كرسيٍّ ، فقالت : إن أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنُصَبِّحَه وَنَعْرُكَ (١) أذنه فعلنا ، وان شئتم بدأنا بالغداء ، فقلنا : بل تَدْعِينَ بالصبيِّ ولن يفوتنا الغداء ، فأومأت بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يكن إلا كَلاَ (٢) ولاَ حتى جاءت جارية جميلة قد سُتِرَتْ بمُطْرَفٍ ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُها (٣) ، ثم كُشِفَ عنها وإذا جارية ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جَمال مولاتها ، فرحبت بهم وحيتهم ، فقالت لها مولاتها : خذي ويحك ! من قول النصيب عافى الله أبا محجن :

ألاَ هل من البَيْنِ المُفرِّق من بُدِّ ... وهل مثلُ أيامٍ بمُنْقَطَعِ السَّعْدِ
تَمنَّيتُ أيامي أولئكَ والمُنى ... على عَهد عادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِي (٤)

فغنته ، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظٍ واشجى صوت ، ثم قالت لها : خذي ايضاً من قول ابي محجن ، عافى الله أبا محجن :

أرِقَ المُحِبُّ وعادَهُ سُهُدُهْ ... لِطَوارقِ الهمِّ التي تَرِدُهْ
وذَكرتُ من رَقَّتْ له كَبِدِي ... وأبى فليس تَرِقُّ لي كَبِدُهْ
لا قومُه قومي ولا بلدي ... فنكُونَ حيناً جيرةً - بَلَدُهْ
وَوَجَدْتُ وَجْداً لم يكن أحدٌ ... قبلي مِنَ أجْلِ صبابةٍ يَجِدُهْ
إلا ابنُ عَجْلاَنَ الذي تَبِلَتْ (٥) ... هِنْدٌ ففاتَ (٦) بنفسه كَمَدُهْ

قال : فجاءت به أحسن من الاول ، فكدت اطير سروراً ، ثم قالت لها : ويحك ! خذي من قول ابي محجن عافى الله ابا محجن :

---

(١) عرك الاذن : دلكها ، وتقصد بهذا الوصف العود .
(٢) العرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل او ظهور شيء خفي . قالوا : كان فعلاً كلا .
(٣) هدأ روعها واطمأنت .
(٤) ما تعيد ولا تبدي : اي لا تأتي به ثدة ولا بادئة ، يريد انه لا نفع فيها .
(٥) تبله الحب : اسقمه .
(٦) اي ذهب كمده بنفسه واتى عليها فأهلكها .

فيا لكَ من ليلٍ تمتّعتُ طولَه وهل طائفٌ من نائمٍ مُتمتّعُ
نعم إنّ ذا شجْوٍ متى يلقَ شجْوَه ولو نائماً مُستعتَبٌ(١) أو مودّعُ
له حاجةٌ قد طالما قد أسرّها من الناسِ في صدرٍ بها يتصدّعُ
تحمّلها طولَ الزمانِ لعلّها يكونُ لها يوماً من الدهرِ منزَعُ
وقد قُرِعتْ في أمّ عمرٍو لي العصا
قديماً كما كانتْ لذي الحِلْمِ تُقرَعُ(٢)

قال : فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناءَ في شعري ، وما سمعتُ فيه من حسن الصّنعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت لها : خذي ايضاً من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن :

يا أيها الرّكبُ إنّي غيرُ تابعِكُمْ حتى تلمّوا وأنتمْ بي مُلمّونا
فما أرى مثلكُمْ ركباً كشكلِكُمُ
يدعوهُمُ ذو هوىً إلاّ يَعوجونا
أم خبّروني عن دائي بعلمكُمُ وأعلمُ النّاسِ بالداءِ الأطبّونا(٣)

قال نصيب : فوالله لقد زهوت بما سمعت زهواً خيّل إليّ أني من قُريش وأن الخلافة لي ، ثم قالت : حسبك يا بُنيّةُ هات الطعام يا غلام ، فوثب الاحوص و كثيّر وقالا : والله لا نطعم لك طعاماً ولانجلس لك في مجلس ، فقد أسأت عشرتنا وأستخففت بنا ، وقدّمتِ شعر هذا على أشعارنا ، وأستمعت الغناء فيه، وان في أشعارنا لما يفضل شعره ، وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا، فقالت: على معرفةٍ كلّ ما كان مني، فأي شعركما أفضل من شعره ؟ أقولك يا احوص:

---

(١) الاستعتاب : طلب العتبى ، يقال ، استعتبته فأعتبني اي استرضيته فأرضاني .

(٢) « ان العصا قرعت لذي الحلم» مثلٌ أصله ان حكما من حكام العرب عاش حتى أُهتر، فقال لابنته : إذا أنكرت من فهمي شيئاً عند الحكم فاقرعي لي المجن بالعصا لارتدع ، والمثل يضرب لمن اذا نبه أنتبه . والشاعر هنا يريد انه ليم في حبها قديماً .

(٣) الاطبون : البارعون في الطب .

يَقَرُّ بعيني مـا يقَرّ بعينها وأحسنُ شيء ما به العينُ قَرّتِ

أم قولك يا كثير في عَزّة :

وما حسبتْ ضَمْرِيَّـةٌ جدَوِيَّةٌ(١)
سِوى التَّيْسِ ذي القرْنين أنّ لها بَعْلاَ

أم قولك فيهـا :

إذا ضَمْرِيَّةٌ عطَسَتْ فنِكْها فإنّ عُطاسَها طَرَفُ السِّفادِ

قال : فخرجا مُغضَبين واحْتَبَسَتْني ، فتغدّيتُ عندها وأمرتْ لي بثلاثمائة دينار وحلّتين وطيبٍ ، ثم دفعت إليّ مائة دينار ، وقالت ادفعها الى صاحبيك ، فإن قبلاها وإلا فهي لك ، فأتيتهما منازلهما فأخبرتهما القصة ، فأما الاحوصُ فقبلها ، وأما كثيّر فلم يقبلها ، وقال : لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها ، فأخذتُها وانصرفت ، فسألت النصيب : ممن المرأة ؟ فقال من بني أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد .

رثاؤه لعبد العزيز بن مروان

أخبرني عيسى بن يحيى الوراق عن احمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال :

وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إياهـا ، فخرج هارباً منه فنزل بقرية من الصعيد يقال لها « سُكَّر » (٢) فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما اسمـك ؟ فقال : طالب بن مُدْرِك ، فقال : أوّهْ ، ما أراني راجعاً إلى الفسطاط أبداً ! ومات في تلك القرية ، فقال نصيبٌ يرثيه :

أصِبتُ يومَ الصعيد من سُكَّرٍ مصيبةً ليس لي بها قِبَـلُ

(١) نسبة الى جدي بن ضمرة بن بكر من كنانة .

(٢) سكر بوزن زفر : موضع بشرقية الصعيد بينه وبين مصر يومان كان عبد العزيز بن مروان يخرج اليه كثيراً .

تالله أنسى (١) مصيبتي أبداً ما أسمعتني حنينها الإبلُ
ولا التبكّي عليه أعولُه (٢) كلُّ المصيباتِ بعده جللُ
لم يعلم النعشُ ما عليه من العرفِ ولا الحاملون ما حملوا
حتى أجنّوه (٣) في ضريحهمُ حين انتهى من خليلهِ الأملُ

غنى في هذه الابيات ابن سريج ولحنه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر الهشامي ان له فيه لحناً من الهزج. وذكر ابن بانة ان الرمل لابن الهربذ (٤)

اخبرني محمد بن مزيد بن ابي الازهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابيه عن مصعب الزبيري عن مشيخة من اهل الحجاز :

أن نصيباً دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أنشدني بعض ما رثيت به أخي فأنشده قوله :

عرفتُ وجرّبتُ الأمورَ فما أرى كماضٍ تلاهُ الغابرُ (٥) المتأخّرُ
ولكنَّ أهلَ الفضل من أهل نعمتي يمرّون أسلافاً أمامي وأغبُرُ
فإن أبكهِ أعذرْ وإن أغلبِ الأسى بصبرٍ فمثلي عندما اشتدَّ يصبرُ
وكانت ركابي كلّما شئتُ تنتحي إليكَ فتقضي نحبَها وهي ضُمَّرُ
ترى الوِرْدَ يُسْراً والثَّواءَ غنيمةً
لديكَ وتُثني بالرّضا حين تصدُرُ
فقد عريتْ بعدَ ابنِ ليلى فإنما ذُراها لمن لاقتْ من الناس منظرُ
ولو كان حيّاً لم يزلْ بدُفوفها (٦) مرادٌ لغربانِ الطريقِ ومنقرُ
فإن كنَّ قد نلنَ ابنَ ليلى فإنه هو المصطفى من أهلهِ المتخيَّرُ

فلما سمع عبد الملك قوله :

---

(١) يريد لا أنسى وقول الشاعر : فقلت يمين الله ابرح قاعدا
(٢) اعول : رفع صوته بالبكاء والصياح .
(٣) أجنّ الميت : كفنه ودفنه .
(٤) المغني اسماعيل بن الهربذ مولى آل الزبير بن العوام .
(٥) الغابر : الباقي ، ويستعمل بمعنى ذهب .
(٦) الدفوف : جمع دف وهو صفحة الجنب .

فإن أبكه أعذر وإن أغلب الأسى بصبر فمثلي عندما اشتد يصبر

قال له : ويلك ! أنا كنت أحق بهذه الصفة في أخي منك ! فهلا وصفتني بها ، وجعل يبكي :

فصاحته ايضاً

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن اسحاق عن ابيه عن أبي يحيى محمد بن كناسة قال :

قال لي عبد الله بن إسحاق البصري : لو وليتُ العراق لاستكتبت نصيباً ، قلت : لماذا ؟ قال : لفصاحته وحسن تخلصه إلى جيد الكلام، ألم تسمع قوله :

فلا النفسُ ملَّتها ولا العينُ تنتهي
إليها [سوى في الطرف[1]] عنهافترجع
رأتها فما ترتد عنها سآمة ترى بدلاً منها به النفسُ تقنعُ

جرأة نصيب

أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن الحسن قال :

دخل نصيب على ابراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له ، فقال إبراهيم : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الازرق ، حيث يقول :

إن تغدُ من [منقلي[2]] نجران مرتحلا
يرحلْ من اليمنِ المعروفُ والجودُ

(١) هكذا ورد في اكثر النسخ ، وفي بعضها (سوام الطرف) واعتمدته طبعة دار الكتب المصرية . وكلا النصين مصحف تصحيفاً منكراً ، وصوابه كما نقدر (اليها سواعي الطرف عنهافترجع) وأصل التركيب : ترجع عنها اليها سواعي الطرف ، والمعنى : لا تفتأ سواعي الطرف اي مرسلات اللواحظ منقلبة عنها راجعة اليها .

(٢) هكذا ورد بصيغة التثنية لمنقل اي الطريق في الجبل ، في نسخ الاغاني عامة وفي معجم البلدان ، والمعنى فيه : من اي طريقي نجران رحلت يرحل الجود معك منها . وهو وان يكن سائغاً ، ليس الصواب . وانما الاقرب الى شاكلته ، ان يضبط : منقلي بصيغة الجمع اي المنتجعون والمعنى : ان ارتحلت عن منتجعي نجران وطالبي معروفها فلن يجدوا ربيعهم فالجود مال عن اليمين غداة ملت عنه ؛ ويؤيده رواية « ياقوت » وفيها « عن » بدل « من » .

قال : فغضب نصيب ونزع عمامته وبرك عليها ، وقال : لئن تأتونا برجـال مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهبل أو أحسن ، إن المديح والله إنما يكون على قَدْر الرجـال ، قال : فأطرق ابن هشام وعجبوا من اقدام نصيب عليه ، ومن حلم ابن هشام وهو غير حليم .

نصيب وأم بكر

[اخبرني الحرمي عن الزبير عن ابراهيم بن يزيد السعدي قال حدثتني جدتي جمال بنت عون بن مسلم عن أبيها عن جدها قال :

رأيت رجلاً أسود ومعه امرأة بيضاء حسناء فجعلت أعجب من سواده وبياضها فدنوت منه فقلت من أنت ؟ فقال : أنا الذي يقول :

ألا ليت شعري مـا الذي تحدثين بي
غـداً غربة النأي المفرّق والبعـد
لدى أم بكر حين تغترب النوى بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي
أتصرمني عند الذين هم العـدا فتشمتهم بي أم تدوم على العهدِ

قال : فصاحت بل والله أدوم على العهد . فسألت عنها فقيل : هذا نصيب وهذه أم بكر [1] .]

تعلقه بهـا

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قـال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري : أن نصيباً كان ربما قدم من الشام فيطرح في حِجْر أمّ بكر الخزاعيـة أربعمائة دينار ، وأن عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها ونسيبه فيها فنهاه عن ذلك حتى كفّ .

شاعريتـه وخلقه

اخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن اسحاق عن ابيه عن عثمان بن حفص الثقفي

(١) لعله من المفيد ان نشير الى ان هذا الخبر (نصيب وام بكر) قد سقط بكامله من طبعة دار الكتب المصرية .

عن أبيه قال :

رأيت النصيب بالطائف فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهيٌّ ورداء وحِبَرَةٌ (١) ، فجعل ينشد مديحاً لابن هشام ، ثم قال : إن الوادي مَسْبَعَةٌ ، فمَنْ أهل المجلس ؟ قالوا ثقيف ، فعرف أنَّا نُبْغِض ابن هشام ويبغضنا ، فقال : إنَّا لله ! أبعدَ ابنِ ليلى أمتَدِحُ ابن جَيْداء (٢) ! فقال له أهل المجلس : يا أبا محجن ، أتطلب القريض احياناً فيعسر عليك ؟ فقال : إي والله لربما فعلت ، فآمر براحلتي فيُشَدُّ بها رحلي ، ثم أسير في الشعاب الخالية وأقف في الرباع المُقْوِيَة ، فيطربني ذلك ويفتح لي الشعر ، والله إني على ذلك ما قلت بيتاً قط تستحي الفتاة الحييَّة من انشاده في سِتْر أبيها . قال إسحاق قال عثمان بن حفص فوصفه أبي وقال : كأني أراه صَدْعا (٣) خفيف العارضين ناتيء الحنجرة .

رسالته الى سعدى

اخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن ابيه عن محمد بن كناسة قوله : انشد نصيب قوله :

وكدتُ ولم أُخلَق من الطير إن بدا
لها بارقٌ نحوَ الحجاز أطيرُ

فسمعه ابن أبي عتيق ، فقال : يأبن أمّ ، قل غاقِ فانك تطير ، يعني أنه غراب أسود .

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال اخبرني احمد بن محمد الاسدي اسد قريش قال : قال ابن أبي عتيق لنصيب : إني خارج أفتوسل الى سُعدى بشيء ؟

(١) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

(٢) جيداء : أم محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك وقد ولاه مكة وكتب اليه ان يحج بالناس فهجاه العرجي باشعار كثيرة منها :

كأن العام ليس بعام حج تغيرت المواسم والشكول
الى جيداء قد بعثوا رسولاً ليخبرها فلا صحب الرسول

(٣) الصدْع والصدَع : الرجل الخفيف اللحم .

قال : نعم ، بيتي شعر ، قال : قل ، فقال :

أتصبرُ عن سُعدى وأنت صَبُورُ وأنت بحُسْنِ الصبر منك جديرُ
وكدتُ ولم أُخلق من الطير إن بدا سَنا بارقٍ نحو الحجاز أطيرُ

قال : فأنشد ابن أبي عتيق سعدى البيتين فتنفَّسَتْ تنفُّسَةً شديدة ، فقال ابن أبي عتيق : أوَّهْ ! أجبتِه والله بأجودَ من شعره ، ولو سمعك خليلك لنعق وطار إليك .

نصيب والحكم بن المطلب

اخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال حدثني أبو هفان عن إسحاق الموصلي عن المسيبي قال :

قال أبو النجم : أتيتُ الحكم بن المطلب فمدحته ، وخرج إلى السِّعاية[1] فخرجنا معه ومعه عِدَّةٌ من الشعراء ، فبينا هو مع أصحابه يوماً واقفٌ ، إذا براكب يُوضع[2] في السَّراب وإذا هو نصيب ، فتقدم إليه فمدحه فأمر بإنزاله فمكث أياماً حتى أتاه ، فقال : إني قد خلَّفتُ صبيةً صغارا وعيالا ضعافا ، فقال له : أدخل الحظيرةَ فخذ منها سبعين فريضة[3] ، فقال له : جعلني الله فداك قد أحسنتَ ! ومعي ابنٌ لي أخاف أن يَثلِمَها[4] عليَّ ، قال : فادخل فخذ فريضة أخرى ، فانصرف بمائة وأربعين فريضة .

اخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن الضحاك عن عثمان عن ابيه قال :

قيل لنصيب : هرم شِعْرُك ، قال : لا . والله ما هرم ، ولكن العطاء هرم ، ومن يُعطيني مثلَ ما أعطاني الحكمُ بن المطّلب ! خرجتُ

(١) يقال : سعى سعاية اذا باشر عمل الصدقات .
(٢) الايضاع : الإسراع في السير .
(٣) الفريضة : القلوص التي تكون بنت سنة .
(٤) اي يأخذ منها فينقصها .

إليه وهو ساع على بعض صدقات المدينة ، فلما رأيته قلت :

أبا مروان لست بخارجي[١] وليس قديم مجدك بانتحال
أغر إذا الرواق انجاب[٢] عنه بدا مثل الهلال على المثال[٣]
تراه العيون كما تراءى عشية فطرها وضح الهلال

قال : فأعطاني أربعمائة ضائنة ومائة لقحة[٤] ، وقال : ارفع فراشي ، فرفعته فأخذت من تحته مائتي دينار .

نصيب في الحج

اخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا الزبير قال حدثني اسعد بن عبد الله المزني عن ابراهيم بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن ابيه قال :

والله إني لمع أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة في حواء[٥] له ، إذ جاءه كثير فحياه فاحتفى به ، ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثير ، وجاء رجل فسلم فرددنا عليه السلام واستدنيناه ، فاذا نصيب في بزة جميلة قد وافى الحج قادماً من الشام ، فأكب على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه الى الغداء ، فأكل من القوم فرفع كثير يده وأقلع عن الطعام وأقبل عليه أبو عبيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى فتركوه ، وأقبل كثير على نصيب فقال : والله يا أبا محجن ، إن أثر أهل الشام عليك لجميل ، لقد رجعت هذه الكرة ظاهر الكبر قليل الحياء ، فقال له نصيب : لكن أثر الحجاز عليك يا أبا صخر غير جميل ، لقد رجعت وإنك لزائد النقص كثير الحماقة ، فقال كثير : أنا والله أشعر العرب حيث أقول لمولاتك :

---

(١) الخارجي : الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير ان يكون له قديم .
(٢) انجاب : انكشف .
(٣) المثال : الفراش .
(٤) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .
(٥) الحواء ككتاب : جماعة البيوت المتدانية .

إذا أمسيتُ، بطنُ مَجاحٍ(١) دوني وعَمْقٌ(٢) دون عَزَّةَ فالبَقيعُ
فليس بلائمي أحدٌ يصلّي إذا أخذت مجاريها الدموعُ

فقال له نصيب : أنا والله أشعر منك حيث أقول لابنة عمك :

خليليَّ إن [حلّت(٣)] كلَيبة بالرُّبا
فذي أمَجٍ فالشِّعب ذي الماء والحَمْضِ
فأصبح من حوزانَ رحلي بمنزلٍ يُبعِده من دونها نازحُ الأرضِ
وأيأستُها أن يجمعَ الدهرُ بيننا
فخُوضا بيَ السمَّ [المُصَرَّح بالمحضِ](٤)
ففي ذاك من بعضِ الامور سلامةٌ والموتُ خيرٌ من حياةٍ على غمضِ

قال : فاقتحم(٥) اليه كثيِّر ، ووثبَ له النصيب ، فلما نالته رِجْلاه رمحه(٦) نصيب بساقه رَمحةً طاح منها بعيداً عنه ، فما زال راقداً حتى ايقظْناه عَشِيًّا لرمي الجمار .

اخبرني الحرمي بن ابي العلاء عن الزبير عن محمد بن موسى بن طلحة عن عبد الله ابن عمر بن النحوى عن انيس بن ربيعة الاسلمي انه قال :

غدوت يوماً الى أبي عُبيدة بن عبد الله بن زمعة وهو مُحتَلٌّ بالرَّحبة(٧) ، فألفيتُ عنده جماعة منّا ومن غيرنا ، فأتاه آتٍ فقال له :

---

(١) مجاح : موضع من نواحي مكة .

(٢) عمق بفتح أوله وسكون ثانيه : واد من أودية الطائف نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصر الطائف وفيه بئر ليس بالطائف اطول رشاء منها .

(٣) هكذا جاءت (حلت) في كل روايات البيت التي هي كلية بالربا ، كلية فالربا ، كلية بالربا ، ولكن لا معنى لها ، ونرجح انها مصحفة عن (حالت) من الحيلولة ؛ فالشاعر يقول : إن بانت كلية — حيث مسكنه ومراتع أنسه وهواه — وحال دونها أمكنة : الربا ، فذو أمج ، فالشعب ، وبات من دونها نازح الارض ، وأيأس منها الدهر ، فلا أبالي الفقر بل اتمناه سما في دسم .

(٤) جاء بروايتين : الفرج بالمحض ، المصرح بالمحض ، وهما سواء من حيث انهما كفايتان عن الدسم . ومع ذلك نرجح ان التركيب مصحف عن : المصرح بالمحض ؛ اي الممزول صريحا باللبن الخالص .

(٥) اقتحم اليه : تقدم اليه .

(٦) رمحه : رفسه .

(٧) الرحبة : البقعة المتسعة بين افنية القوم .

ذاكَ النصيب منذ ثلاثٍ بالفَرْش [١] من ملل متلدِّدٌ [٢] كأنه والهٌ في أَثَرِ قوم ظاعنين ، فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه فاذا نصيب على المنحر من صفَر [٣] ، فلما عاينّنا وعرف أبا عبيدة هبط فسأله عن أمره ، فأخبره أنه تبع قوماً سائرين وأنه وجد آثارهم ومحلهم بالفرش فاستولهه [٤] ذلك ، فضحك به أبو عبيدة والقوم : إنما يُهْتَر [٥] إذا عشق من انتسب عُذرِيّاً ، فأما أنت فما لك ولهذا ! فاستحيا وسكن ، وسأله أبو عبيدة : هل قلت في مقامك شعراً ؟ قال : نعم ، وأنشد :

لعَمْري لئن أَمْسَيتَ بالفَرْشِ مُقْصَداً
ثَوِيَّاكَ [٦] عَبُّودٌ [٧] وعُدْنَةُ [٨] أو صَفَر
ففرعٍ [٩] صبّـا أو تيمّم [١٠] مُصْعِداً
لرَبْعٍ قديمِ العهدِ يَنْتَكِفُ [١١] الأَثَرْ
دعا أهله بالشأم بَرْقٌ فأوجفوا ... ولم أرَ متبوعاً أضرَّ من المطرْ
لتَسْتَبْدلنْ قلباً وعيناً سِواهما ... وإلاّ أنى قصداً حُشاشَتَك [١٢] القدَرْ
خليليَّ فيما عِشْتُما أو رأيتُما ... هل اشتاق مضرورٌ إلى من به أضرْ

(١) الفرش : واد بين غميس الحمام وملل.
(٢) تلدد : تلفت يميناً وشمالا وتحير متبلدا .
(٣) صفر : جبل احمر من جبال ملل قرب المدينة .
(٤) استوله : اضطرب عقله .
(٥) يقال اهتر الرجل : ذهب عقله من كبر او مرض او حزن .
(٦) الثويان : مثنى ثوي وهو المقيم معك في مكان واحد .
(٧) عبود : جبل بين السيالة وملل .
(٨) عدنة : ثنية قرب ملل . وفي كثير من النسخ جاء الشطر هكذا :

وبرح بي وهـــج بقلبي او صفر

(٩) فرع في الجبل وافرع : انحدر . وفي طبعة دار الكتب المصرية : صبأ أي هائماً من الصبابة وهو خطأ يفقأ العين ، وانما صبا بمعنى الانحدار السريع في مقابلة : تيمم مصعداً . والشطر المذكور في كثير من النسخ : وجت شجوني واستهلت مدامعي .
(١٠) يمم : قصد .
(١١) انتكف الاثر : تتبعه في مكان سهل ، وذلك لأنه لا يتبين في الارض الغليظة الصلبة .
(١٢) الحشاشة : رمق بقية من حياة .

نعمْ رُبَّما كان الشقاءُ مُتَبَّحاً [١] يغطّي على سَمْعِ ابن آدمَ والبَصَر

قال : فانصرف به الى منزله وأطعمه وكساه وحمله [٢] ، وانصرف وهو يقول :

أصابَ دواءَ عِلَّتِكَ الطبيبُ وخاضَ [٣] لكَ السُلُوَّ ابنُ الربيب [٤]
وأبصَرَ مِن رُقاكَ مُنفَّثاتٍ [٥] وداؤك كان أعرفَ بالطبيبِ

عندما ملأ يزيد فمه جوهرا

اخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا ابو حاتم عن الاصمعي قال :

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك ذات يوم ، فأنشده قصيدة امتدحه بها فطرب لها يزيد واستحسنها ، فقال له : أحسنت يا نصيب ! سلني ما شئت ؟ فقال : يدك يا امير المؤمنين بالعطاء أبسطُ من لساني بالمسئلة ! فأمر به فمُلِيء فمُه جوهراً ، فلم يزل به غنياً حتى مات .

نصيب ووالي المدينة

اخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبو غزية عن عبد الرحمن ابن ابي الزناد قال :

دخل نصيب على ابراهيم بن هشام وهو وال على المدينة ، فأنشده قوله:

يابنَ الهِشامَيْن [٦] لا بَيْتٌ كبيتكمُ
إذا تَسامَتْ إلى أحسابِها مُضَرُ

فقال له ابراهيم : قم يا أبا محجن إلى تلك الراحلة المَرْحُولةِ فخذها

(١) متبحاً : مقدراً .
(٢) حمله : اتى له بما يركبه في سفره .
(٣) خاض الشراب : خلطه وحركه .
(٤) يريد بابن الربيب أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة .
(٥) نفث الراقي نفثا ونفثانا اذا تفل .
(٦) يريد بالهشامين هشام بن عبد الملك بن مروان اباه وهشام بن اسماعيل المخزومي جد ابيه لأمه .

برَحْلِها ، فقام اليها نصيب متباطئاً والناس يقولون : ما رأينا عطيّـةً أهنأ من هذه ولا أكرم ولا أعجل ولا أجزل ! فسمعهم نصيب فأقبل عليهم وقال : والله إنكم قلّما صاحبتمُ الكرام ! وما راحلةٌ ورَحْلٌ حتى تَرْفعَوهما فوق قدرهما ! .

اعتذاره لهشام بن عبد الملك

اخبرني الحرمي بن هشام بن الحسين قالا حدثنا الزبير عن عبد الله بن محمد بن عمرو بن عثمان بن عفان عن ابيه قال :

استبطأ هشام بن عبد الملك حين وَلِيَ الخلافة نُصيباً ألاّ يكون جاءه وافداً عليه مادحاً له ووجد [1] عليه ، وكان نصيب مريضاً فبلَغه ذلك حينَ برَأ ، فقَدِمَ عليه وعليه أثرُ المرض وعلى راحلتِه أثرُ النَّصَب ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

حلفتُ بِمَنْ حَجّتْ قريشٌ لبيتِه ... وأهْدَتْ له بُدْناً [2] عليها القلائدُ
لئن كنتُ طالتْ غَيْبتي عنكَ إنني ... بمَبْلغ حَوْلي في رضاكَ لجاهدُ
ولكنني قد طال سُقْمِي وأكثرتْ ... عليَّ العِهادَ [3] المُشْفِقاتُ العوائدُ
صَريعُ فِراشٍ لا يَزَلْنَ يَقُلْنَ لي ... بنُصحٍ وإشفاقٍ متى أنت قاعدُ
فلما زَجَرْتُ العيسَ أسرتُ بحاجتي ... إليكَ وذلّتْ للّسانِ القصائدُ
وإنّي فلا تَسْتَبْطِني [4] بمَوَدّتي ... ونُصْحِي وإشفاقي إليكَ لَعامِدُ
فلا تُقْصِني حتى أكونَ بصَرْعَةٍ [5] ... فييأسَ ذو قُرْبى ويَشْمتَ حاسدُ
أَنِلْني وقَرّبْني فإنّيَ بالغٌ ... رِضاكَ بعفوٍ من نَداكَ وزائدُ

(١) وجد عليه : غضب .
(٢) بدنا : جمع بدنة وهي ناقة او بقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لانهم كانوا يسمنونها .
(٣) العهاد : جمع عهد وعهدة بفتح العين وكسرها : وهي مطر يدرك آخره بلل أوله ، وسمي بذلك لأن الاول عهد بالثاني ، وقد أراد بها الدموع .
(٤) لا تستبطئني .
(٥) أي حتى يحل بي الموت .

أبِتْ نائماً أمّا فؤادي فهمّه قليلٌ وأما مسُّ جِلْدي فباردُ
وقد كان لي منكم إذا ما لقيتكم لَبانٌ(١) ومعروفٌ وللخيرِ قائدُ
إليك رَحَلْتُ العِيسَ حتى كأنّها
قِسِيُّ السُّرَى ذبلى بَرَتْها الطَّرائدُ(٢)
وحتى هَوادِيها(٣) دِقاقٌ وشَكوُها(٤)
صَريفٌ وباقي النِّقْي(٥) منها شَرائدُ(٦)
وحتى وَنَتْ ذاتُ المِراحِ(٧) فأذعنتْ
إليكَ وكلُّ الرّاسِماتُ(٨) الحوافِدُ

قال : فرقَّ له هشامٌ وبكى ، وقال له : ويحك يا نصيب ! لقد أضررنا بك وبرواحلك ، ووصله وأحسن صلته واحتفل به .

نصيب والنصري امير المدينة

اخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه عن أيوب بن عباية قال :

قدم نصيبٌ على عبد الواحد النَّصريّ وهو أمير المدينة بفَرْضٍ من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بني ضَمرةَ ، فأدخلهم عليه ليَفرِضَ لهم وفيهم أربعة غِلْمَةٍ لم يحتلموا ، فردَّهم النَّصريّ ، فكلمه نصيب كلاماً غليظاً إدلالاً بمنزلته عند الخليفة ، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مطيع : أنِ اُسكتْ وكُفَّ واُخرج فإني كافيك ، فلما خرج إبراهيم لقيه نصيب فقال له : أشرتَ إليّ فكرهت أن أغضبك ، فما كرهتَ لي من

---

(١) اللبان بالفتح : نعمة العيش .

(٢) الطرائد : جمع طريدة وهي قصبة فيها حزة توضع على المغازل والعود والقداح فتنحت عليها وتبرى بها .

(٣) الهوادي : الاعناق : ودقائق : جمع دقيقة .

(٤) شكوها : شكواها ، والصريف : صرير الانياب.

(٥) النقي : مخ العظم .

(٦) الشريد : البقية من الشيء .

(٧) المراح : النشاط .

(٨) الراسمات: ذوات الرسيم وهو ضرب من السير سريع مؤثر في الارض. والحوافد: المسرعات

مراجعته والصلابة له ومن ورائي المستعتب من أمير المؤمنين ! فقال ابراهيم : هو رجل عربي حديد غلِق (١) وخشيت إن جاذبته شيئاً ألاّ يرجع عنه وأن يمضي عليه ويلجّ (٢) فيه ، وهو مالك للأمر وله فيه سلطان ، فأردت أن تخرج قبل أن يلجّ ويظهر منه ما لا يرجع عنه فيمضي عليه ويلجّ فيه ، فتنتظر لتصادف منه طيب نفس فتكلّمه وتَرفِدك (٣) عنده ، فقال نصيب :

يومانِ يومٌ لرُزَيقٍ قسْلُ ويومه الآخرُ سمحٌ فضْلُ

أنا – جعلتُ فداءك – فاعلٌ ذلك ، فإذا رأيتَ القول فأشِرْ إليّ حتى أكلمه ، قال : ودخل إليه نصيب عشيّاتٍ ، كل ذلك يشير إليه ابن مطيع ألّا يكلمه ، حتى صادف عشيّةً من العشيّات منه طيبَ نفس ، فأشار إليه : أنْ كلّمْه ، فكلمه نصيبٌ فأصاب محتله وكلامه ، ثم قال : إني قد قلت شعرا فاسمعه أيها الأمير وأجِزْه ، ثم قال :

أهاجَ البكا رَبعٌ بأسفلِ ذي السِّدْرِ (٤)
عفاهُ (٥) اختلافُ العصرِ بعدكَ والقَطرِ
نعمْ فشفّاني الوجدُ فاشتقتُ للذي
ذكرتُ وليس الشوقُ إلا معَ الذِّكرِ
حلفتُ بربّ الموضعين (٦) لربّهمْ
وحرمةِ ما بينَ المقام إلى الحِجْرِ

(١) الغلق : الضيق الخلق العسر الرضا .
(٢) يلج فيه : يتمادى عليه ، يقال : لج في الامر : تمادى عليه وأبى ان ينصرف عنه .
(٣) يقال رفده وأرفده : أعانه .
(٤) ذو السدر : اسم موضع بعينه .
(٥) عفت الريح الدار كعفتها : جعلتها دارسة بالية .
(٦) الموضعين : المسرعين في السير ، من الايضاع وهو سير مثل الخبب .

لئن حاجتي يوماً قضيتَ ورِشتني[١]
بنفحة عُرْف من يديك أبا بِشرِ

إذاً تعرِفنَ الدهرَ منّي مودّةً
ونُصحاً على نُصح وشُكرا على شُكرِ

سقى الله صوتَ المُزْنِ أرضاً عمرْتَها
بريّ وأسقاها بلادَ بني نصرِ

بوجهك فاستعملتَ ما دُمتَ خائفاً
لربّك تقضي راشداً آخرَ الدهرِ

لتُنقِذَ أصحابي وتَستُرَ عورةً بدتْ لك من صحبي فإنك ذو ستْرِ

فما بأمير المؤمنين إلى التي سألتُ فأعطاني لقوميَ من فقرِ

وقد خرجتْ منه إليك فلا تكن
بموضع بَيضاتِ الأنوق[٢] من الوكْرِ

قال : فقال عثمان بن حيان المُرّيّ وهو عنده - وكان قد جاءه بالقَوَد من ابن حزم - : قد احتلم الآن القوم ايها الامير ، واستوجبوا الفرضَ[٣] ورَفَده ابن مطيع فأحسن ، واشتد عليه ان شركه ابن حيان في رَفْده وتشييعه ، وقال النصري لابن مطيع وابن حيان : صدقتما قد احتلموا واستوجبوا الفرض ، افرض لهم يا فلانُ - لكاتب من كتابه - ففرض لهم .

عشقه لامة بني مدلج وشعره فيها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني جعفر بن علي اليشكري قال حدثني

(١) يقال : رشت فلانا اذا قويت جناحه بالاحسان .

(٢) الانوق : العقاب : وقيل غير ذلك . وفي المثل : « أعز من بيض الأنوق » لانها تحرزه فلا يكاد يظفر به لان اوكارها في رؤوس الجبال والاماكن الصعبة البعيدة . وهو يضرب للشيء العزيز البعيد المنال .

(٣) فرض له كذا : رسم شيئاً معلوماً وأثبت رزقه فيه .

الرياشي عن العتبي قال :

دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال له عبد العزيز ، وقد طال الحديث بينهما : هل عشقت قط ؟ قال : نعم ، أمَةً لبني مُدْلِج قال : فكنت تصنع ماذا ؟ قال : كانوا يحرسونها مني ، فكنت أقنع أن أراها في الطريق وأشير اليها بعيني أو حاجبي ، وفيها أقول :

وَقَفْتُ لها كَيْما تَمُرُّ لعلَّني أُخالِسُها التَّسليمَ إن لم تُسلِّمِ
ولمَّا رأتني والوُشاةَ تحدَّرتْ مَدامعُها خوفاً ولم تتكلَّمِ
مَساكينُ أهلُ العِشقِ ما كُنتُ أشتري
جميعَ حياةِ العاشقين بِدِرهَمِ

فقال عبد العزيز : ويحك ! فما فعلتْ ؟ قال : بيعت فأولدها سيدها ، قال : فهل في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم ، عَقابيلُ (١) أحزان .

عبد العزيز يحمل ديناً عن نصيب

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بهلول بن سليمان بن قرضاب البلوي :

أن إبلاً لنصيب أجدبت وحالت (٢) ، وكان لرجل من اسلم عليه ثمانية آلاف درهم ، قال : فأخبرني أبي وعمي أنه قد وفد على عبد العزيز ابن مروان ، فقال له : جعلني الله فداءك ، اني حَمَلتُ دَيْناً في إبل ابتعتها مجدبات حِيال ، وقد قلت فيها شعراً ، قال : أنشده ، فأنشده :

فلما حَمَلْتُ الدَّيْنَ فيها وأصبحتْ
حِيالاً مُسِنّاتِ (٣) الهوى كِدْتُ أندَمُ
على حين أن راثَ (٤) الرَّبيعُ ولم يكن
لها بصَعيدٍ من تِهامَةَ مَقْضَمُ

---

(٤) عقابيل احزان : بقايا احزان .
(١) حالت : انقطع عنها الحمل .
(٢) مسنات الهوى : انقطع منها الغرض فلا يرغب فيها احد لكبرها .
(٣) راث : أبطأ .

ثمانيةٌ للاسلميِّ وما دَنا لفُحْشٍ ولا تدنو إلى الفُحْشِ أسْلَمُ

فقال له عبد العزيز : فما دَيْنُك ؟ ويحك ! قال : ثمانية آلاف ، فأمر له بثمانية آلاف درهم ، فلما رجع أنشد الاسلمي الشعرَ فتركَ ما له عليه ، وقال : الثمانيةُ الآلاف لك .

نسوة وشعر ونصيب في المسجد الحرام

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني الموصلي عن ابن ابي عبيدة قال :

أتى نصيب مكة فأتى المسجد الحرام ليلاً ، فبينما هو كذلك إذ طلع ثلاث نسوة فجلسنَ قريباً منه وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء وإذا هنّ من أفصحِ النساء وآدبهن ، فقالت إحداهن : قاتل الله جميلاً حيث يقول :

وبينَ الصفا والمروتين ذكرتُكم بمختلفٍ ما بين ساعٍ وموجِفِ
وعنـد طَوافي قد ذكرتُك ذُكرةً هي الموتُ بل كادتْ على الموتِ تَضعُف

فقالت الأخرى : بل قاتل الله كثيّر عزّة حيث يقول :

طلعْنَ علينا بين مَرْوةَ والصفا يَمُرْنَ[1] على البَطحاءِ مورَ السحائب
فكِدنَ لعَمرُ الله يُحدِثنَ فتنةً لمختشِعٍ من خشيةِ الله تائبِ

فقالت الأخرى : قاتل اللهُ ابن الزانية نصيبا حيث يقول :

ألامُ على ليلى ولو أستطيعُهـا وحُرمة ما بين البَنيّةِ والسِّتْر
لَمِلتُ على ليلى بنفسي مَيلةً ولو كان في يوم التّحالُق والنّحرِ

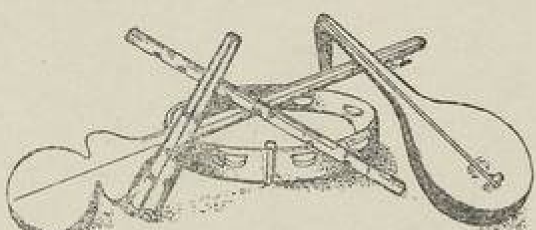
فقام نصيب إليهنّ فسلم عليهنّ ، فرددن عليه السلامَ ، فقال لهنّ : إني

(١) يمرن : يتابن جائيات ذاهبات .

رأيتكنّ تتحادثن شيئاً عندي منه علمٌ ، فقلن : ومن أنت ؟ فقال : اسمعْنَ أوّلا ، فقلن هات ، فأنشدهنّ قصيدته التي أوّلها :

ويومَ ذي سَلَمٍ شاقَتْكَ نائحةٌ ۝ وَرْقاءُ في فَنَنٍ والريحُ تضطربُ

فقلن له : نسألك بالله وبحقّ هذه البَنِيَّة ، من أنت ؟ فقال : أنا ابنُ المظلومة المقذوفة بغير جُرم « نصيب » فقُمن إليه فسلمن عليه ورحّبن به واعتذرت إليه القائلةُ ، وقالت : والله ما أردتُ سوءا ، وإنما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعتَ ، فضحك وجلس إليهن فحادثهنّ إلى أن انصرفن .



أخبار ابن محرز ونسبه

نسبه :

هو مُسلِم بن مُحرِز فيما روى ابن المكي ، ويُكنى أبا الخطاب مولى بني عبد الدار بن قصيّ ، وقال ابن الكلبي : اسمه سَلْم قال ويقال : اسمه عبد الله ، وكان أبوه من سَدَنةِ (١) الكعبة أصله من الفُرس وكان أصفر أحنى (٢) طويلاً .

صنّاج العرب :

واخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال :

اسم ابن محرز سَلم ، وهو مَولى بني مخزوم ؛ وذكر إسحاق أنه كان يسكن المدينة مرّة ، فاذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضَرب من عزّةَ الميلاءِ ، ثم يرجع الى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر ، ثم شخص (٣) الى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غناءهم ، ثم صار الى الشام فتعلم ألحان الرُوم وأخذ غناءهم ، فأسقطَ من ذلك ما لا يُستحسَن من نغَم الفريقين وأخذ محاسنَها فمزج بعضَها ببعض وألّف منها الأغانيَ التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يُسمع مثلُه ، وكان يقال له صَنّاج (٤) العرب .

(١) السدنة : جمع سادن وهو خادم الكعبه .

(٢) رجل أحنى : معناه محدودب الظهر .

(٣) شخص من بلد الى بلد : ذهب .

(٤) الصنج : صفيحة مدورة من الصفر يضرب بها على أخرى مثلها للطرب ، وهو أيضاً ما يجعل في إطار الدف من الهنات المدورة ، وأما الصنج ذو الأوتار الذي يلعب به فمختص بالعجم معرب ، واللاعب به يقال له صناج وصناجة ، وكان اعشى بكر يسمى صناجة العرب لجودة شعره .

أول من غنى الرمل

اخبرني عمي قال حدثني ابو ايوب المديني عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

قال أبي : أوّل من غنّى الرَّمَلَ ابن محرز وما غُنّيَ قبله ، فقلت له : ولا بالفارسية ؟ قال : ولا بالفارسية ، وأوّل من غنّى رملا بالفارسية سَلْمَك في أيام الرشيد استحسن لحناً من ألحان ابن محرز فنقل لحنه إلى الفارسية وغنّى فيه .

بعده عن الناس أخمل ذكره

قال أبو أيوب وقال إسحاق : كان ابن محرز قليل المُلابسة للناس فأخمل ذلك ذِكْرَه فما يُذكر منه إلا غناؤه ، وأخذتْ أكثر غنائه جاريةٌ كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه ، فأخذه الناس عنها ، ومات بداءٍ كان به ، وسقط إلى فارس فأخذ غناءَ الفُرس ، والى الشأم فأخذ غناء الروم ، فتخيّر من نغمهم ما تغنّى به غناءه ، وكان يَقدَم بما يصيبه فيدفعه إلى صديقه ذاك فيُنفقُه كيف شاء ، لا يسأله عن شيءٍ منه حتى إذا كاد أن ينفد جهّزه وأصلح من أمره ، وقال له : إذا شئتَ فارحل ، فيرحل ثم يعود ، فلم يزل كذلك حتى مات .

قدوة المغنين

قال : وهو أوّل من غنّى بزوجٍ من الشعر وعمل ذلك بعده المغنّون اقتداء به ، وكان يقول : الأفراد لا تَتِمُّ بها الألحان . وذكر أنه أوّل ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مِسجَح . قال إسحاق : وكانت العلة التي مات بها الجُذامَ ، فلم يُعاشر الخلفاء ولا خالط الناس لأجل ذلك.

قال أبو أيوب قال إسحاق : قدِمَ ابن محرز يريد العراق ، فلما نزل القادِسيّةَ (١) لقيه حُنَينٌ فقال : كم مَنَّتك نفسُك من العراق ؟ قال : ألف دينار ، قال : فهذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف واحلف ألاّ تعود.

(١) القادسية : بلدة قرب الكوفة .

احسن الناس غناء :

وقال اسحاق : وقلت ليونس : من أحسن الناس غناء؟ قال : ابن محرز ، قلت : وكيف قلت ذاك ! قال : إن شئتَ فسّرْت وإن شئتَ أجملتُ ، قلت : أجمِلْ ، قال : كأنه خُلِقَ من كل قلب فهو يغني لكل إنسان بما يشتهي . وهذه الحكاية بعينها قد حُكيت في ابن سريج ، ولا أدري أيها الحق .

قال إسحاق وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنه سأل بعض من يُبْصر الغناءَ : مَنْ أحسنُ الناسِ غناءً ؟ فقال : أمِنَ الرجال أم من النساء؟ فقلت : من الرجال ، فقال : أبنُ محرز ، فقلت : فمن النساء ؟ فقال أبنُ سريج . قال : وكان إسحاق يقول : الفحولُ أبنُ سُريج ثم أبنُ مُحْرِز ثم مَعْبَد ثم الغريض ثم مالك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد : قرأت على ابي حدثنا بعض أهل المدينة وأخبرني بهذا الخبر الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني اخي هارون عن عبد الملك بن المجشون قال :

كان أبن محرز أحسن الناس غناءً ، فمر بهند بنت كنانة بن عبد الرحمن بن نَضْلَةَ بن صَفْوانَ بنِ أمية بن مُحرّث الكناني حليف قريش فسألته أن يجلس لها ولصوَاحِبَ لها ، ففعل وقال : أغنّيكن صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أغنيه عائشةَ بنت طلحة ابن عبيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذ أمير مكة ؟ قلن : نعم ، ففناهن :

صوت

فَوَدِدْتُ إذ شَحَطوا وَشَطَّتْ دارُهمْ
وَعَدَتْهُمُ عَنّا عَوادٍ تَشْغَلُ

أنا نُطاعُ وأن تُنقَلَ أرضُنا   أو أن أرضَهمُ إلينا تُنقَلُ
لِتُرَدَّ مِنْ كُتُبٍ إليكِ رسائِلي   بجَوابِها ويعودَ ذاكَ المُرْسَلُ

عروضه من الكامل . الغناء في هذه الابيات خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر ، ذكر عمرو بن بانة انه لابن محرز ، وذكر اسحاق انه لابن مريج .

ابن محرز والمغني حنين :

وقال أبو أيوب المديني في خبره : بلغني ان ابن محرز لما شخص يريد العراق لقيه حُنين فقال له : غنني صوتاً من غنائك ، فغناه :

صوت

وحُسْنُ الزَّبَرْجَدِ في نَظمِهِ   على واضِحِ اللِّيْتِ[1] زانَ العُقودا
يُفَصِّلُ ياقوتُهُ دُرَّهُ   وكالجَمْرِ أبصرتَ فيه الفَريدا[2]

عروضه من المتقارب . الشعر لعمر بن ابي ربيعة ، والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر ، قال : فقال له حنين حينئذ : كم أمَّلتَ من العراق ؟ قال : ألف دينار ، فقال له : هذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف ، ولما شاع ما فعل لامَهُ أصحابه عليه ، فقال : والله لو دخل العراق لما كان لي معه فيه خبز آكله ولاطُّرِحْتُ وسقطت الى آخر الدهر ، وهذا الصوت أعني :

وحسنُ الزبرجدِ في نظمه

من صدور أغاني ابن محرز وأوائلها وما لا يتعلق بمذهبه فيه ولا يتشبَّه به أحد .

---

(١) الليت : صفحة العنق .
(٢) الفريد : الدر إذا نُظم وفُصل بغيره .

ومما يغنى فيه من قصيدة نصيب التي أولها :

أهاجَ هواكَ المنزلُ المتقادمُ

صوت

لقد راعني لِلبَيْنِ نَوْحُ حمامةٍ على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حمائمُ
هواتفُ أمّا مَنْ بَكَيْنَ فعهدُهُ قديمٌ وأما شَجْوُهنّ فدائمُ

الغناء لابن سريج من رواية يونس وعمرو وابن المكي ، وهو ثاني ثقيل بالبنصر ، وهو من جيد الالحان وحسن الاغاني ، وهو مما عارض ابن سريج فيه ابن محرز وانتصف منه .

ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه

وحكى أنها من الثلاثة المختارة

صوت

إلى جَيْداءَ قد بَعثوا رسولاً ليَحزُنَها فلا صُحِبَ الرَّسولُ
كأن العامَ ليس بعامِ حجٍّ تغيّرتِ المواسمُ والشُّكولُ (١)

الشعر للعرجي ، والغناء لإبراهيم الموصلي ، ولحنه المختار ماخوري بالوسطى وهو من خفيف الثقيل الثاني على مذهب اسحاق ، وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر ، وذكر عمرو بن بانة ان الماخوري لابن سريج .

(١) الشكول : جمع شكل .

أخْبَارالعَـرْجيّ وَنسَبُه

نسبه :

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس وقد شُرحَ هذا النسب في نسب أبي قَطيفةَ . وأم عفّانَ وجميع بني أبي العاصي آمنــة بنت عبد العُزّى بن حُرْثانَ بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب . وأم عثمان أروى بنتُ كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وامها البيضاء ام حكيم بنت عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف وهي اخت عبد الله بن عبد المطلب – أبي رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – لأمه ولدا في بطن واحد . وأم عمرو ابن عثمان أم أبان بنتُ جُنْدَب الدَّوْسيّة .

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي ابن صالح عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز عمر بن عبد العزيز قال حدثني محرز بن جعفر عن ابيه عن جده قال :

قدم جُنْدَبُ بن عمرو بن حُمَمَةَ الدَّوْسِي المدينة مهاجراً في خلافة عمرَ بنِ الخطاب ، ثم مضى إلى الشام وخلّف ابنته أم أبان عنـد عمر ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن وجدت لها كفؤاً فزوجه بهـــا ولو بشِراك[(١)] نعله وإلا فأمسكها حتى تُلحِقَها بدار قومها بالسَّراة[(٢)] ، فكانت عند عمر واستشهِدَ أبوها فكانت تدعو عمر أباها ويدعوها ابنته قال : فإنّ عمر على المنبر يوماً يكلم الناس في بعض الامر إذ خطر على قلبه ذكرها ، فقال : من له في الجميلة الحسيبة بنت جندب بن عمرو بن حممة ، ولْيعْــلمِ امرؤٌ من هو ! فقام عثمان فقال : أنا يا امير المؤمنين ، فقال : أنت لعَمْرُ اللهِ ! كم سقتَ إليها ؟ قال : كذا وكذا ، قال :

---

(١) شراك النعل : سيرها الذي على ظهر القدم ، وهو مثل في القلة .
(٢) السراة : اعلى كل شيء .

قد زوجتكها فعجّله فإنها مُعدّة ، قال : ونزل عن المنبر ، فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها فأخذه عمر في رُدْنِه فدخل به عليها ، فقال : يا بنية ، مدي حجرك ، ففتحت حجرها فألقى فيه المال ، ثم قال : يا بنية ، قولي اللهم بارك لي فيه ، فقالت : اللهم بارك لي فيه ، وما هذا يا أبتاه ؟ قال : مَهْرُكِ ، فنفحت به [١] وقالت : واسَوْأتاه . فقال احتبسي منه لنفسك وسَمّي منه لأهلك ، وقال لحفصة : يا أبنتاه ، أصلحي من شأنها وغَيّري بَدَنَها [٢] وأصبُغي ثوبها ففعلت ، ثم أرسل بها مع نسوةٍ إلى عثمانَ ، فقال عمر لمّا فارقته : إنها أمانةٌ في عُنُقي أخشى أن تضيع بيني وبين عثمان ، فلحقهن فضرب على عثمان بابه ثم قال : خذ أهلك بارك الله لك فيهم . فدخلت على عثمان فأقام عندها مُقاماً طويلاً لا يخرج إلى حاجة ، فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له : يا أبا عبدالله ، لقد أقمت عند هذه الدَّوْسيّةِ مقاماً ما كنت تقيمه عند النساء ، فقال : أما إنه ما بقيتْ خَصْلَةٌ كنت أحب أن تكون في امرأة إلا صادفتُها فيها ما خلا خصلة واحدة ، قال : وما هي ؟ قال : إني رجل قد دخلت في السن وحاجتي في النساء الولدُ وأحْسَبُها حديثة لا ولد فيها اليوم ، قال : فتبسّمتْ ، فلما خرج سعيد من عنده قال لها عثمان : ما أضحكك ؟ قالت : قد سمعتُ قولك في الولد ، وإني لمن نسوة ما دخلت امرأة منهن على سيد قط فرأت حمراء [٣] حتى تلد سَيِّدَ مَنْ هو منه . قال : فما رأت حمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان . وأم عمر بن عمرو بن عثمان أم ولد . وأم العرجي آمنة بنت عمر بن عثمان ؛ وقال إسحاق : بنت سعيد بن عثمان وهي لأمّ ولد .

لماذا لقب بالعرجي؟

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي :

(١) نفحت به : رمت به وردته .
(٢) البدن : شبه درع إلا انه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط ، قصير الكمين .
(٣) حمراء : تكني بهذا القول عن الحيض .



العرجي

أنه إنما لُقِّب العرجي لأنه كان يسكن عَرْجَ [١] الطائف، وقيل: بل سُمِّي بذلك لماء كان له ومال عليه بالعَرْج.

تشبهه بابن أبي ربيعة

وكان من شعراء قريش ومَنْ شُهِرَ بالغزل منها، ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد، وكان مشغوفاً باللهو والصيد حريصاً عليهما قليل المحاشاة [٢] لأحد فيهما، ولم يكن له نباهة في أهله، وكان أشقر أزرق جميل الوجه. وجيداء التي شبب بها هي أم محمد بن هشام ابن إسماعيل المخزومي، وكان يَنْسُبُ بها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما، فكان ذلك سبب حبس محمد إياه وضربه له حتى مات في السجن.

واخبرني محمد بن مزيد إجازة عن حماد بن إسحاق فذكر ان حماداً حدثه عن إسحاق عن أبيه عن بعض شيوخه:

أن العرجي كان أزرق كَوْسجاً [٣] ناتىء الحنجرة، وكان صاحب غَزَلٍ وفُتُوَّةٍ، وكان يسكن بمال له في الطائف يسمى العرج، فقيل له العرجي ونسب الى ماله، وكان من الفرسان المعدودين مع مَسْلمةَ ابن عبد الملك بأرض الروم، وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة.

قال إسحاق: قد ذكر عُتْبةُ بن إبراهيم اللهبي: أن العرجي فيما بلغه باع أموالاً عظاماً كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد ذلك كله، وكان قد اتخذ غلامين، فإذا كان الليل نصب قِدْرَه وقام الغلامان يُوقِدانِ، فإذا نام واحد قام الآخر فلا يزالان كذلك حتى يصبحا، يقول: لعل طارقاً يطرق.

اخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا احمد بن ابي خيثمة قال حدثني مصعب واخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمه مصعب وعن محمد بن الضحاك بن عثمان عن ابيه قال: دخل حديثُ بعضِهم في بعض.

(١) عرج الطائف: قرية جامعة في واد من نواحي الطائف.
(٢) اي قليل المبالاة والاكتراث بأحد فيهما.
(٣) الكوسج: الخفيف شعر اللحية او الخفيف شعر العارضين.

خليفة عمر

واخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه عن مصعب قال :

كانت حبشية من مولَّدات مكة ظريفة صارت الى المدينة ، فلما أتاها موتُ عمر بن أبي ربيعة اشتدّ جزَعُها وجعلت تبكي وتقول : مَنْ لمكة وشعابها وأباطحها ونُزَهِها ووصف نسائها وحسنهنّ وجمالهن ووصف ما فيها ! فقيل لها : خفّضي عليك ، فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه ، فقالت : أنشدوني من شعره ، فأنشدوها فمسحت عينها وضحكت ، وقالت : الحمد لله الذي لم يضيع حرَمَه

خبره مع كلابة مولاة العبلي

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب واخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن اسحاق عن ابيه عن عورك اللهبي :

أن مولاة لثقيف يقال لها كلاَبة كانت عندَ عبد الله بن القاسم الاموي العَبْليّ ، وكان يَبْلُغها تشبيبُ العرجي بالنساء وذكره لهن في شعره ، وكانت كلابة تكثر أن تقول : لَشدّ ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهن في شعره ولَعَمْرِي ما لقي أحداً فيه خيرٌ ، ولئن لقيته لأسوِّدنّ وجهه فبلغه ذلك عنها . قال إسحاق في خبره : وكان العَبْليّ نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يُقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران او تَبالةَ إلى مكة ، والعرج أعلاها قليلاً مما يلي الطائف ، فبلغ العرجي أنه خرج الى مكة ، فأتى قصره فأطاف به فخرجت اليه كلابة وكان خلّفها في أهله ، فصاحت به : اليك ، ويلك ؟ وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر ، فأستسقاها ماء فأبت أن تسقيه ، وقالت : لا يوجد والله أثرك عندي أبداً فيلْصَقَ بي منك شرٌ ، فانصرف وقال : ستعلمين وقال :

صوت

حُورٌ بَعَثْنَ رسولاً في مُلاطَفَةٍ
ثَقْفاً(١) إذا غَفَلَ النَّسّاءةُ(٢) الوَهِمُ(٣)
إليَّ أن إيتِنا هَدْءاً(٤) إذا غَفَلَتْ
أحراسُنا وأفتضحْنا إن هُمُ عَلِمُوا
فجئتُ أمشِي على هَوْلٍ أُجَشِّمُهُ تَجَشُّمُ المرءِ هولاً في الهوى كَرَمُ
إذا تخوَّفتُ من شيءٍ أقولُ له قدجفَّ فامْضِ بشيءٍ قَدَّرَ القلمُ
أمشِي كما حَرَّكَتْ رِيحٌ يمانِيَةٌ
غُصناً من البانِ رَطْباً طَلَّهُ الدِّيَمُ
في حُلَّةٍ من طرازِ السُّوسِ(٦) مُشْرَبَةٍ(٧)
تَعفُو بهُدّابِها ما أثَّرتْ قَدَمُ
خَلَّتْ سَبيلي كما خَلَّيْتُ ذا عُذُرٍ(٨)
إذا رأته عِتاقُ الخيلِ ينتحِمُ(٩)
وهنَّ في مجلسٍ خالٍ وليس له عينٌ عليهنَّ أخشاها ولا نَدَمُ

---

(١) يقال رجل ثقف وثقف وثقُف إذا كان حاذقاً فهماً .

(٢) النساءة : صيغة مبالغة في الناسي ، والتاء فيه للمبالغة .

(٣) الوهم : الكثير الوهم وهو السهو والغلط .

(٤) الهدء: الثلث الأول من الليل، وذلك ابتداء سكونه وانقطاع الناس عن المشي والاختلاف في الطرق .

(٥) طله هنا : امطره . والديم : جمع ديمة وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق .

(٦) السوس : بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام .

(٧) الاشراب : ان تخلط لوناً بلون آخر ، كأن أحد اللونين سُقي الآخر ، يقال : اشرب الأبيض حمرة اذا علاه ذلك .

(٨) العذر : جمع عذار وهو من الفرس كالعارض بالنسبة للانسان ، ثم سمي السير الذي يكون عليه من اللجام عذاراً باسم موضعه ، وقيل : عذار اللجام السيران اللذان يجتمعان عند القفا .

(٩) النحيم : صوت يخرج من صدر الفرس كالزحير او هو فوقه .

حتى جلستُ إزاءَ البابِ مكتتِماً وطالبُ الحاجِ تحتَ الليلِ مُكتتِمُ
أبدَيْنَ لي أعيُناً نُجْلاً كما نظرتْ أُدْمٌ هِجانٌ أتاها مُصعَبٌ(١) قَطِمُ
قالت كُلابةُ مَن هذا فقلتُ لها أنا الذي أنتِ من أعدائه زعَموا
أنا امرؤٌ جدَّ بي حبٌّ فأحرَضَني حتى بَليتُ وحتى شفَّني السقَمُ
لا تَكِليني إلى قومٍ لوَ انَّهمُ من بُغْضِنا أُطعِموا الحُمّى إذاً طَعِموا
وأنعِمي نعمةً تُجْزَيْ بأحسنِها فطالما مسَّني من أهلكِ النِّعَمُ
سَتْرُ المحبِّينَ في الدنيا لعلَّهمُ أن يُحدِثوا توبةً فيها إذا أثِموا
هذي يميني رهْنٌ بالوفاء لكم فارضَيْ بها ولأنفِ الكاشحِ الرَّغَمُ(٢)
قالت رضيتُ ولكن جئتَ في قمرٍ هَلّا تلبَّثتَ حتى تدخلَ الظُّلَمُ
فبتُّ أُسقى بأكواسٍ أُعَلُّ بها من باردٍ طابَ منها الطعمُ والنَّسَمُ(٣)
حتى بَدا ساطعٌ للفجرِ نحسَبُه سَنا حريقٍ بليلٍ حينَ يضطرِمُ
كغُرَّةِ الفرسِ المنسوبِ(٤) قد حُسِرتْ(٥) عنه الجِلالُ(٦) تلالا وهو يلتجِمُ
ودَّعتُهنّ ولا شيءٌ يُراجعني إلا البَنانُ وإلا الأعينُ السُّجُمُ(٧)
إذا أرَدْنَ كلامي عندَه اعترضتْ من دونِه عَبَراتٌ فانثنى الكَلِمُ
تكادُ إذ رُمْنَ نَهْضاً للقيامِ معي أعجازُهنَّ من الأنصافِ تنقصِمُ

قال : فسمع ابن القاسم العبلي بالشعر يُغنَّى به ، وكان العرجي قد أعطاه جماعة من المغنين وسألهم ان يغنوا فيه ، فصنعوا في أبيات منه عدة ألحان ، وقال : والله لا أجد لهذه الأمةِ شيئاً أبلغ من إيقاعها

(١) المصعب : الفحل الذي يودع من الركوب والعمل للفحلة . والقطم : المشتهي للضراب .
(٢) الرغم مثلثة الراء مع سكون الغين : الذل والقسر ، وأصله ان يلتصق انفه بالرغام وهو التراب ، وقد حرّك في الشعر للضرورة .
(٣) النسم والنسيم : الريح الطيبة .
(٤) المنسوب : الأصيل الكريم .
(٥) يقال : حسر الشيء عن الشيء يحسُره ويحسِره فانحسر : كشفه .
(٦) الجلال : جمع جل وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .
(٧) السجم : جمع سجوم ، يقال : عين سجوم اي تسيل الدمع .

تحت التُّهَمة عند ابن القاسم ليقطع ما كانتها من ماله ، قال : فلما سمع العبلي بالشعر يُغنَّى به أخرج كلابة واتهمها ، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعير بين غِرارَتَيْ [١] بعر ، فأحلفها بمكة بين الركن والمقام أن العرجي كذب فيما قاله ، فحلفت سبعين يميناً ، فرضي عنها وردّها ، فكان بعد ذلك اذا سمع قول العرجي :

فطالما مَسَّني من أهلك النِّعَمُ

قال : كذب والله ما مسه ذلك قط . وقال إسحاق : وقد قيل : إن صاحب هذه القصيدة والقصة أبو حراب العَبَلِيّ ، وان كلابَةَ كانت أمةً لسُعْدَةَ بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وكان العرجي قد خطبها وسميت به ، ثم خطبها يزيد بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزُوِّجَتْه ، فقال العرجي هذا الشعر فيها . غنى في قوله :

أمشِي كما حرَّكتْ رِيحٌ يمانيةٌ

علي بن هشام هَزَجاً مطلقاً بالبِنصَر ، وفيه للمسدود [٢] هَزَجٌ آخرُ طُنْبُورِيٌّ ، ذكر ذلك جَحْظَةُ . وفي :

لا تَنكِحِيني الى قومٍ لَوَانَّهمُ

رَمَلٌ لابن سريج عن ابن المكي ولاسحاق بالسبابة في مجرى الوسطى . وفي « قالت كلابة » والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسان لحن من خفيف الرمل . ولنبيه [٣] في « أنا امرؤ جدبي » وما بعده ، هزجٌ بالوسطى . لدحمان في « حور بعثن » وما بعده ، هزج بالوسطى . وروى عنه

(١) غرارة : كيس او عدل من صوف أو شعر .
(٢) احد المغنين .
(٣) كان نبيه في اول امره شاعراً لا يغني ، ثم هوى قينة ببغداد فتعلم الغناء من اجلها ولم يزل يتزيد حتى جاد غناؤه وعد في المحسنين .

المشامي فيه ثقيل أول . ولأبي عيسى بن المتوكل في « وأنعمي نعمة » وبيتين بعده ، ثقيل اول .

وأخبرني بخبر العرجي وكلابة هذه الحرمي بن ابي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب ، واخبرني به وكيع عن ابي ايوب المديني عن مصعب ، وذكر نحواً بما ذكره إسحاق ؛ وزعما أن كلابة كانت قينة لأبي حراب العبلي وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس .

كسير وعوير وكل غير خير

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال اخبرني مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال :

كنتُ عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب فذكر قول العرجي :

أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلَكَ أينا   أين تصديقُ ما عهدْتِ إلينا
فلقد خفتُ منكِ أن تصرمي الحبل   وأن تجمعي مع الصرْمِ بَيْنا
ما تقولين في فتىً هامَ إذ ها   م بمن لا ينالُ جهلاً وحَيْنا
فاجعَلي بيننا وبينكِ عدْلاً   لا تحيفي ولا يحيفُ علينا
واعلمي أنّ في القضاء شهوداً   أو يميناً فاحضِري شاهِدَيْنا
خلّتي لو قدرتُ منكِ على ما   قلتِ لي في الخلاء حينَ التقينا
ما تحرّجتُ من دمي علِمَ اللهُ   ولو كنتُ قد شهدتُ حُنَيْنا

قال فقال أيوب لأشعب : ما تظنُّ أنها وعدته ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظناً انها وعدته أن تأتيه في شِعْب من شعاب العرْج يوم الجمعة إذا نزل الرجال الى الطائف للصلاة ، فعرض لها عارضُ شغل فقطعها عن موعده ، قال : فمن كان الشاهدان :

قال : كُسَيْرٌ وعُوَيْرٌ وكلٌّ غيرُ خيرٍ (١) : فِنْدٌ (٢) أبو زيد مولى عائشة بنت سعد ، وزور الفرق مولى الانصار ، قال : فمن العدل الحكم ؟ قال : حصين بن غُرَيْر الحميري ، قال : فما حكم به ؟ قال : أدّتْ اليه حقّه وسقطت المؤونة عنه ، قال : يا أشعب ، لقد أحكمت صناعتك ! قال : سلْ علاّمةً عن علمه .

شعره في عاتكة

اخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن اسحاق عن أبيه عن عورك اللهبي قال :

قال العرجي في امرأة من بني حبيب : بطن من بني نصر بن معاوية يقال لها عاتكة ، وكانت زوجة طريح بن اسماعيل الثقفي :

يا دارَ عاتكةَ التي بالأزْهَرِ أو فوقَهُ بقَفا الكثيبِ الأحمرِ
لم ألقَ أهلَكِ بعدَ عامَ لقِيتُهمْ يا ليتَ أنّ لِقاءَهم لم يُقدَرِ

صوت

بفِناءِ بيتِكَ وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ في سامرٍ (٣) عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
مُستشعِرينَ (٤) مَلاحِفاً (٥) هرَوِيّةً
بالزّعفَرانِ صِباغُهـا والعُصْفُرِ
فتَلازَما عندَ الفِراقِ صَبابةً
أخْذَ الغَريمِ بفَضْلِ ثَوبِ المُعسِرِ

(١) يقول الميداني في مجمع الامثال : أن اول من قال هذا المثل أمامة بنت نشبة بن مرة ، تزوجها رجل من غطفان أعور فكثت عنده ثم نشزت عليه فطلقها ، فزوجت من حارثة بن مرة من بني سليم وكان اعرج مكسور الفخذ ، فلما دخل بها ورأته كذلك قالت هذا المثل .

(٢) هو فند مولى عائشة بنت سعد بن ابي وقاس ، وكان احد المغنين المجيدين ، وكان يجمع بين الرجال والنساء .

(٣) السامر : مجلس السمار .

(٤) مستشعرين : لابسين ، يقال : أستشعر الثوب اي لبسه ، واصله من الشعار وهو يلبس تحت الدثار .

(٥) الملاحف : جمع ملحف ومثله الملحفة واللحاف : وهو كل ما التحف به .

الأزهر : على ثلاثة أميال من الطائف . وابن مِشْعَبٍ الذي عناه مغنٍّ من أهل مكة كان في زمن ابن سريج ، والغناء في هذه الأبيات له رَمَلٌ بالوسطى ، قال إسحاق : كان ابن مشعب من احسن الناس وجهاً وغناء ، ومات في تلك الايام فأدخل الناس غناءه في غناء ابن سريج والغريض ، قال : وهذا الصوت ينسبه من لا يعلم الى ابن محرز ، يعني :

بفِناءِ بيتك وابن مشعب حاضرٌ

قال : وهو الذي غنى :

أَقْفَرَ مِمّن يَحُلُّهُ السَّنَدُ فالمُنْحَنَى فالعَقِيقُ فالجُمُدُ
وَيُحِي غداً إن غدا عليَّ بما أَحْذَرُ من فُرقة الحَبيب غَدُ

والناس ينسبونه الى ابن سريج .

يوم غاب فيه العذال

أخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن ثابت بن ابراهيم الانصاري قال حدثني ابن مُخارق قال :

واعَدَ العرجيُّ هوى (١) له شِعْباً من شِعاب عرج الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة الى مسجد الطائف ، فجاءت على أتانٍ لها معها جاريةٌ لها وجاء العرجي على حمار معه غلام له ، فواقع المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونزا الحمار على الاتان ، فقال العرجي : هذا يوم قد غاب عذاله .

ثراء العرجي

اخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا النضر بن عمرو عن ابن داحة قال :

كان العرجي يَستقي على إبله في شَمْلَتَين (٢) ، ثم يغتسل ويلبَسُ

---

(١) هوى بمعنى مهوي اي محبوبة ،

(٢) الشملة : كساء يخل دون القطيفة يشتمل به وقيل الشملة عند العرب : مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به فاذ لفق لفقين فهي مشملة يشتمل بها الرجال إذا نام بالليل ،

حلّتين بخمسمائة دينار ثم يقول :

يوماً لأصحابي ويوماً للمالْ   مِدرعةٌ[1] يوماً ويوماً سرْبالْ[2]

اخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن اسحاق عن ابيه عن بعض رجاله .

ان العرجي كان غازياً فأصابت الناس مجاعة فقال للتجار : أعطوا الناس وعليّ ما تعطون ، فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا ، فبلغ ذلك عشرين الف دينار فألزمها العرجي نفسه ، وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال : بيت المال احق بهذا ، فقضى التُّجّار ذلك المال من بيت المال .

الأوقص يضرب العرجي سبعين سوطاً

اخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه واخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابيه عن الزبيري وغيره :

أن العرجي خرج الى جنبات الطائف متنزهاً فمر ببطن النقيع فنظر الى ام الأوقص وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي وكان يتعرض لها ، فإذا رآها رمت بنفسها وتسترت منه وهي امرأة من بني تميم ، فبَصُر بها نسوة جالسة وهنّ يتحدثن فعرفها وأحب ان يتأملها من قُرب ، فعدل عنها ولقي اعرابياً من بني نصر على بكر له ومعه وَطْبا[3] لبنٍ ، فدفع اليه دابّته وثيابه واخذ قَعُودَه ولبنه ولبس ثيابه ، ثم أقبل على النسوة فصحن به : يا أعرابي ، أمعك لبن ؟ قال : نعم ، ومال اليهن وجلس يتأمل أم الأوقص ، وتواثب من معها الى الوَطْبين وجعل العرجي يلحظها وينظر احياناً الى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهن يشربن من اللبن ، فقالت له امرأة منهنّ : أي شيء تطلب يا أعرابي في الارض ؟ أضاعَ

(١) المدرع : ضرب من الثياب التي تلبس وقيل جبة مشقوقة المقدم. والمدرعة : ثوب آخر ولا تكون إلا من الصوف خاصة .

(٢) السربال . القميص او الدروع ، وقيل . كل ما لبس فهو سربال .

(٣) الوطب : سقاء اللبن .

منك شيء ؟ قال : نعم قلبي ، فلما سمعت التميمية كلامه نظرت وكان أزرق فعرفته ، فقالت : العرجي بن عمر ورب الكعبة ! ووثبت وسترها نساؤها وقلن : أنصرف عنا لا حاجة بنا الى لبنك ، فمضى منصرفاً وقال في ذلك :

أقول لصاحبيّ ومثلُ ما بي ... شكاهُ المرءُ ذو الوَجْدِ الأليمِ
إلى الأخوينِ مثليهما إذا ما ... تأوّبه مؤرِّقةُ الهمومِ
لحَيْني والبلاءِ لقيتُ ظُهراً ... بأعلى النَّقْعِ[1] أختَ بني تميمِ
فلمّا أن رأتْ عيناي منها ... أسيلَ الخدِّ في خَلْقٍ عميمِ[2]
وعينَيْ جؤذرٍ خَرِقٍ[3] وثغراً ... كلونِ الأُقحوانِ وجيدَ رِيمِ
حَنا أترابُها دُوني عليها ... حُنوَّ العائداتِ على السَّقيمِ

قال إسحاق في خبره : فقال رجل من بني جُمَح يقال له ابن عامر الأوقص وقضى عليه بقضية فتظلم منه : والله لو كنت أنا عبد الله بن عمر العرجي لكنت قد أسرفت علي ، فضربه الأوقص سبعين سوطاً .

فضحت شيخاً من قريش :

اخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبدالله من ابيه قال :

أتاني أبو السائب المخزومي ليلة بعد ما رقد السامر فأشرفت عليه ، فقال : سهرت وذكرت أخاً لي أستمتع به فلم أجد سواك ، فلو مضينا الى العقيق فتناشدنا وتحدثنا ! فمضينا فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي :

باتا بأنعم ليلةٍ حتى بدا ... صُبحٌ تلوّح كالأغرّ الأشقرِ
فتلازما عندَ الفِراق صبابةً ... أخذَ الغريمِ بفضل ثوب المُعسِرِ

(١) النقع : موضع قرب مكة في جنبات الطائف .
(٢) عميم : تام .
(٣) يقال : خرق الظبي فهو خرق إذا دهش من فزع .

فقال : أعِدْه عليّ ، فأعدته ، فقال : أحسن والله ! امرأته طالق إن نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته ، قال : فلقينا عبد الله بن حسن بن حسن ، فلما صرنا اليه وقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة فسلم ، ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له :

فتلازما عند الفراق صبابةً أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إليّ فقال : متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة ، فقال : إنا لله وأي كهل أصيبت منه قريش ! ثم مضينا ، فلقينا محمد ابن عمران التَّيْميّ قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلة له ومعه غلام على عنقه مِخلاةٌ فيها قيد البغلة ، فسلم ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عندَ الفِراق صبابةً أخذَ الغريم بفَضل ثوبِ المُعسر

فالتفت إليّ فقال : متى أنكرت صاحبك ؟ قلت : آنفاً ، فلما أراد المضي قلت : أفتدعه هكذا ؟ والله ما آمن أن يتهوّر في بعض آبار العقيق ! قال : صدقت ؛ يا غلام ، قيدَ البغلة ، فأخذ القيدَ فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده اليه يُري أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : يا غلام ، احمله على بغلتي وألحِقْه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته بخبره ، فقال : قَبحَكَ الله ماجناً ! فضحت شيخاً من قريش وغررتني .

ابن أبي عتيق وشعر العرجي :

اخبرني الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبدالله بن عروة بن الزبير عن عروة بن اذينة قال :

أنشد ابن جُندَب الهُذَليّ ابن أبي عتيق قول العرجي :

وما أنسَ مِلأشياءِ لا أنسَ قولَها لخادمها قُومِي اسألِي لِي عن الوِتْرِ

فقالت يقول الناس في ست عشرة فلا تعجلي منه فإنك في أجر
فما ليلة عندي وإن قيل جمعة ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الاثنين عندي وبالحرى يكون سواء منهما ليلة القدر

فقال ابن ابي عتيق : أشهدكم أنها حرة من مالي إن أجاز ذلك أهلها ، هذه والله أفقه من ابن شهاب .

شعره في زوجته :

اخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال :

تزوج العرجي أم عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان بن عفان ، سكينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها :

إن عثمان والزبير أحلا دارها باليفاع(١) إذ ولداها
إنها بنت كل أبيض قرم(٢) نال في المجد من قصي ذراها
سكن الناس بالظواهر منها وتبوا لنفسه بطحاها

قال إسحاق : ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أعجب بها ، فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات

العرجي والعبلي :

اخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابيه قال :

حدثت أن أبا عدي العبلي خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جلدان ، فمر بعبدالله بن عمر العرجي وهو نازل هناك بواد يقال له العرج ، فأرسل اليه غلاماً له فأعلمه بمكانه فأتاه الغلام فقال له : هذا أبو عدي ، فأمر أن ينزله في مسجد الخيف ، فأنزله وأبطأ عليه في الخروج ، فقال للغلام : ويحك ! ما يحبس مولاك ؟ قال : عنده ابن وردان

---

(١) اليفاع : المشرف من الارض والجبل .
(٢) القرم من الرجال : السيد المعظم .

مولى معاوية ، وهما يأكلان القسب (١) والجلجلان (٢) ، ثم بعث اليه بخبز ولبن ، وبعث لرواحله بحمض (٣) ، وقدم إلى رواحل ابن وردان القت (٤) والشعير ، فكتب اليه أبو عدي :

أبا عمرٍ لم تنزل الركبَ إذ أتوا
منازلهم والركبُ يحفَون (٥) بالركبِ
رفعتَ لئامَ الناسِ فوق كرامهم وآثرتهم بالجلجلان وبالقسبِ
فأمّا بعيرانا فبالحمض غذّيا وأوثر عبّادُ بن وردانَ بالقضبِ

فكتب اليه العرجي :

أتانا فلم نشعرْ به غيرَ أنه له لحيةٌ طالتْ على حمق القلبِ
كرايةِ بيطارٍ بأعلى حديدةٍ
إذا نصبت لم تكسبِ الحمدَ بالنصبِ
أتانا على سغبٍ (٦) يعرّض بالقرى
وهل فوق قرصٍ من قرى صاحبِ السغبِ

قال : فارتحل أبو عديّ مغضبا وقال : مزحتُ معه فهجاني ، وأنشأ يقول في العرجي :

سرتْ ناقتي حتى إذا ملّت السرى وعارضها عرجُ الجبانة والخصبِ
طواها الكرى بعدَ السرى بمعرّس (٧)
جديبٍ وشيخٍ بئسَ مستعرضُ الركبِ

(١) القسب : التمر اليابس يتفتت في الفم صلب النواة .
(٢) الجلجلان : السمسم .
(٣) الحمض : ما ملح وأمرّ من النبات وهو كفاكهة الابل تأكله عند سآمتها من الخلة وهي ما حلا من النبات .
(٤) القت : الفصفصة اذا يبست .
(٥) حفي به يحفى حفاوة وحفاية : بالغ في إكرامه .
(٦) السغب بسكون الغين وتحريكها : الجوع .
(٧) معرس : الموضع يعرس فيه من القوم من العرس .

وهمّت بتعريسٍ فحلت قيودها إلى رجلٍ بالعرج ألأم من كلب

تمطّى (١) قليلاً ثم جاء بضربة (٢)
وقرص شعيرٍ مثل كركرة السقب (٣)

فقلت له أردد قراك مذمماً فلست إليه بالفقير ولا صحبي

جزى الله خيراً خيرنا عند بيته
وأنحرنا للكوم في اليوم ذي السغب

لقد علمت فهر بأنك شرّها وآكل فهرٍ للخبيث من الكسب

وتلبس للجارات إتباً (٤) ومئزراً
ومرطاً (٥) فبئس الشيخ يرفل في الإتب

يدخّن بالعود اليلنجوج (٦) مرّة
وبالضرو (٧) والسوداء (٨) والمائع (٩) الرطب

فإن قلت عثمان بن عفان والدي فقد كان عثمان بريئاً من الوشب (١٠)

وقدماً يجيء الحي بالنسل ميتاً
ويأتي كريم الناس بالوكل (١١) الثلب (١٢)

---

(١) تمطى : تبختر في مشيته وتطاول .

(٢) الضربة بسكون الراء وتحريكها : واحدة الضرب وهو اللبن الذي حبس في السقاء اياماً حتى اشتد حمضه .

(٣) السقب : ولد الناقه . والكركرة بالكسر : زور البعير الذي إذا برك أصاب الارض ، وهي ناتئة عن جسمه كالقرصة .

(٤) الاتب : ثوب يشق في وسطه ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب ولا كمين .

(٥) المرط : كساء من خز او صوف او كتان .

(٦) اليلنجوج والألنجوج : عود طيب الريح يتبخر به .

(٧) في اللسان : الضرو بكسر الضاد وفتحها : شجر طيب الريح يستاك به ويجعل ورقه في العطر .

(٨) السوداء : هي الحبة المعروفة ، واسمها بالفارسية الشونيز .

(٩) المائع الرطب : ضرب من الطيب .

(١٠) الوشب بالكسر : واحد الاوشاب وهم اوباش الناس واخلاطهم .

(١١) الوكل بفتح الكاف وكسرها : العاجز البليد الذي يكل أمره الى غيره .

(١٢) الثلب : الرجل المعيب المتلم الذي ينتقصه الناس .

له لِحْيَةٌ قد مُزِّقَتْ فكأنها
مِقَمَّةُ(١) حَشَّاشٍ مُخالِفَةُ العُشْبِ

فلما بلغ ذلك العرجي أتى عمه علي بن عبد الله بن علي العبلي فشق قميصه بين يديه وشكاه اليه ، فبعث الى أبي عدي فنهاه عنه وقال : لئن عُدْتَ لا كلمتك أبداً ، فكف عنه .

العرجي أفرس الناس

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابيه عن سليمان بن عثمان بن يسار : رجل من اهل مكة وكان هيباً (٢) أديباً قال :

كان للعرجي حائطٌ يقال له العرج في وسط بلاد بني نصر بن معاوية ، فكانت إبلهم وغنمهم تدخل فيه فيَعْقِر كل ما دخل منها ، فكانت تَضُرّ به ويضرّ بأهلها ويشكونه ويشكوهم ، وكان من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسَهْم ، فكان ربما برى مائة سهم من الرُّمّان ، ثم يقول : والله لا أنقلب حتى أقتُلَ بها مائة خَلِفَةٍ (٣) من إبل بني نصر ، فيفعل ذلك .

حبس العرجي وضربه :

قال إسحاق فحدثني : ابن غرير قال : لما حبس العرجي وضُرِب وأقيم على البُلُسِ (٤) قال :

معي ابنُ غُرَيرٍ واقِفاً في عَباءةٍ
لَعَمْري لقدْ قَرَّتْ عُيونُ بني نَصْرِ

فقال فتى من بني نصر يجيبه : — وكان حاضراً لضربه وإقامته —

(١) المقمة : المكنسة . والحشاش : الذي يحتش وهو اليابس من الكلأ .
(٢) الهيب : المهيب .
(٣) الخلفة : الناقة الحامل .
(٤) البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .

أجَلْ قــد أقرَّ اللهُ فيكَ عُيونَنــا
فبئسَ الفتى والجارُ في سالفِ الدَّهْرِ

وقال إسحاق في خبره : قال رجل للعَرْجيّ : جئتك أخطب اليك مودتك ، قال : بل خذها زناً فإنها أحلى وألذ !

الحاجّة الحسناء :

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا إسماعيل بن مجمع عن المدائني عن عبدالله بن سلم قال :

قال عبدالله بن عمر العمري : خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام أرْفَثَتْ [1] فيه ، فأدنيت ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أمة الله ، ألست حاجّة ! أما تخافين الله ! فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً ، ثم قالت : تأمل يا عم فإنني ممن عناه العرجي بقوله :

صوت

أماطَتْ كِساءَ الخزِّ عن حُرِّ وَجْهِها
وأدْنَتْ عـلى الخدَّيْنِ بُرْداً مُهلْهَلا
مِنَ اللاّءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً
ولكنْ لِيقتُلْنَ البَرِيءَ المُغفَّــلا

قال فقلت لها : فإني أسأل الله ألا يُعذّب هذا الوجه بالنار . قال : وبلغ ذلك سعيد بن المسيَّب فقال : أما والله لو كان من بعض بُغضاء [2] العراق لقال لها : اعزبي قبحك الله ! ولكنه ظَرْفُ عُبّاد أهل الحجاز . وقد رُويتْ هذه الحكاية عن أبي حازم الأعرج وهو سلمة بن دينار . وقد روى أبو حازم عن أبي هريرة وسهل بن سعد وغيرهما وروى عنه

(١) رفث في كلامه : أفحش .
(٢) يريد بهم المتزمتين المتغالين في الورع .

مالك وابن أبي أيوب . والحكاية عنه في هذا أصح منهـــا عن عبد الله العمري ، حدثنا بهذا وكيع . والغناء في هـذه الأبيات لعَرارِ المكي ثاني ثقيل ، وفيه خفيفُ ثقيلٍ لمعبد ، وفيها لعبدالله بن العباس الربيعي ثقيل أول ، ويقال إن خفيف الثقيلِ لابن سريج ، ويقال للغريض .

شعرٌ غناء المغنين :

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبدالله بن ابي سعد قال حدثني ابو توبة قال :

قال عبدالله بن العباس : دعاني المتوكل فلما جلست مجلس المنادمـــة قال لي : يا عبدالله ، تغن فغنيته في شعر مدحته به فقال : أين هـذا من غنائك في :

أماطتْ كِساءَ الخزّ عن حُرّ وجهِهــا

ومن صنعتِك في :

أقفَرَ ممّن يحلُّه سَرِفُ (١)

فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إن صنعتي حينئذ كانت وأنا شاب عاشق ، فإن استطعت رد شبابي وعشقي صنعت مثل تلك الصنعة ، فقال : هيهات وقد لعمري صدقت ، ووصلني . والابيات التي فيها الغناء المذكور من شعر العرجي يقوله في جبداء أم محمد بن هشام بن اسماعيـل المخزومي ، وكان يهجوه ويشبّب بأمه وبامرأته ، وكانَ محمد تيّاهاً شديد الكبر جباراً ، فلم يزل يتطلب عليه العلل حتى حبسه وقيده بعد ان ضربـــه بالسوط وأقامــه على البَلَسِ للناس ، واختلف الرواة في السبب الذي أعتل به وعليه ، وقد ذكرت ذلك في رواياتهم .

العرجي يهجو المخزومي :

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر

(١) سرف ككتف : موضع على ستة أميال من مكة وقيل سبعة وتسعة وعشرة واثنى عشر تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث وهناك بنى بها وهناك توفيت .

ابن شبَّة وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال أخبرنا الحرمي بن ابي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك الحزامي عن الضحاك بن عثمان وذكره حماد بن اسحاق عن ابيه عن ايوب بن عباية ونسخته ايضاً من رواية محمد بن حبيب قالوا :

كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك ، فلما وَلِيَ الخلافة ولاّه مكة ، وكتب إليه أن يحج بالناس فهجاه العرجي بأشعار كثيرة.

منها قوله فيه :

كأنّ العامَ ليس بعامِ حَجٍّ تغيّرتِ المواسمُ والشُّكُولُ
إلى جيْداءَ قد بعثوا رسولاً ليُخْبِرَها فلا صُحِبَ الرَّسولُ

ويروى : ليحزنها وهكذا يُغنّى .

ومنها قوله :

ألا قلْ لِمنْ أمسى بمكةَ قاطناً
ومن جاءمن عَمْقٍ (١) ونَقْبِ المُشَلَّلِ (٢)
دَعُوا الحجَّ لا تَستَهلِكُوا نفقاتِكم
فما حجُّ هذا العامِ بالمتقبَّلِ
وكيف يُزَكّى حجُ مَنْ لم يكنْ له
إمامٌ لدى تجْميره غيرُ دُلْدُلِ (٣)
يَظَلُّ يُرائي بالصِّيام نهارَه
ويَلْبَسُ في الظلماء سِمْطَيْ (٤) قَرَنْفُلِ

فلم يَزَلْ محمدٌ يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه .

(١) عمق : واد من أودية الطائف نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصر الطائف ، وفيه بئر ليس بالطائف اطول رشاه منها .

(٢) المشلل : جبل يهبط منه الى قديد من ناحية البحر . والنقب : الطريق في الجبل .

(٣) الدلدل : شبه القنفذ وهي دابة تنتفض فترمي بشوك كالسهام .

(٤) السمط : الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك .

تشبيه بأمه جيداء

قال الزبير في خبره عن عمه ومحمد بن الضحاك ، وقال إسحاق في خبره عن أيوب ابن عباية : كان العرجي يشبب بأم محمد بن هشام ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ويقال لها جَيْدَاء :

صوت

عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ ... إنكِ إن لا تَفْعَلي تَحْرَجِي
إنّي أُتيحتْ لي يَمانيّةٌ ... إحْدَى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبثُ حولاً كاملاً كلَّه ... ما نلتقي إلا على مَنْهَجِ
في الحجّ إن حجّتْ وماذا مِنىً ... وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نال مُحبٌّ لَدَى ... بَيْنِ حَبيبٍ قولُه عَرِّجِ
نَقْضِ إليكم حاجةً أو نقُلْ ... هل لِيَ مما بي من مَخْرَجِ

قال إسحاق في خبره : فحدّثني حمزة بن عُتْبةَ اللِّهْبيّ قال : أُنشِدَ عَطاءُ بنُ أبي رباح قول العرجي :

في الحَجّ إن حَجّتْ وماذا مِنىً ... وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ

فقال : الخيرُ والله كله بمِنى وأهله ! حجت أم لم تحج . قال : ولقي ابنُ سريج عطاء وهو راكب على بغلته فقال له : سألتك بالله إلاّ وقفت لي حتى أسمعك شيئاً . قال : ويحك ! دعني فإني عَجِلٌ ، قال : امرأته طالقٌ لئن لم تقف مختاراً للوقوف لأمسكَنّ بلجام بغلتك ثم لا أفارقها ولو قُطِعَتْ يدي حتى أُغنيك وأرفع صوتي لا أُسِرُّه ، قال : هات وعجل ، فغناه :

في الحجّ إن حَجّتْ وماذا مِنىً ... وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ

فقال : الخيرُ كلُّه واللهِ بمِنىً ! لا سِيمّا وقد غيّبها الله عن مشاعره

خَلّ سبيل البغلة .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الله بن ابي سعد قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثني حمزة بن عتبة اللهبي عن عبد الوهاب بن مجاهد او غيره قال :

كنتُ مع عطاء بن ابي رباح فجاءه رجل فأنشده قول العرجي :

إنّني أُتيحتْ لي يمانيّــةٌ إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبَثُ حولاً كامــلاً كلّه لا نلتقي إلا عـلى مَنْهجِ
في الحجّ إن حجّتْ وماذا مِنىً وأهلهُ إن هي لم تَحْجُجِ

فقال عطاء : خيرٌ كثيرٌ بمنىً إذ غيّبها الله عن مشاعره .

تشبيبه بزوجته جبرة

قال : وقال في زوجته جَبْرَةَ المخزومية ، يعني زوجة محمد بن هشام:

صوت

عُوجِي عليّ فسلّمي جَبْرُ فِيمَ الصدودُ وأنتمُ سَفْرُ
ما نَلْتَقِي إلا ثَلاثَ مِنىً حتى يُفرّقَ بيننـــا النَّفْرُ
الحولُ بعد الحولِ يجمعُنـــا ما الدهرُ إلا الحولُ والشهرُ

قال حماد بن إسحاق في خبره : حدثني ابن ابي الحويرث الثقفي عن ابن عم لعمارة ابن حمزة قال حدثنا سليمان الخشاب عن داود المكي قال :

كنا في حَلْقَةِ ابن جريج وهو يحدثنا وعنده جماعة فيهم عبدالله بن المبارك وعدّةٌ من العراقيين ، إذ مر به ابنُ تيزن المغني وقد ائــتزر بمئزر على صدره وهي إزْرَةُ الشُّطّــار (١) عندنا ، فدعاه ابن جريج فقال له : أحب أن تسمعني ، قال : إني مستعجل ، فألح عليه ، فقال : امرأته طالق إن غناك أكثر من ثلاثة أصوات ، فقال له : ويحك ، ما

(١) الشاطر : من أعيا اهلة خبثاً . والشطار طائفة من أهل الدعارة كانوا يمتازون بملابس خاصة وزي خاص .

أعجلك الى اليمين ! غنني الصوت الذي غناه ابن سريج في اليوم الثاني من أيام مِنىً على جمرة العقبة فغنى فقطع طريق الذاهب والجائي حتى تكسرت المحامل ، فغناه :

عُوجِي عليّ فسلّمي جَبْرُ

فقال له ابن جريج : أحسنت والله ثلاث مرات ، ويحك ! أعِدْه ، قال : من الثلاثة فإني قد حلفت ، قال : أعده ، فأعاده فقال : أحسنت فأعده من الثلاثة ، فأعاده وقام ومضى ، وقال : لولا مكان هؤلاء الثقلاء عندك لأطلت معك حتى تقضي وَطَرَك ، فالتفت ابن جريج الى أصحابه فقال : لعلكم أنكرتم ما فعلت ! فقالوا : إنا لننكره عندنا بالعراق ونكرهه ، قال : فما تقولون في الرجز يعني الحداء ؟ قالوا : لا بأس به عندنا ، قال : فما الفرق بينه وبين الغناء !

حقد ابن هشام عليه وحبسه حتى الموت

قال إسحاق في خبره : بلغني أن محمد بن هشام كان يقول لأمه جيداء : أنت غضضت مني بأنك أمي وأهلكتني وقتلتني ، فتقول له : ويحك ! وكيف ذاك ! قال : لو كانت أمي من قريش ما وَلِيَ الخلافة غيري ، قالوا : فلم يزل محمد بن هشام مُضْطَغِناً على العرجي من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس ثم حبسه وأقسم : لا يخرج من الحبس ما دام لي سلطان ، فمكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه .

سبب الخصومة بينه وبين ابن هشام

وذكر إسحاق في خبره عن أيوب بن عباية ووافقه عمر بن شبة ومحمد ابن حبيب ، أن السبب في ذلك أن العرجي لاحى [1] مولى كان لأبيه

(١) لاحاه : خاصمه وشاتمه .

فأمَضَّه [١] العرجي ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له ، فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأوثقه كِتافاً [٢] ، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ثم قتله وأحرقه بالنار ، فاستَعْدَتِ امرأته على العرجي محمد بن هشام فحبسه .

وذكر الزبير في خبره عن الضحاك بن عثمان ، أن العرجي كان وكّل بحُرَمِه [٣] مولى له يقوم بأمورهن فبلغه أنه يخالف اليهن ، فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن فقتله وأحرقه بالنار ، فاستعدت عليه امرأة المولى محمدَ بن هشام المخزومي وكان والياً على مكة في خلافة هشام ، وكان العرجي قد هجاه قبل ذلك هجاء كثيراً لما ولاه هشام الحج فأحْفَظَه ، فلما وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البُلُسِ للناس وسجنه حتى مات في سجنه .

وذكر الزبير ايضاً في خبره عن عمه وغيره أن أشعب كان حاضراً للعرجي وهو يشتم مولاه هذا ، وأنه طال شتمه إياه ، فلما أكثر رد المولى عليه فاختلط [٤] من ذلك ، فقال لأشعب : اشهد على ما سمعت ، قال أشعب : وعلام أشهد ! قد شتمته ألفاً وشتمك واحدة ، والله لو أن أمك أم الكتاب ، وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا ! .

تعذيبه :

قال الزبير وحدثني حمزة بن عتبة اللهبي قال :

لما أخذ محمد بن هشام المخزومي العرجيَّ أخذه وأخذ معه الحصين بن غرير الحميري ، فجلدهما وصَبَّ على رؤسهما الزيت وأقامهما في الشمس على البُلُسِ في الحنّاطين بمكة ، فجعل العرجي ينشد :

---

(١) أمضه : آلمه وأوجعه .

(٢) الكتاف : الوثاق وهو الحبل الذي يكتف به .

(٣) الحرم : النساء .

(٤) أي غضب من ذلك غضباً شديداً حتى كأنه فسد عقله .

سينصُرني الخليفةُ بعد ربّي ... ويغضب حين يُخبر عن مَساقي
عليّ عَباءةٌ بَلْقاء(١) ليستْ ... مع البَلْوَى تُغيّب نصف ساقي
وتغضب لي بأجمعها قُصَيٌّ ... قَطِينُ البيت والدُّمْث(٢) الرِّقاق

ثم يصيح : يا غُرَيرَ أَجياد(٣) ، يا غرير أجياد ، فيقول له الحميريّ المجلود معه : ألا تدَعنا ، ألا ترى ما نحن فيه من البلاء ! - يعني بقوله يا غرير ، الحصينَ ابن غرير الحميريّ المجلود معه - وكان صديقاً للعرجي وخليطاً - وذكر إسحاق تمام هذه الابيات وأوّلها :

وكَمْ مِنْ كاعِبٍ حَوْراء بِكرٍ ... أَلُوفِ السِّتْرِ واضحةِ التَّرَاقِي(٤)
بَكَتْ جزعاً وقد سُمِرَتْ(٥) كُبُولٌ(٦) ... وجامعةٌ(٧) يُشَدُّ بها خِناقي
على دَهْماءَ مُشْرِفَةٍ سَمُوقٍ(٨) ... ثناها القَمْحُ مُزْلَقَةِ التَّراقي
علي عَباءةٌ بلقاءُ ليستْ ... مع البَلوَى تُغيّب نصفَ ساقي
كأن على الخُدود وهنّ شُعْثٌ ... سِجالَ(٩) الماء يُبعَث في السَّواقي
فقلتُ تجلُّداً وحلفتُ صبراً ... أُبالي اليومَ ما دمعت مآقي
سينْصُرني الخليفةُ بعد ربّي ... ويغضب حين يُخبَر عن مَساقي
وتغضب لي بأجمعها قُصَيٌّ ... قَطِينُ البيت والدُّمْثِ الرِّقاق

(١) بلقاء : ما أجتمع فيه اللونان السواد والبياض .
(٢) الدمث : جمع دمثاء وهي الارض اللينة السهلة .
(٣) أجياد : موضع بمكة يلي الصفا .
(٤) التراقي : جمع ترقوة وهي مقدم الحلق في اعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس .
(٥) سمرت : شدت .
(٦) الكبول : جمع كبل وهو القيد .
(٧) الجامعة : الغل .
(٨) سموق : صيغة مبالغة من سمق الشيء فهو سامق إذا علا وارتفع .
(٩) السجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة مملوءة .

بمُجتمَعِ السيُول إذا تنحّى لِئامُ الناسِ في الشُّعَبِ العِماقِ

قال : فكان إذا أنشد هذا البيت ألتفت الى أبن غرَيرٍ فصاح به : يا غرير أجياد ، يا غرير أجياد يعني بني مخزوم ، وكانت منازلهم في أجياد فعيرهم بانهم ليسوا من أهل الابطَح .

وقال الزبير في خبره ووافقه إسحاق فذكر ان رجلاً مرّ بالعرجيّ وهو واقف على البُلُسِ ومعه أبن غرير وقد جُلدا وحُلقا وصُبّ الزيت على رؤسهما وألبسا عباءتين واجتمع الناسُ ينظرون إليهما . قال : وكان الرجلُ صديقاً للعرجيّ وكان فأفاء ، فوقف عليه فأراد أن يتوجع لما ناله ويدعو له ، فلجلج لما كان في لسانه كما يفعل الفأفاءُ ، فقال له ابن غرير : عني ، لا خرجت من فيك أبداً ، فقال له الرجل : فمكانك إذاً لا برحت منه أبداً .

قال : ومر به صِبيان يلقطون النوى فوقفوا ينظرون اليه ، فالتفت الى ابن غرير وقال له : ما أعرف في الدنيا سَخْلَيْنِ (١) أشأم مني ومنك ! إن هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم في كل يوم على كل واحد منهم مُدُّ نوى ، فقد تركوا لقْطَهم للنوى ، وقد وقفوا ينظرون إلي واليك وينصرفون بغير شيء فيُضربون ، فيكون شؤمنا قد لحقهم .

قال : وقال العرجي في حبسه :

صوت

أضاعُوني وأيَّ فتىً أضاعُوا ليومِ كريهةٍ وسِدادِ (٢) ثَغرِ
وصبرٍ عند مُعتَرَكِ المَنايا وقد شُرِعَت أسنَّتُها بنَحْري

(١) السخل : الضعيف ومن القوم الرذيل .
(٢) سداد الثغر بالكسر : ما يسد به الثغر من خيل ورجال وغير ذلك من عدد الحرب .

أُجَرَّرُ في الجوامع [١] كلَّ يومٍ فيا لله مَظْلِمَتي وصَبْري [٢]
كأنّي لم أكُنْ فيهم وَسيطاً [٣] ولم تكُ نسبتي في آلِ عَمْرِو [٤]

أبو حنيفة وشعر العرجي :

وأخبرني محمد بن زكريا الصحّاف (٥) ، قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن الأصمعي قال :

كان لأبي حنيفة جار بالكوفة يغني ، فكان إذا انصرف وقد سكر يغني في غرفته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه ، وكان كثيراً ما يغني :

أضاعُوني وأيَّ فتىً أضاعُوا ليوم كريهة وسِدادِ ثغرِ

فلقيه العَسَسُ [٦] ليلة فأخذوه وحُبِسَ ، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غد فأُخْبِرَ ، فدعا بسَواده [٧] وطويلته [٨] فلبسهما وركب الى عيسى بن موسى فقال له : إن جاراً لي أخذه عسسك البارحة فحُبِسَ ، وما علمتُ منه إلا خيراً ، فقال عيسى : سلّموا الى أبي حنيفة كل من أخذه العسس البارحة ، فأُطْلِقُوا جميعاً ، فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سراً : ألست كنت تغني يا فتى كل ليلة :

أضاعُوني وأيَّ فتىً أضاعُوا

فهل أضعناك ؟ قال : لا والله أيها القاضي ، ولكن أحسنت وتكرمت ، أحسن الله جزاءك ، قال : فعد الى ما كنت تغنيه ، فإني كنت آنس به ، ولم أر به بأساً ، قال : أفعلُ .

---

(١) الجوامع : جمع جامعة وهي الغل .
(٢) الصبر : الحبس .
(٣) يقال فلان وسيط في قومه اذا كان أوسطهم نسباً وارفعهم مجداً .
(٤) يريد عمرو بن عثمان بن عفان .
(٥) الصحّاف : بائع الصحف او الذي يعملها .
(٦) العسس : جمع عاس وهو الذي يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف اهل الريبة .
(٧) كان السواد شعاراً لبني العباس .
(٨) الطويلة : القلنسوة العالية المدعمة بعيدان .

أضاعوني وأي فتى أضاعوا :

وقال إسحاق في خبره : لما حبس المنصور عبد الله بن علي ، كان يكثر التمثلَ بقول العرجي :

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثَغرِ

فبلغ ذلك المنصور ، فقال : هو أضاع نفسه بسوءِ فعله ، فكانت أنفسُنا عندنا آثر من نفسه .

الأصمعي وكنّاس البصره

قال إسحاق : وقال الأصمعيّ : مررتُ بكنّاس بالبصرة يكنُس كنيفاً ويغني :

أضاعُوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثغرِ

فقلت له : أما سِداد الكنيف فأنت مليءٌ(١) به ، وإما الثغرُ فلا علمَ لي بك كيف أنت فيه — وكنت حديث السن فأردت العبث به — فأعرض عني مليّا ، ثم أقبل عليّ فأنشد متمثلاً :

وأكرِمُ نفسِي إنني إن أهنتُها وحقِّكَ لم تَكرُم على أحدٍ بَعدِي

قال فقلت له : والله ما يكونُ من الهوان شيءٌ أكثر مما بذلتها له ، فبأي شيءٍ أكرمتها ! فقال : بلى ، والله ان من الهوان لشراً مما أنا فيه ، فقلت : وما هو ؟ فقال : الحاجة اليك وإلى أمثالك من الناس ، فأنصرفت عنه اخزى الناس . قال محمد بن مزيد : فحدثني حماد قال : قال لي أبي : اختصر الاصمعي — فيما أرى — الجواب وسترَ أقبحه على نفسه ، وإلا فكنّاسُ كنيفٍ قائمٌ يكنسه ويعبث به هذا العبث فيرضى بهذا الجواب الذي لا يجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت

---

(١) مليء به . مضطلع به .

المخاطبةُ له !

وقال إسحاق في خبره : كان الوليد بن يزيد مُضْطَغِناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلُغه عنه في حياة هشام ، فلما وَلِيَ الخلافة قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم ابن هشام وأُشْخِصا إليه إلى الشام ثم دعا بالسياط فقال له محمدٌ : أسألك بالقرابة ، قال : وأيُّ قرابةٍ بيني وبينك ، وهل أنت إلا من اشجَعَ ! قال : فأسألك بصهر عبد الملك ، قال : لم تحفظه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُضرَبَ قرشيٌّ بالسياط إلا في حدّ ، قال : ففي حدٍّ أضربك وقَوَدٍ ، أنت أوّل من سنَّ ذلك على العرجي وهو أبن عمي وأبن امير المؤمنين عثمان ، فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ، وقد ذكرت حينئذ هذا الخبر ، وأنا وليُّ ثأرِه ، اضرب يا غلامُ ، فضربهما ضرباً مبرّحاً ، وأُثْقِلاَ بالحديد ، ووجّه بهما الى يوسف بن عمر بالكوفة ، وأمره بأستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا ، وكتب اليه : أحبسهما مع ابن النصرانية – يعني خالداً القسري – ونفسَك نفسَك إن عاش أحدٌ منهم ، فعذّبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالاً عظيماً حتى لم يبق فيهم موضعٌ للضرب ، فكان محمد بن هشام مطروحاً ، فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها ، ولما أشتدت عليهما الحال ، تحامَلَ (١) ابراهيمُ لينظر في وجه محمد ، فوقع عليه فماتا جميعاً ومات خالد القسري معهما في يوم واحد، فقال الوليدُ بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر:

قد راح نحو العراقِ مَشْخَلَبَه (٢) ... قصارُه السجْنُ بعدَه الخَشَبَه (٣)
يركَبُها صاغراً بلا قَتَبٍ ... ولا خِطامٍ (٤) وحوْله جلَبَه

(١) أي تكلف التحرك بعض الشيء ليرى حالة أخيه .

(٢) المشخلبة : كلمة عراقية تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلي ، قد تسمى الجارية مشخلبة لما يرى عليها من الخرز كالحلي . ولعل منها كلمة مشخلعة اللبنانية .

(٣) أي غايته السجن بعده الصلب .

(٤) القتب : الرحل. والخطام : حبل يوضع في عنق البعير أو كل ما يقاد به .

فقل لدَعْجاءَ (١) إن مررتَ بها   لن يُعجِزَ اللهَ هاربٌ طلبَهْ
قد جعلَ اللهُ بعدَ غَلَبَتِكم   لنا عليكم يا ذُلُّ الغَلَبَهْ
لستَ إلى هاشمٍ ولا أسدٍ   ولا إلى نَوفَلٍ ولا الحَجَبَهْ (٢)
لكنَّما أشجعٌ أبوكَ سَلِ الكَلْبيَّ لا ما يُزَوِّقُ الكَذَبَه

قال إسحاق في خبره : غنيت الرشيد يوماً في عُرْضِ الغناء :

أضاعُوني وأيَّ فتىً أضاعُوا   ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقال لي : ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجي ؟ فأخبرته بخبره من أوله الى أن مات ، فرأيته يتغيَّظ كلما مر منه شيء ، فأتبعته بحديث مقتل ابني هشام ، فجعل وجهه يُسفِر وغيظه يسكن ، فلما انقضى الحديث ، قال لي : يا إسحاق ، والله لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحداً من أماثل بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي .
والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه :

صوت

إذا ما طَواكِ الدهرُ يا أمَّ مالكٍ   فشأنَ المنايا القاضياتِ وشانيا
تمرُّ الليالي والشهورُ ، وتنقضي   وحُبُّكِ ما يَزْدادُ إلا تمادِيا
خليليَّ إن دارتْ على أمِّ مالكٍ   صُروفُ الليالي فابْغِيا ليَ ناعِيا
ولا تتركاني لا لخيرٍ معجَّلٍ   ولا لبقاءٍ تَنْظُرانِ بَقائيا

الشعر للمجنون ، ومن الناس من يروي البيت الأول منها لقيس بن الحدادية وهو جاهلي . والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى ، وذكر حَبَشٌ وابن المكي أن فيه لاسحاق لحناً آخر من الثقيل الثاني بالخنصر والبنصر .

● انتهى المجلد الاول من الأغاني ●

(١) دعجت العين : صارت شديدة السواد مع سعتها .
(٢) يريد حجبة الكعبة .

فهرس

المجلد الاول من كتاب الأغاني

رجع الى خبر عمر الطويل

أخبار ابن سريج

ذكر نصيب واخباره

اخبار بن محرز ونسبه

اخبار العرجي ونسبه